بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آفاقٌ تداوليّة

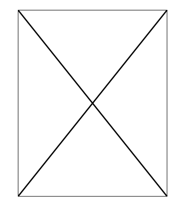
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

آفاقٌ تداوليّة

الجزء الأول

تنسيق وترجمة

د. منتصر أمين عبد الرّحيم



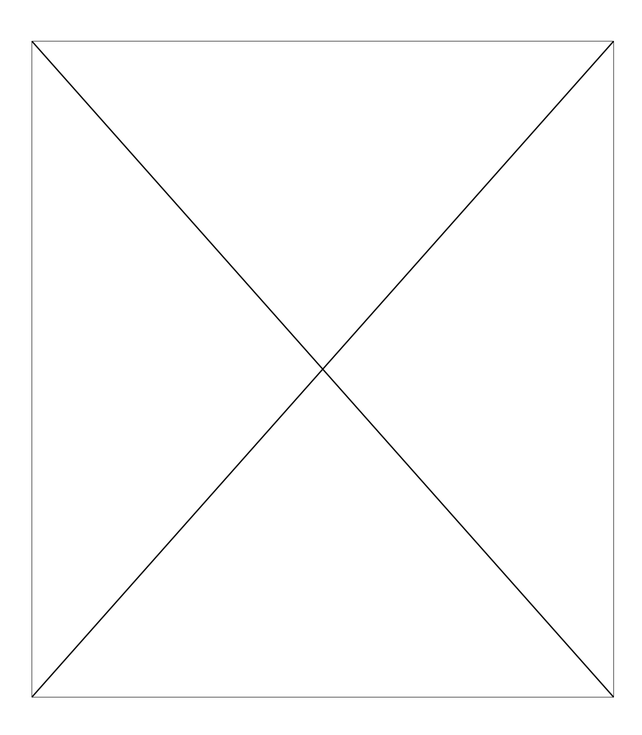
الطبعة الأولى

1436هـ - 2015م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2015/3/939)

ردمك : ISBN: 978 - 9957 - 74 - 465 - 6



المحتويات

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

المقدمة

لا شك في أن ظهور التّداوليّة على ساحة الدّرس اللّساني – وقد قاربت اكتمال تشكّلها الفلسفيّ – يمثّل ما يشبه إعادة بحث لتلك القضايا اللّسانيّة التي لم تكن منسجمة مع الأطر التي خطتها بعض النّظريات اللّسانيّة السّائدة . والحقيقة أن ظهور التّداوليّة لم يكن ذلك الظّهور الفج لمسائل وقضايا تداوليّة عميقة ، بل تطور الاهتمام بهذه القضايا عبر مراكمة مجموعة من الدّراسات التي ركّزت جهدها التّنظيريّ والتّطبيقيّ أيضًا على ذلك البعد الاستعمالي من الظّاهرة اللّغويّة ؛ ومن ثم بات مصطلح «التّداوليّة» تسمية لمجموعة من الدّراسات التي تقوم على بحث تلك الأبعاد التي لا يتعلق تفسيرها باللّغة في حد ذاتها ، بل يرتبط تأويلها وتحصيل تفسيرها بالسّياق الأعم الذي تحدث فيه .

إن ما سبق يعبر بصورة مقتضبة عن تخلي البحث التّداوليّ – عبر مراحل تطوره المختلفة – عن أطروحة مفادها أن اللّغة نظام مغلق ، وأن الكفاءة فقط هي موضوع البحث اللّسانيّ وليس الأداء ؛ ومن ثمّ تبنيّه أطروحة بديلة ترى أن اللّغة أداة تواصل وواقع معاش لا يزال يتشكّل في ظل أفعال لغويّة تعبر عن خصوصيّة الظّاهرة اللّغويّة في سياق استعمالها وتنوعها كذلك من سياق لآخر ، ويمكن هنا الوقوف على بعض المقولات التي يشكّل بحثها صورة من صور الكشف عن تطور الدّرس التّداوليّ من خلال اعترافه بحقائق أخرى تتعلق بطبيعة اللّغة كالحقيقة النّفسيّة والإدراكيّة والعصبيّة ، بل والتّاريخيّة والاجتماعيّة بطبيعة الحال التي تسهم في فهم أوضح لطرق استعمال اللّغة داخل سياقات معينة . فثمة توجهات معاصرة تمثّل استثمارًا لما قدمته التّداوليّة الفلسفيّة واللّسانيّة من أطروحات وقضايا لفهم واقع استعمال اللّغة وسياقاته

وآلياته وأغراضه المختلفة ، ومناقشة هذه الأطروحات والقضايا في ظل تطورات واضحة لعلوم ومناهج تلقي مزيدًا من الضّوء على أبعاد مختلفة من هذا الواقع .

إن الهدف من وراء هذا الكتاب أن أضع بين يدي القارئ مجموعة من الدّراسات التّداوليّة التي تمثل نشاطًا بحثيًا يحاول التّأسيس لمرحلة جديدة من مراحل تطور الدّرس التّداوليّ عبر تركيزها على مجموع متنوع من الموضوعات والخطابات والأبعاد ، إن هذه الدّراسات - وغيرها مما لا يتضمنه هذا الكتاب وأطمح في أن أقدّمه لاحقًا - تؤكد على أن التّداوليّة أصبحت محورًا لتساؤلات بحثيّة عديدة تتمثل الإجابة عليها في طواعيّة الدّرس التّداوليّ وقدرته على الاستجابة والتّنقل بالبراهين والاستدلالات عبر خطوط فلسفيّة وتجريبيّة وتاريخيّة وإدراكيّة وإجرائيّة وإمبريقيّة واجتماعيّة تمثّل آفاق جديدة للتداوليّة المعاصرة .

وفي سياق هذه المقدمة لا يفوتني إضافة أن أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان إلى الأصدقاء الأعزاء : الأستاذ الدّكتور حافظ إسماعيلي علوي ، والأستاذ الدّكتور صابر الحباشة ، والأستاذة الدّكتورة حمو الحاج ذهبية ، والأستاذ الدّكتور علي خليفة ، والأستاذ الدّكتور سعيد عليوه ، والأستاذ مهند حلوة ، لنصائحهم الطيبة ودعمهم الكريم .

والله ولي التوفيق

تاريخ التداولية

برجيت نرليش

History of Pragmatics

B. Nerlich

in J. Mey, 2009 (Ed.): Concise Encyclopedia of Pragmatics. (2nd edn.) Elsevier: Amsterdam. p.328-335.

تعتبر التداولية أو «دراسة استعمال العلامة ومستعمليها داخل المقام» إضافة حقيقية حديثة إلى علوم اللغة ، ويعود مصطلح التداولية إلى عمل السلوكي السيميائي الأمريكي **شارلز موريس** Charles Morris ، وتفريقه بين أجزاء ثلاثة من السيميائية هي : التركيب ، والدلالة ، والتداولية . وقد تم النظر إلى أسس التداولية – بوصفها علمًا لغويًا– على أنها نتاج عمل الفلاسفة المهتمين باللغة الطبيعية ، وكذلك منظري أفعال الكلام أمثال **لودفيج فتجنشتين** Ludwig Wittgenstein **وجـون أوستن** John L. Austin **وجـون سيرل** John R. Searle **وبول جريس** H. Paul Grice .

ومن خلال تطبيق هذه الرؤى الجديدة على اللغة التي تمت دراستها باعتبارها نوعًا من الفعل البشري رغب كل من الفلاسفة واللغويين في التغلب على تلك الدراسة الضيقة للغة التي رأت اللغة نظامًا منغلقًا يتم تحليله في ذاته ومن أجل ذاته كما كان مقترحًا في التقاليد البنيوية للسانيات التي جاءت بعد

١ **دو سوسير** Ferdinand de Saussure **وشومسكي** Noam Chomsky . وأصبحت
٢ التداولية منذ السبعينات محطًا للاهتمام ليس في مجال اللسانيات فقط ، بل
٣ في الدراسات الخاصة بالتواصل وتحليل الخطاب (بما فيه من دراسات تطبيقية
٤ على الفصول الدراسية وقاعات القضاء والمحاكمة) ، وتحليل المحادثة ، وعلم
٥ النفس ، والعلوم الاجتماعية ، ودراسات الذكاء الاصطناعي وكذلك دراسة
٦ اللغة والإدراك ؛ ومن ثم فقد اتسع مجال دراسة اللغة بصورة تدريجية خلال
٧ النصف الأخير من القرن العشرين وتجاوز دراسة العلامة إلى دراسة استعمالها
٨ داخل المواقف الاجتماعية ، كما تجاوز دراسة الجملة إلى دراسة استعمال
٩ المنطوق داخل السياق .

١٠ وعلى مدى نصف قرن -قبل اتساع مجال اللسانيات على الصورة السابقة-
١١ كان من الواضح - على أية حال- أن المنظور التداولي الواسع في دراسة اللغة
١٢ والتفاعل الاجتماعي والعقل قد وُجِدَ - في حقيقة الأمر - في مرحلة سبقت
١٣ انتشاره وشيوعه على يد أوستن في القرن العشرين (انظر Nerlich and Clarke,
١٤ 1996, 2000 حيث تجد العديد من المراجع) .

١٥ ويرتكز هذا المنظور على الجذور الواضحة للمقاربات التداولية المختلفة التي
١٦ يمكن أن نميز بينها في كل من أوروبا وأمريكا ، فهناك (١) المقاربة
١٧ الأنجلوساكسونية التي نشأت عن فلسفة اللغة الطبيعية مع **فتجنشتين وأوستن**
١٨ **وسيرل** وهيمنت على هذا المجال ، والتي تطورت بصورة مستقلة متزامنة مع (٢)
١٩ المدرسة البريطانية السياقية والوظيفية ، وهناك (٣) المقاربة الفرنسية التي تعتمد
٢٠ على نظرية الملفوظية enunciation التي طورها **إميل بنفينست** Émile
٢١ Benveniste ، و(٤) المقاربة الألمانية المصاحبة للنظرية النقدية لدى **هابرماس**
٢٢ Jürgen Habermas **وكارل أوتو-آبل** Karl Otto Apel التي نظرت إلى التداولية
٢٣ على أنها تمثل جزءاً أساسيًا من النظرية العامة للفعل التواصلي .

٢٤ ويعود هذا الموروث الأوروبي في الفكر التداولي بصور مختلفة إلى تطور
٢٥ التداولية بوصفها فلسفة جديدة نشأت في الولايات المتحدة في الفترة الأخيرة

١ من القرن التاسع عشر والتي أنتجت ذلك التقسيم الثلاثي «التركيب والدلالة
٢ والتداولية» وجعلته شائعًا في مجال اللسانيات والفلسفة والسيميائية .
٣ ولعل جميع هذه المقاربات الأربعة ؛ الأنجلوساكسونية ، والفرنسية ،
٤ والألمانية ، والأمريكية ، ذات جذور عميقة تمتد إلى العصور القديمة ممثلة في
٥ الخطابة ، وجميعها كذلك يقوم على فلسفة **إمانويل كانت** Immanuel Kant
٦ الخاصة بالفاعل النشط المتسامي بدرجات مختلفة وعلى فلسفة **جون لوك** John
٧ Locke الخاصة بالفعل السيميائي أيضًا .
٨ ويمكن دراسة هذه الأشكال التداولية للفكر باعتبارها موروثًا تاريخيًا كما
٩ يمكن تحليلها أيضًا باعتبارها أطرًا نظرية تدور حول مفاهيم تداولية أساسية هي :
١٠ ١- الأنجلوساكسونية : الفعل الكلامي - المعنى - الاستعمال - القصد -
١١ السياق - الوظيفة .
١٢ ٢- الألمانية : عاملية الفاعل المتسامي - الحوار - الضمائر .
١٣ ٣- الفرنسية : الفاعلية - علامات الفاعلية - الإشاريات .
١٤ ٤- الأمريكية : المعنى بوصفه فعلًا - العلاقة الثلاثية للعلامة .
١٥ ولا يجب النظر إلى هذه المقاربات الأربعة على أنها متآلفة أو ثابتة
١٦ وحصرية ، إذ قد تطورت منذ السبعينات عدة مقاربات تتعامل مع اللغة
١٧ المستعملة منها على سبيل المثال التداولية الاجتماعية التي طورها **جاكوب ماي**
١٨ Jacob Mey (Mey 2001) التي تسمى نظرية اللغة المستعملة ، وكذلك المقاربة
١٩ النظامية الوظيفية للغة التي طورها **هاليداي** Michael A. K. Halliday (Halliday
٢٠ 1978) وهناك الأنواع المختلفة من تحليل الخطاب والتحليل النقدي للخطاب (see
٢١ Mey 1979;1985, Beaugrande 1996) وأكثر هذه الأنواع حداثة هي المقاربة
٢٢ التداولية والنقدية الخاصة بتحليل الاستعارة والتي يمكن أن نطلق عليها نظرية
٢٣ الاستعارة المستعملة .
٢٤
٢٥

١ **مصادر الإلهام والتضاد:**

٢ المفترض العام أن اللغة كانت تدرس في القرن التاسع عشر على أنها «كائن
٣ حي» ، وفي القرن العشرين على أنها «نظام» ، ويبدو أن هذا لم يترك مجالًا كبيرًا
٤ لدراسة اللغة في الاستعمال والسياق أو دراسة العلاقة بين اللغة والفعل . وعلى
٥ أية حال نستطيع إذا نظرنا إلى العلوم المتاخمة للسانيات - مثل أنواع مختلفة
٦ من علوم الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والسيميائية - أن نكتشف أن
٧ جذور التفكير التداولي تعود إلى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ؛
٨ ذلك أن هذه العلوم أثرت في الهامش الرسمي للسانيات ، إذ دعمت الفكر
٩ التداولي داخل التفكير اللساني عينه خاصة في انعكاسها على المعنى .

١٠ فأمثال هؤلاء من اللغويين الذين اهتموا بالمعنى واستعمال اللغة - ولم يكن
١١ اهتمامهم منصبًا فقط مثل غالبية علماء الدرس التاريخي المقارن على دراسة
١٢ تغير الصوت - عادوا مرة أخرى إلى مصدر قديم من مصادر الإلهام التداولي وهو
١٣ الخطابة ، فمنذ العصور القديمة والعصور الوسطى كذلك أصبحت الخطابة
١٤ بوصفها أحد أطراف ثلاثية (الخطابة - القواعد - المنطق) جزءًا لا يتجزأ من
١٥ دراسات اللغة . على أية حال ركز اللغويون المعنيون بالدرس التاريخي المقارن في
١٦ جهودهم نحو تأسيس اللسانيات بوصفها علمًا مستقلًا بصورة مباشرة على
١٧ دراسة القواعد ، وفصلوا بينها وبين دراسة اللغة في الخطاب (الخطابة) وكذلك
١٨ بينها وبين المنطق . وعلى العكس من هذا الموقف أفاد اللغويون والفلاسفة -
١٩ الذين لم يعملوا في تيار اللسانيات التاريخية المقارنة - من بعض المفاهيم
٢٠ الموروثة من الخطابة (مثل : أشكال الكلام ، وموقف الخطاب ، والتفاعل بين
٢١ المتكلم والمستمع ، والتقسيم الثلاثي الخاص بالقواعد والمنطق والخطابة التي تمثل
٢٢ أيضًا قلب الثلاثيات السيميائية) .

٢٣ ومن بين هؤلاء من حاول إعادة تعريف استعمال مفهوم الكائن الحي
٢٤ وانتقاده أيضًا باعتباره صورة مجازية لدراسة اللغة ، وكان هناك الكثير ممن رفضوا
٢٥ المسلمة الفلسفية القديمة التي تم التعبير عنها في البحث الفلسفي والتي مفادها

١ أن اللغة تمثل الفكر (أو الأفكار) وأنها هي فقط ما يمثل الأفكار والعالم ، وهو ما
٢ افترضه **أرسطو** Aristotle في (العبارة 5-1 :17 De Interpretatione) (see
٣ Whitaker, 1996) .

٤ وخلافًا لهذا لم تكن اللغة بالنسبة لجميع المفكرين التداوليين على مر
٥ العصور تعبر فقط عن مقولات الصدق والكذب الخاصة بالوقائع ، بل تستخدم
٦ اللغة في التأثير على الآخرين والتصرف بناء على أفعالهم ووسيلة تجعلهم
٧ يتصرفون وفق طريقة محددة ، بمعنى أن اللغة تستخدم في تغيير العالم . وكان
٨ هذا هو السبب وراء رفض أوستن لفلسفة اللغة التي طورها المناطقة الوضعيون
٩ أولئك الذين قدموا ولاء مكذوبًا للتداولية ، وظلت العبارات تدرس على أنها
١٠ وصف للوقائع ، وظل فهمها مقصورًا على فهم شروط الصدق ، ولم تكن اللغة
١١ بالنسبة لبعض التداوليين المتقدمين – كما هو الحال بالنسبة للمتأخرين منهم –
١٢ مجرد نظام من العلامات العرفية المستخدمة في تمثيل الفكر ، بل عكف هؤلاء
١٣ على الدوافع القابعة خلف البنية الصوتية للعلامات والمعنى أو طبيعية اللغة ،
١٤ كما يمكن أن نقول – كما هو الحال الآن – إنهم عكفوا على مصادر هذه الدوافع
١٥ داخل المتكلمين والموقف الكلامي واستعمال هؤلاء للعلامات في سياق تلك
١٦ المواقف .
١٧
١٨ **الفكر التداولي المبكر:**

١٩ في ألمانيا تم تقويض النظرية التمثيلية للغة الموجودة في تراث كانط Kant
٢٠ الذي دفعت نظريته الخاصة بقوى التنظيم الفاعلة للعقل الإنساني فلسفة اللغة
٢١ القائمة على الأفعال الذهنية لكل من المتكلم والمستمع خاصة في أعمال
٢٢ **فاتر** Johann Severin Vater **وبرناردي** August Ferdinand Bernhardi وهمبولدت
٢٣ Wilhelm von Humboldt والتي ذاعت خلال عقدين من بداية القرن التاسع
٢٤ عشر . هؤلاء المفكرون استبدلوا بصورة تدريجية بالدراسة الفلسفية لعلاقة
٢٥ الفاعل–المفعول دراسة لغوية خاصة حول هذه العلاقة ، وفي سبيل الوصول إلى

١ هذا قاموا بتطوير مقاربة حوارية للغة ، والاقتباس التالي من عمل **فاتر** Vater –
٢ الذي طور من خلاله مفهومًا تداوليًا للعلامة تأثر فيه بسيميائية **لوك** Locke
٣ ورؤية **لامبرت** Johann Heinrich Lambert الفلسفية للغة – سوف يوضح هذا
٤ الاتجاه الذي انتهي بدراسة همبولدت Humboldt للحوار (لمزيد من المعلومات
٥ حول التراث الكانطي انظر (Perconti (1999) .

٦ «يستطيع المرء تعريف هذه المفاهيم [العلامة] من خلال وجهة النظر التالية :
٧ (١) الشخص الذي يستعمل العلامة (يدلل) و(٢) الشخص المستعملة له
٨ العلامة (المدلل له) ، و(٣) الغرض من هذه الدلالة ، و(٤) تتابع وتبدل هذا
٩ الغرض ، و(٥) العلامة بوصفها أداة ، و(٦) الشيء المدلول عليه» (:Vater, 1801
١٠ 137) . مقارنة **بهمبولدت** Humboldt الذي يقول :

١١ «من الأمور الخاصة باللغة أن تلعب الثنائية دورًا مهمًا داخل اللغة قياسًا
١٢ إلى أي شيء آخر ، فالكلام جميعه يعتمد على الحوارية التي يفترض المتكلم
١٣ من خلالها وجود المخاطب كشخص يقف في مواجهته حتى عندما يقف حوله
١٤ كثير من الناس . . . ولعل تقسيم البشر على صنفين ؛ قريب وعدو ، هو أساس
١٥ جميع الروابط الاجتماعية البدائية» (Humboldt, 1963 [1827]: 137-138) .

١٦ ولقد ركز التراث التداولي الألماني خلال النصف الثاني من القرن العشرين
١٧ بصورة كبيرة على دور المخاطب في فهم اللغة داخل سياق الموقف ، ومن المحتمل
١٨ أن يكون هذا الاتجاه ناجمًا عن تأثرها بالتراث الهرمونطيقي (من خلال
١٩ **شلايرماشر** Friedrich Schleiermacher **وديليتاي** Wilhelm Dilthey) .

٢٠ وفي إنجلترا تم إسقاط النظرية التمثيلية للغة من خلال كتابات المدرسة
٢١ الاسكتلندية لفلسفة المفهوم البدهي وبخاصة أعمال **توماس ريد** Thomas Reid
٢٢ الذي لاحظ أن **أرسطو** كان محقًا حينما لاحظ أنه : «بجانب ذلك النوع من
٢٣ الكلام المسمى «قضية» التي هي دائمًا إما صادقة أو كاذبة هناك تلك الأنواع
٢٤ الأخرى التي لا تكون صادقة أو كاذبة مثل الدعاء والتمني ويمكن أن نضيف
٢٥ إليها السؤال والطلب والوعد والعقد وغيرها الكثير (Reid, 1872, vol. II: 692)

١ وعلى أية حال فتبعًا **لريد** كان **أرسطو** مخطئًا في استبعاد دراسة هذه
٢ الأفعال الكلامية خلافًا للقضايا عن مجال الخطابة (أو إلى ما يسمى الآن سلة
٣ المهملات التداولية) (انظر Mey 2001: 12-15 : «إن تعبير السؤال والطلب والوعد
٤ يمكن أن يتم تحليله كقضية ، ولكنا لم نجد من يفعل هذا ، فلسنا نعطي هذه
٥ التعبيرات اسمًا يختلف كثيرًا عن العمليات التي تعبر عنها» (Reid, 1872, vol.
٦ I:245)

٧ ومن ثم طور ريد نظرية فلسفية للمعنى ونظرية لأفعال الكلام يمكن أن
٨ تتماشى مع أنماط الجمل هذه ، وشدد على أن مثل هذه العبارات – خلافًا
٩ للجمل الخبرية – إنما تمثل بصورة أساسية عمليات اجتماعية ؛ لأن نجاحها يعتمد
١٠ بالضرورة على استيعاب الآخرين لها ، وانتشرت رؤية ريد للغة بصورة كبيرة من
١١ اسكتلندا إلى انجلترا – بخاصة في كمبريدج – وإلى الولايات المتحدة وفرنسا .
١٢ وبينما ركز ريد على أفعال الكلام بصورة أساسية كأفعال اجتماعية ومن ثم
١٣ تم عزوها إلى نظرية أفعال الكلام ، كان الفيلسوف ومدرس الخطابة **بينجامين**
١٤ **همفري سمارت** Benjamin Humphrey Smart قد طور نظرية سياقية في المعنى
١٥ إسهامًا منه في النظرية العامة للعلامات وفي التداولية المبكرة ، ففي كتابه
١٦ «موجز علم العلامات : نحو إقامة نظرية جديدة للقواعد والمنطق والخطابة»
١٧ (Smart, 1831) أخذ سمارت تقسيم **لوك** Locke الثلاثي للمعرفة : (١)
١٨ الفيريائية أو دراسة الطبيعة ، و(٢) دراسة الفعل الإنساني ، و(٣) علم الدلالة أو
١٩ دراسة استعمال العلامات في المعرفة . أو باختصار مذهب العلامات (Smart,
٢٠ 1831: 1-2) . فدراسة العلامات المستخدمة في المعرفة (أو السيميائية بالنسبة
٢١ **لموريس** Morris التي تعود إلى الثلاثية الوسطى) تنقسم تبعًا **لسمارت** على
٢٢ أقسام ثلاثة هي : النحو والمنطق والخطابة . وفى جميع هذه الأقسام يبين
٢٣ سمارت أن العلامات لا تمثل الأفكار ، ولكنها تستخدم كي تعني شيئًا ما داخل
٢٤ السياق ، واقتبس الفقرة التالية من عمل فيلسوف المفهوم البدهي الاسكتلندي
٢٥ الشهير **دوجالد ستيوارت** Dugald Stewart الذي تبع ريد : «عندما تُخْتَبَر

١ كلماتنا منعزلة فإنها عادة ما تكون تامة الدلالة كالحروف التي تتكون منها إذ
٢ يشتق معناها بصورة أساسية من الربط أو العلاقة التي تربطها بغيرها»
٣ (Stewart,1854-1860, V: 154-155) .
٤ واشتهر عمل **سمارت** بصورة كبيرة على الرغم من أنه قد بدا – بالنسبة
٥ لكثير من المفكرين الذين يعملون خارج اللسانيات – مثل **شارلز داروين**
٦ Charles Darwin . واستخدم **سمارت** لفلسفته حول اللغة داخل السياق مصطلح
٧ «علم الدلالة Sematology» ، وهو المصطلح الذي استخدم فيما بعد بطريقة فردية
٨ لدى عالم النفس الألماني **كارل بولر** Karl Bühler ، ولكن نظرية **سمارت** في
٩ العلامات باعتبارها جزءاً من إيستمولوجيته استمرت أيضًا في حدود معينة
١٠ لدى العاملين في مجال «علم الرموز Significs» .
١١ وكان **للوك** Locke ومن عارضه أهمية كبيرة في فرنسا أيضًا حيث أسس
١٢ **كوندياك** Etienne Bonnot de Condillac والمشتغلون بالأيديولوجية فلسفتهم
١٣ حول اللغة في جانب منها على تمثيلية **لوك** Locke والإمبريقية ، ورأوا اللغة
١٤ نظامًا من العلامات التي تمثل الأفكار والأحاسيس ، وبعد انتهاء الثورة الفرنسية
١٥ التي اشترك فيها الأيديولوجيون – وخلال النهضة الفرنسية كذلك – تم الهجوم
١٦ على فلسفتهم الحسية – ومن ثم شبه المادية – من قبل الفلاسفة وعلماء النفس
١٧ الفرنسيين المنتمين إلى المدرسة الانتقائية أمثال **فيكتور كوزين** Victor Cousin
١٨ **وثودورف جوفروي** Théodore Jouffroy وهناك **ماين دو بران** Maine de Biran
١٩ الذي سار أيضًا على الأفكار التي أخذها عن فلسفة كانط الخاصة بالروح
٢٠ الفاعلة وعن فلاسفة المفهوم البدهي في سكوتلندا وإنجلترا مثل ريد . وتأسيسًا
٢١ على نظرياتهم وعلى مفهوم ريد حول الأفعال الاجتماعية صاغ **أدولف جارنيه**
٢٢ Adolphe Garnier سنة ١٨٥٠م تقريبًا نظرية لأفعال الكلام (الأوامر والوعود على
٢٣ سبيل المثال) ألقت الضوء على المظاهر الاجتماعية لأفعال الكلام التي تتمثل
٢٤ في التفاعل بين مقصد المتكلم وفهم المخاطب ومكانة المتكلمين الاجتماعية
٢٥ داخل الخطاب . على أية حال فإن نظرية **جارنيه** في الفعل الكلامي مرت دون

١ أن يلتفت إليها أحد ، وجاء الفيلسوف القضائي **أدولف ريناخ** Adolf Reinach
٢ في بدايات القرن العشرين فقط وصاغ نظرية مشابهة – ولكنها أكثر اتساعًا –
٣ حول الأفعال الكلامية أو ما أسماه **ريناخ** تبعًا **لريد** الأفعال الاجتماعية ، وهي
٤ تعتمد في جانب منها على فينومونولوجية (ظاهرية) **هوسرل** Edmund Husserl ،
٥ وأفعال الكلام – تبعًا **لريناخ**– مثل الأوامر يمكن أن توجد فقط في شكل أمر
٦ بالقدر الذي لا يمكن تقسيمها إلى خبر أو حقيقة وأداء تشكله هذه العبارات ،
٧ فهما معًا جزء من الفعل الاجتماعي (Reinach, 1913: 708; Engl. transl. 1983:
٨ 20) يشبه ما أسماه **جاكوب ماي** (Mey, 2001: 206-235) فيما بعد الأفعال
٩ التداولية .
١٠

١١ تطور التداولية من ١٨٥٠م إلى ١٩٣٠م:

١٢ في فرنسا بصورة تدريجية استعيض عن فلسفة **كوزين** Cousin بعلم النفس
١٣ الوضعي والعقلاني الخاص **بهيبولت تين** Hippolyte Taine ، وفي ألمانيا أصبح
١٤ علم النفس خاصة علم النفس الرياضي **لفردريك هربارت** Friedrich Herbart
١٥ أكبر أهمية من الفلسفة والدراسة المتقدمة في بحث طبيعة اللغة . ولقد افترض
١٦ هربارت نفسه أن اللغة يمكن فهمها فقط من خلال سياق الحدث البشري بصورة
١٧ عامة ، وتكررت هذه الرؤية (دون إشارة مباشرة إلى **هربارت** ولكن بإيحاء من
١٨ مجمل أعماله) لدى **وليم دويت ويتني** William Dwight Whitney في الولايات
١٩ المتحدة الذي أكد أيضًا على البعد الاجتماعي للغة كمؤسسة ، ولدى **جوان**
٢٠ **نيكولاي مادفيج** Johan Nicolai Madvig في الدانمارك الذي أكد على دور
٢١ السياق ، وطور نظرية للمعنى بوصفه استعمالًا ، ولدى **فيليب فاجنر** Philipp
٢٢ Wegener في ألمانيا الذي لم يدرس اللغة داخل السياق فقط ، بل درس أيضًا ما
٢٣ أسماه فعل الكلام الحواري أو ما أسماه **جريس** H. P. Grice بالاقتضاءات
٢٤ الحوارية . إذ حلل **فاجنر** العبارات الخبرية الاهليلجية المستعملة في التعبير عن
٢٥ الأمر بقوله : «إن الصورة النقية للكلمة في جملة الكلمة الواحدة «قاربي» لا

١ تقويّ تأويل الحقائق التي مفادها (١) أن شخصًا ما يطلب فعلًا ما و(٢) ما هذا
٢ الفعل؟ و(٣) من الذي يجب عليه أن ينفذ هذا الفعل؟ ، وكل هذا يمكن
٣ استنتاجه من الموقف والحركات الجسمية ، فصورة الكلمة تستحضر تأويل شيء
٤ محدود يتصوره عقل المتكلم على أنه شيء ما» (Wegener 1921: 9-10) .

٥ لم يشارك **هايمن ستنثال** Heymann Steinthal – أحد أتباع **همبولدت**
٦ **وهربارت** ، وأحد علماء النفس المشهورين المهتمين باللغة في القرن التاسع عشر
٧ (قرأ له ونقده **مادفيج وويتني وفاجنر** وآخرون) – بصورة مباشرة في النظرية
٨ التداولية للغة ، ولكن بتأثير من أعماله وأعمال اللغوي الروسي **ألكسندر**
٩ **بوتيبنيا** Aleksandr A. Potebnya تم تطوير نظرية أصيلة في اللغة والمعنى تقوم
١٠ بصورة أساسية على مفهوم النشاط النفسي (بالنسبة للتراث الروسي خاصة
١١ **فلوشينوف** Voloshinov **وباختين** Bakhtin انظر (Nerlich (2000) .

١٢ وفي فرنسا عاد تين Taine إلى **كوندياك** ونظريته السيميائية للعلامات
١٣ وأخذ عنه اللغوي **ميشيل بريال** Michel Bréal الذي رفض الاستعارة واسعة
١٤ الانتشار التي تقول إن الكلمات أو المعاني تحيا وتموت مثلها مثل الكائنات
١٥ الحية ؛ وبدلًا من هذا أكد بريال على أن : «أجدادنا من مدرسة **كوندياك** ،
١٦ أولئك الأيديولوجيون الذين كانوا هدفًا لمدرسة معينة من النقد لمدة خمسين
١٧ عامًا ، لم يكونوا بعيدين عن الحقيقة حينما قالوا بصورة مبسطة وصادقة إن
١٨ الكلمات هي علامات . . . بمعنى أنها لا تمتلك وجودًا مختلفًا عن كونها
١٩ إشارات في الجهاز الإعلامي أو نقاطًا وأشراط في النظام التلغرافي **لموريس**»
٢٠ (Bréal, 1964 [1900]: 249) .

٢١ على أية حال فإن **بريال** لم يدرس اللغة بوصفها نظامًا من العلامات فقط
٢٢ ولكن درسها أيضًا على أنها تعبير عن فاعل عملية التحدث الذي يستعمل
٢٣ اللغة في التعبير عن المشاعر والمعتقدات والأماني والطلب وغير ذلك من الأمور
٢٤ التي تكوّن الأفعال الكلامية ، ومن ثم حلل الآثار الموجودة في كلام مستعمل
٢٥ اللغة مثل الوظيفة التي تؤديها بعض المحددات مثل (nevertheless, hopefully)

١ هذا بالإضافة إلى أنه انتقد – شأنه شأن **ريد** والآخرين – ما أسماه **أوستن** فيما
٢ بعد «المغالطة الوصفية descriptive fallacy» في التفكير اللغوي ، قارن : «لم
٣ توجد اللغة فقط للتكلم عن أشياء مثل «أشرقت الشمس على جانبي المدينة»
٤ و«تتدفق الأنهار حتى البحر» ، فبعيداً عن هذا تستخدم اللغة بصورة أساسية في
٥ التعبير عن الرغبات والأوامر ، وفي التعبير عن الإرادة ، وهذا هو الجانب
٦ الموضوعي في اللغة الذي ينبغي أن يدرس بصورة كبيرة» (Bréal, 1877:
٧ 361-362) .

٨ وتم انتقال فكرة «موضوعية اللغة» هذه إلى الجانب الفرنسي المضاد للمقاربة
٩ الأنجلوساكسونية لأفعال الكلام من خلال نظرية «التلفظ» كما أسسها **شارلز**
١٠ **بالي** Charles Bally **وجوستاف جيوم** Gustave Guillaume **وإميل بينفينست**
١١ وتم دمجها مع نظرية أفعال الكلام في عمل **أوسكار ديكرو** Oscar Ducrot ،
١٢ فهؤلاء اللغويون الفرنسيون درسوا أيضًا ما أطلقوا عليه تحقيق «اللغة la langue»
١٣ داخل «الكلام parole» عن طريق ما أسماه **ياكبسون** Roman Jakobson«
١٤ المحولات shifters» أو ما أطلق عليه بالي «المؤشرات indicators» .

١٥ ولكن **بريال** لم يكن قد بدأ فقط دراسة «موضوعية اللغة» وإشاريتها ، ولكنه
١٦ طالب بمعالجة وظيفية للغة ، وفى بداية مبكرة من مهمته وبينما كانت
١٧ اللسانيات التاريخية المقارنة الألمانية تدخل إلى فرنسا بدأ **بريال** في انتقاد
١٨ مبادئها ومنهجها في دراسة الأشكال اللغوية دون أخذها في الاعتبار وظائف
١٩ هذه الأشكال ، حيث كانت الوظيفة – بالنسبة لبريال كما هي بالنسبة لغيره
٢٠ من الوظيفيين في هذه الفترة – هي القوة الدافعة للتغير اللغوي . فالأشكال لا
٢١ تتغير في الصوت والمعنى بحد ذاتها إنما تتغير لأنها تستخدم من قبل المتكلم مع
٢٢ وظيفة معينة داخل الخطاب وفي موقف محدد . ومن الوظيفيين الفرنسيين
٢٣ الآخرين كان هناك عالم النفس **فريدريك بولان** Frédéric Paulhan **وهنري**
٢٤ **ديلاكرو** Henri Delacroix وعالم اللغة الطبيب **يوجين برنارد ليروي** Eugéne
٢٥ Bernard Leroy . فلقد أقام **بولان** على وجه الخصوص نظرية واضحة في

١ الأفعال الكلامية في سياق نظرية خاصة بالوظائف اللغوية تشبه بصورة مباشرة
٢ تلك التي طورها **كارل بولر** في ألمانيا مستخدمًا مثالًا أصبح فيما بعد مثارًا
٣ لكتابات تداولية حيث بين أنه : «من أجل فهم كلمات مثل «إنها تمطر» فإنه
٤ يكفي بصورة واعية أو نصف واعية أن اصطحب شمسيتي وأنا ذاهب إلى
٥ الخارج ، فإذا تصرفت بهذه الطريقة يمكنني القول إنني فهمت الكلمات : «إنها
٦ تمطر» حتى ولو لم أربطها بالصور التي تمثلها» (Paulhan 1886: 47) .
٧ وبالانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين كان الوظيفيون الألمان
٨ ومنظرو أفعال الكلام وبخاصة **أنتون مارتي** Anton Marty **وبولر** قد تأثروا بعلماء
٩ اللغة العقلانيين أمثال **ويتني ومادفيج وفاجنر وبريال** من ناحية ، وتأثروا أيضًا
١٠ من ناحية أخرى بالتطورات الجديدة في علم النفس مثل علم النفس الوصفي
١١ الذي طوره **فرانز برنتانو** Franz Brentano ، وعلم نفس الجشطالت وعلم النفس
١٢ الظاهراتي ، كما تأثروا كذلك بتطورات السلوكية الاجتماعية .
١٣ وكان **بولر** – وهو من أشد المعجبين **بفاجنر** – قد عمل في سياق مدرسة
١٤ **فرزبرج** Wurzburg السيكولوجية ووعى جيدًا عمل كل من **مارتي** Marty
١٥ **وإدموند هوسرل** Edmund Husserl ، وأسس نظرية تداولية موسعة في ألمانيا
١٦ (Buhler, 1934) وكان نموذجه الأداتي 'Organon Model جزءًا مركزيًا في هذه
١٧ النظرية . وفي هذا النموذج وضع **بولر** العلامة اللغوية في سياق استعمالها ،
١٨ وأضاف إلى نموذجه كل من المتكلم والمستمع (وهو ما تناساه المثلث السيميائي
١٩ لدى **شارلز أوجدن** Charles K. Ogden **وإيفور ريتشاردز** Ivor A. Richards)
٢٠ والإشارة إلى «الأشياء» (التي تناستها حلقة الكلام الشهيرة عند **دو سوسير**
٢١ de Saussure) . ويوصف هذا النموذج بمثلث خارج دائرة يبين أن كل علامة بحد
٢٢ ذاتها وفى الوقت نفسه عبارة عن عَرَضSymptom (مؤشر ، مُحدِّد) بحكم
٢٣ اعتمادها على المرسل (الذي تعبر عن حالاته الداخلية) وهي إشارة Signal
٢٤ بحكم استدعائها مستقبلا (تتحكم في سلوكه) ، وهي رمز Symbol بحكم
٢٥ تعيينها الأشياء والمواقف التي تشير إليها ، ولذا فإن كل جملة هي في الوقت

١ نفسه تعبير Expression ومناشدة Appeal وتمثيل Representation وتلك هي
٢ الوظائف الثلاث الرئيسة للغة واستعمال العلامة .
٣ هذه النظرية الوظيفية السيميائية للغة تم توسيعها أيضًا من خلال اللغويين
٤ أمثال **إرفين كوشميدر** Erwin Koschmieder **وألفونس نرنج** Alfons Nehring ،
٥ ومن قبل الفلاسفة أيضًا أمثال **كارل-أوتو أبل** Karl-Otto Apel **ويورجن**
٦ **هابرماس** Habermas ، ولقد تأثر **كوشميدر بهوسرل** Husserl وطور واحدة من
٧ أوائل النظريات الخاصة بالعبارات الإنشائية Preformatives في ألمانيا ، وهي ما
٨ يمكن أن تقارن بصورة مباشرة مع مثيلتها التي تطورت على الجانب الآخر في
٩ التيار الإنجليزي على يد **أوستن** .
١٠ وفي بداية ١٩٢٩م واجه **كوشميدر** بعض الظواهر التركيبية الملغزة الخاصة
١١ بالزمن Tense والجهة Aspect جعلته يسلم بحالة جديدة من حالات التزامن
١٢ Case of Coincidence (Koschmieder, 1965 [1945]: 26-27) ، وقد ناقش المكافئ
١٣ العبري لجملة «أباركه هنا I hereby bless him» وبين أنه في مثل هذه الأمثلة
١٤ ينبع الفعل من خلال المنطوق ، أو بمعنى آخر تزامن الفعل والمنطوق ، واستخدم
١٥ أيضًا المثال الذي تجده في عمل **أوستن** «هنا افتتح المقابلة» = «أعلنت أن المقابلة
١٦ قد بدأت» ، وبيّن أن قولنا «هنا أفتتح الخطاب/الرسالة» يعد مستحيلًا .
١٧ وكان عالم النفس – الذي عمل في كمبريدج في نهاية القرن التاسع عشر
١٨ – **جورج فريدريك ستو** George Frederick Stout قد تأثر أيضًا **ببرنتانو**
١٩ Brentano **وهيربارت** Herbart **وكانط** ، فطبق فكرة قوى التنظيم الفاعلة داخل
٢٠ الشخص على فهم العالم واستعمال الفرد للغة ، وكان **ستو** مناهضًا للترابطية
٢١ الإنجليزية كما بينها **ألكسندر** بان Alexander Bain (Bain, 1855) على سبيل
٢٢ المثال **وجون ستيوارت مل** John Stuart Mill ، ووضع **ستو** نظرية سياقية للغة
٢٣ تجمع بعض المبادئ التي وجدت فيما بعد لدى مدرسة الجشطالت في علم
٢٤ النفس ، وكان مهتمًا بصورة خاصة بالمفاهيم ذات التحديد السياقي مثل الفاعل
٢٥ والمبتدأ ، ومن ثم تتحدى بصورة ضمنية التحليل اللغوي القائم على المنطق

١ وحده ، وعليه فقد شارك **ستو** في تطوير فلسفة اللغة الطبيعية في كمبريدج .
٢ وحظي العمل النفسي لكل من **بولان وستو** على تقدير الفيلسوفة
٣ الإنجليزية الليدي **فيكتوريا ويلبي** Lady Victoria Welby الذي بدأ عملها في
٤ المعنى – (تحت مسمى علم الرموز Significs) –مدرسة إنجليزية ألمانية في
٥ التداولية– سميت (الرمزية Significa) – حيث برزت أهمية السياق واستعمال
٦ اللغة ، وأخذت في اعتبارها مجمل الحدث الكلامي بما ينطوي عليه من قصد
٧ المتكلم وتأويل المستمع (see Schmitz, 1990) .
٨ وكانت المدرسة السياقية الإنجليزية (السير **ألن هيندرسون جاردنر** Sir Alan
٩ Henderson Gardiner وبرونسلاو مالينوفسكي Bronislaw Malinowski **وجون**
١٠ **رابرت فيرث** John Rupert Firth) قد اعتمدت بصورة جزئية على عمل ويلبي
١١ من ناحية (كما اعتمدت فيما بعد على عمل **أوجدن وريتشاردز** اللذين يمكن
١٢ عدهما وظيفيين) وعلى عمل **فاجنر** من ناحية أخرى (الذي كان أقل
١٣ ميتافيزيقية وأكثر تداولية من عمل **ويلبي**) ، حيث أراد **جاردنر** تحليل «أفعال
١٤ الكلام» ، وعمل **فيرث** على تحليل «الأحداث الكلامية» بصورة كلية ، كما أراد
١٥ **مالينوفسكي** دراسة المعنى باعتباره فعلًا . وفي حاشيته الشهيرة حول المعنى في
١٦ اللغات البدائية التي صنعها على كتاب **أوجدن وريتشاردز** «معنى المعنى»
١٧ افترض **مالينوفسكي** أن اللغة نمط من أنماط الفعل والتعاون بين الناس بصورة
١٨ خاصة (Malinowski, 1923: 315) .
١٩ وقد احتوى «معنى المعنى» أيضًا على مستخلص لعمل **بيرس** في
٢٠ السيميائية كنتيجة مباشرة لتأثير **الليدي ويلبي** ، وفي السنوات الأولى من
٢١ القرن العشرين تراسلت **ليدي ويلبي** مع أبي التداولية والسيميائية الفيلسوف
٢٢ الأمريكي **شارلز ساندرس بيرس** ، وكان **بيرس** قد ورث مفهوم التداولية عن
٢٣ **كانط** (من خلال تفريق كانط بين التفكير العملي من النوع النقي ، والتفكير
٢٤ التداولي من النوع الإمبريقي) كما قد عرف الأدب السيميائي القديم أيضًا بداية
٢٥ من الفيلسوف **بيتر أوف سبان** Peter of Spain حتى **لوك وريد وويلبي** ، واشتق

١ نظيره عالم النفس التداولي **وليام جيمز** William James **مصطلح** التداولية –
٢ على العكس منه – من الكلمة اليونانية pragma التي تعني «عملي» أو «فعل» .
٣ وبينما أصبحت تداولية **بيرس** (المصطلح الذي قدمه بيرس كي يناهض عمل
٤ **جيمس**) جزءاً من سيميائيته ، كانت تداولية **جيمس** قد أصبحت جزءاً من
٥ نظرية الصدق وسيكولوجيته المؤسسة بصورة أخلاقية .
٦ وبإيعاز جزئي من بعض مبادئ التداولية ونظرية **أوجدن وريتشاردز** الخاصة
٧ بالرموز والعلامات وكذلك التطورات الحاصلة في السلوكية المنطقية والوضعية
٨ المنطقية اشتهر الأمريكي **شارلز موريس** بتقسيمه السيميائيات على أقسام ثلاثة
٩ هي : الدلالة ، وهي دراسة العلاقة بين الكلمات والعالم ، والتركيب وهي دراسة
١٠ العلاقة بين الكلمات بعضها البعض ، والتداولية وهي دراسة العلاقة بين
١١ الكلمات ومستخدميها (Morris, 1938) ، وجعل **موريس** هذه الأقسام أساسًا
١٢ للنمط السلوكي من السيميائية .
١٣ إن مشكلة المعنى المهمة بالنسبة لكل من **الليدي ويلبي** والتداوليين
١٤ أصبحت محل اهتمام الفكر الفلسفي بصورة عامة ، وكانت هذه القضية موجودة
١٥ في بريطانيا بصورة خاصة حيث أدخلت بعض الأسس اللغوية والتداولية إلى
١٦ فلسفة اللغة وذلك منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين .
١٧ وبصورة مبدئية استخدم الفلاسفة – أمثال فيلسوف أكسفورد العالم الكلاسيكي
١٨ أوستن – التحليل اللغوي من أجل الوصول إلى وضوح فلسفي وبعدها استخدم
١٩ اللغويون المناهج الفلسفية –مثل المنهج الذي دافع عنه **أوستن**– لدراسة أبعاد
٢٠ أكثر اتساعًا في دراسة اللغة . وهنا يمكننا تتبع نمط من التفكير يبدأ من **جوتلب**
٢١ **فريجه** Gottlob Frege ، ويمتد إلى **رسل وفتجنشتين** في مراحله الأولى ،
٢٢ **وفتجنشتين** في مرحلته المتأخرة ، **وجلبرت ريال** Gilbert P. Ryle **وبيتر**
٢٣ **ستراوسن** Peter F. Strawson **وأوستن وجرايس** ، وينتهي عند **سيرل** الذي كتب
٢٤ رسالته للدكتوراه بجامعة أكسفورد تحت إشراف **أوستن وستراوسن** حول مفهوم
٢٥ **فريجه** للمرجع والدلالة ، ويمكن أن يعود مفهوم **سيرل** «القوة الإنجازية

١ Illocutionary Force» ذلك المفهوم المحوري في الدرس التداولي إلى **فريجه** .

٢

٣ **التداولية والسيميائية ونظرية أفعال الكلام:**

٤ كما رأينا سابقًا اشترك العديد من علماء النفس والفلاسفة واللغويون حول
٥ ما أسماه **مالينوفسكي** «الأيديولوجية التداولية Pragmatic Weltanschauung»
٦ وذلك في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فجميعهم ينظر إلى
٧ اللغة على أنها نمط من الفعل والتفاعل . وهذا المفهوم لم يكن معروفًا لدى
٨ **أوستن** الذي قرأ **جاردنير وموريس وبيرس** وآخرين ، على أية حال يبدو أن
٩ **أوستن** لم يرد أن يرتبط بالتداولية السياقية الوظيفية التي تطورت بالقرب منه
١٠ (Nerlich, 1996) ولا بالتداولية النفعية السلوكية السيميائية التي تطورت على
١١ الجانب الآخر من الأطلسي على يد **موريس** ، ولا بالنمط الصوري من التداولية
١٢ التي تطورت على يد فلاسفة اللغة أمثال **رادولف كارناب** ، كما لم يقبل **أوستن**
١٣ التقسيم الثلاثي الذي قسم عليه **موريس** السيميائية إلى : التركيب ، والدلالة ،
١٤ والتداولية ، وكان أوستن قد بين هذا سنة ١٩٤٠ بقوله : «الآن ، لا يكمن سبب
١٥ عدم قدرتي على النطق بجملة مثل : (القطة فوق السجادة ولا أعتقد هذا) في
١٦ أن مثل هذا القول يسيء إلى التركيب فقط من خلال كونه قولًا متناقضًا بطريقة
١٧ ما ؛ ذلك أن ما يمنعني من إيراد هذه الجملة أيضًا هو شيء مضمر بطبيعة الحال
١٨ يخص العرف الدلالي حول الطريقة التي تستخدم بها الكلمات داخل الموقف»
١٩ (Austin, 1963 [1940]: 10) . وقوله : «إن اللغة المثالية المفترضة . . . تعد نموذجًا
٢٠ غير متكافئ مع اللغة الواقعية بطرق عديدة ، فعزلها التركيب عن الدلالة ،
٢١ وقائمة القواعد والمبادئ المصاغة فيها بصورة واضحة ، وفصل جميع هذه المجالات
٢٢ عن العمل جعلها أمرًا مضللًا حيث لا تمتلك اللغة الواقعية حدودًا صارمة تفصل
٢٣ بين مجالات عمل القواعد أو بين ما هو تركيبي وما هو دلالي فصلًا حادًا»
٢٤ (Austin, 1963 [1940]: 13) .

٢٥ ومن المذهل أن نرى **أوستن** لم يستخدم مصطلح التداولية في هذا السياق

١ وكأنه ينادي بصورة ضمنية بالمزج بين التركيب والدلالة وتضمينهما التداولية
٢ بوصفها دراسة للكلمات أو العلامات في مقام الفعل الكلامي .
٣

٤ **النتائج:**

٥ قبل **أوستن** أقام المفكرون أسسًا مهمة للتداولية وأكدوا على النقاط التالية :
٦ ❊ لا تستخدم العلامات في التعبير عن الفكر فقط ، ولكنها تمتلك العديد من
٧ الوظائف الأخرى .
٨ ❊ العلامات لا تمتلك فقط وظيفة فكرية ، بل إنها ذات وظيفة تأثيرية أيضًا .
٩ ❊ لاستعمال العلامات ثلاث وظائف أساسية هي : التمثيلية والتعبيرية
١٠ والندائية .
١١ ❊ يمكن فهم العلامات فقط من خلال سياق الموقف الذي تستخدم فيه .
١٢ ❊ عملية التحدث عملية ذات فعل موجه الهدف .
١٣ ❊ العلامات هي وسائل بناء فعل الكلام وينجم عن استعمالها آثار ونتائج
١٤ عملية .
١٥ ❊ تستخدم العلامات بصفة أساسية بقصد التأثير على الآخرين .
١٦ ❊ توظف العلامات في الحوار والمحادثة ، ويعد التبادل بين المتكلم والمستمع أمرًا
١٧ مهمًا .
١٨ ❊ تستخدم العلامات في تنسيق السلوك البشري .
١٩ ❊ ترتبط بعض العلامات من خلال خاصتها الإشارية بالواقع وبمستخدمي
٢٠ اللغة .
٢١ وفي وقت متأخر إلى حد ما وجدت بعض الأفكار في سياق تطور التداولية
٢٢ منها :
٢٣ ❊ بعض الأفعال الكلامية ذاتية الدلالة .
٢٤ ❊ بقولنا شيئًا ما نصنع شيئًا ما .
٢٥

Bibliography

Austin J.L. (1963 [1940]).

The meaning of a word. In Caton C.E. (ed.) Philosophy and ordinary language. Urbana: University of Illinois Press. 1-21.

Bain A. (1855).

The senses and the intellect. London: John W. Parker and Son.

Beaugrande R. de (1996).

The story of discourse analysis. In van Dijk T. (ed.) Introduction to Discourse Analysis. London: Sage. 35-62.

Bréal M. (1877).

Mélanges de mythologie et de linguistique. Paris: Hachette.

------ (1964 [1900]).

Semantics: Studies in the science of meaning. tr. Cust, Mrs. H. New York: Dover Publications. (Replication of the 1900 edn., London: Henry Holt &Co., which contained a preface and an appendix by J.P. Postgate).

Buhler , K. (1965 [1934]).

Sprachtheorie. Die Darstellungsfunktion der Sprache (2nd edn.). Jena: Fischer. Stuttgart: Fischer. Also (1982). 3rd edn. Stuttgart/New York: Fischer.

Halliday M.A.K. (1978).

Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning. London: Edward Arnold.

١ Humboldt W. von (1963 [1827]).

٢ Ueber den Dualis. In Flitner A. & Giel K.B. (eds.) Werke in F?nf
٣ Banden, (Schriften zur Sprachphilosophie). Also (1980). (3rd edn.)
٤ Darmstadt: Buchgesellschaft. 113-143.

٥ Koschmieder E. (1965 [1945]).

٦ Zur Bestimmung der Funktion grammatischer Kategorien. In Beitrage
٧ zur allgemeinen Syntax (Bibliothek der allgem. Sprachwissenschaft,
٨ Zweite Reihe: Einzeluntersuchungen und Darstellungen zur allgemeinen
٩ Sprachwissenschaft). Heidelberg: Winter. 9-69. (First publ. in
١٠ Abhandlungen d. Bayer. Akad. d. Wiss., Neue Folge, Heft 25.5-64.).

١١ Malinowski B. (1923).

١٢ The problem of meaning in primitive languages. In Ogden C.K. &
١٣ Richards I.A. (eds.) The meaning of meaning. Supplement I. New York:
١٤ Harcourt, Brace. Also (1953). London: Routledge & Kegan Paul.

١٥ Mey J.L. (1979).

١٦ Zur kritischen Sprachtheorie. In Mey J.L. (ed.) Pragmalinguistics:
١٧ Theory and practice, vol. 1: Rasmus Rask Series in Pragmatic
١٨ Linguistics. The Hague: Mouton Publishers. 411-434.

١٩ Mey J.L. (1985).

٢٠ Whose language? A study in linguistic pragmatics. Amsterdam &
٢١ Philadelphia: Benjamins.

٢٢ - - - - (2001).

٢٣ Pragmatics: An introduction (2nd edn.). Oxford: Blackwell.

٢٤ Morris C.W. (1938).

٢٥ Foundations of the theory of signs.Chicago: University of Chicago

Press. International encyclopedia of unified science, vol. 1, no. 2. Chicago:Chicago: University of Chicago Press.

Nerlich B. (1996).

Egyptology, linguistics and anthropology: Malinowski and Gardiner on the functions of language. In Law V. & Hullen V. (eds.) Linguists and their diversions. Festschrift for Robert H. Robins on his 75th birthday. Munster: Nodus Publikationen. 361-394.

- - - - (2000).

Structuralism, contextualism, dialogism: Voloshinov and Bakhtin's contributions to the debate about the relativity of meaning. Historiographia Linguistica 27/1, 79-102.

Nerlich B. & Clarke D.D. (1996).

Language, action, and context. The early history of pragmatics in Europe and America, 1780-1930. Amsterdam: Benjamins.

- - - - (2000).

Using signs in situations: Pragmatic sign theories before Austin. Recherches sémiotiques/Semiotic inquiry 20/1-2-3, 187-209.

Paulhan F. (1886).

Le langage intérieur et la pensée. Revue Philosophique 21, 26-58.

Perconti P. (1999).

Kantian linguistics: Theories of mental representation and the linguistic transformation of Kantism. Munster: Nodus.

Reid T. (1872).

The works of Thomas Reid. (7th edn.), vols I and II. Edinburgh: Maclachlan and Stewart; London: Longman, Green, Longman, Roberts,

and Green. Also (1967, 1983). Repr. Hildesheim: Olms. Also (1863). (1st edn.)

Reinach A. (1913).
Die apriorischen Grundlagen des burgerlichen Rechts. Jahrbuch fur Philosophie und phanomenologische Forschung I/2, 685-847.

Also in Crosby, J.F. (1913, 1922).
The apriori foundations of the civil law. Also (1983). Aletheia 3, 1-142. (in English).

Schmitz H.W. (1990).
De Hollandse Significa. Een reconstructie van de geschiedenis van 1892 tot 1926. Assen/Maastricht: Van Gorcum.

Smart B.H. (1831).
An outline of sematology: Or an essay towards establishing a new theory of grammar, logic, and rhetoric. London: Richardson. (Published anonymously.).

Stewart D. (1854-1860).
Hamilton Sir W. (ed.). The collected works of Dugald Stewart (11 vols). Edinburgh: Constable.

Vater J.S. (1801).
Versuch einer allgemeinen Sprachlehre. Halle a. d. S.: Renger. (1970). Stuttgart-Bad Canstatt: Friedrich Fromann Verlag.

Wegener P. (1921).
Der Wortsatz. Indogermanische Forschungen 39, 1-26.

Whitaker C.W.A. (1996).
Aristotle's De Interpretatione. Oxford: Oxford University Press.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

هل التداولية علم إمبريقي.؟!

إيفار ج . تونيزن

Pragmatics - An Empirical Science?

Ivar J. Tonissen

Philosophica, 1981, Vol. 27, (1): 95-106.

سأركز في هذا المقال على دراسة اللغات الطبيعية ، وسوف أعد التداولية فرعاً من البحث في اللّغات الطبيعيّة ، وعلى الرّغم من هذا يبدو أنه ليس هناك اتفاق حتى الآن حول نوع النّظريات التي يمكن أن تقع ضمن التّداوليّة حتى لو قصرناها على دراسة اللغات الطّبيعيّة .

في الأصل تم تقديم مصطلح التّداوليّة على يد شارلز موريس Charles Morris كجزء من نظرية العلامات[1] ، ويمكن النّظر إلى اللّغة الطبيعيّة على أنها حالة خاصة من وظيفة العلامات ؛ ومن ثم فإن تعريف التّداوليّة لدى «موريس» ينطبق على دراسة اللّغات الطبيعيّة ، ولتسوية الخلاف حول التّعريف المناسب للتّداوليّة أعتقد أنه ينبغي العودة إلى تعريف «موريس» سنة ١٩٣٨ بما أنه صاحب الحق التّاريخي لهذا المصطلح ، وأن نحاول أن نجد تصورًا مثمرًا للتّداوليّة

---

(1) Charles Morris, Foundations of the Theory of Signs, (1938).

يتماشى وحدود تعريف «موريس» ، إذ عرّف «موريس» التّداوليّة – بشيء من الاتساع – على أنها دراسة العلاقة بين العلامات ومؤوليها ، ولعل الإشارة إلى المؤولين تضع التداولية بعيدًا عن التركيب الذي عرفه «موريس» على أنه موضوع دراسة العلاقات بين العلامات وغيرها ، وتضعها كذلك بعيدًا عن الدلالة التي عرفها على أنها موضوع دراسة العلاقات بين العلامات والأشياء التي تنطبق عليها . إن التقرير الواضح من هذه الفروق الذي ينطبق على دراسة اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية يعود إلى رادولف كارناب Rudolf Carnap حيث بيّن أن النظرية التداولية يمكن أن تتضمن عناصر دلالية وتركيبية(١) .

-١/٠-

بصورة عامة تعد اللسانيات الآن علمًا إمبريقيًا مع بعض الاستثناءات القليلة ، ومن الطبعي تمامًا اعتبار التداولية – بوصفها مكونًا من مكونات دراسة اللغات الطبيعية – فرعًا من هذا العلم الإمبريقي ، على الرغم من بعض التصورات التداولية لا تبدو مناسبة لإطار العلم الإمبريقي(٢) ، وبهذه الرؤية تبدو

---

(1) Rudolf Carnap, Introduction to Semantics, (1962).

(٢) لم أذكر متعمدًا العمل الذي قدمه كاشر Asa Kasher ذلك أنه غير واضح لدي إذا كانت التداولية وفقًا لرؤيته علمًا إمبريقيًا أم لا ، فعلى سبيل المثال يصعب تقييم مبدأ العقلنة لدى كاشر [Asa Kasher (Ed.): Conversational Maxims and Rationality. In Language in Foucus, 1976, p. 210] ، فلا أعرف كيف يتواصل الفاعل العقلاني ، ومن ثم أجد أن تعريف كاشر غير محدد ، انظر : Kasher: Mood Implications: a Logical Way of Doing Generative Pragmatics. In Theoretical Linguistics, No. 1/2, p. 7 and p. 19 فالواضح بالنسبة إليّ أن المناسبة اللغوية يجب أن تكون واضحة ومحددة بصورة جيدة قبل أن تستعمل في تفسير المفاهيم التداولية الأخرى ، وحتى يصدر كاشر طبعة أكثر تماسكاً من عمله فمن المبكر جداً تقييمه ؛ ومن ثم حاولت أن أتجنب مناقشة عمل كاشر في هذه المقالة ، ولكني أبحث عن تفسير لفكرته عن المتكلم المثالي في مجتمعات لغوية مثالية .

١ التداولية بالإضافة إلى ذلك فرعًا من علم معياري يتعامل مع التواصل
٢ العقلاني . فإذا تصورنا التداولية بهذه الطريقة فإن نظرياتها لا يمكن أن تُدحض
٣ من خلال المعطيات القائمة بصورة أساسية على ملاحظة السلوك الإنساني .
٤ ولأن جانبًا كبيرًا من أدبيات اللسانيات يهتم بتأكيد النظريات أو دحضها
٥ باستخدام معطيات إمبريقية ، فإن من الضروري ملاحظة أن هذا النوع من
٦ النشاط لا يتصل بتحديد قيم الصدق للنظريات التداولية بوصفها نظريات
٧ معيارية ، إن المعطيات الإمبريقية يجب أن تبقى متصلة بهذه النظريات ؛ لأنها
٨ سوف تفرض شروطًا إضافية على المعايير المعقولة ، فعلى سبيل المثال المعايير
٩ الخاصة بالتواصل العقلاني – التي لا يمكن للمرء إدراكها بصورة تقريبية –
١٠ ستكون غير مهمة ، ولكنها في الحقيقة ليست خاطئة .
١١
١٢ -٢/٠-
١٣ الآن أقدم بيانًا مقتضبًا لهذا المقال ، في البداية سوف أناقش ما يتعلق
١٤ بمفهوم جريس Paul Grice عن العقلانية ، وكيف يتصل هذا المفهوم بفكرة العلم
١٥ الإمبريقي ، وسوف أفترض أن مفهوم العقلانية هذا مفهوم معياري لا يشكل
١٦ جزءًا من علم إمبريقي ، فإذا كانت التداولية جزءًا من علم إمبريقي لا يمكن أن
١٧ تكون جزءًا من نظرية حول التواصل العقلاني ، ثانيًا : سوف أهتم بالنتائج
١٨ المترتبة على عد التداولية علمًا إمبريقيًا ، ثالثًا : سوف أبحث في إمكانية النظر
١٩ إلى التداولية بصورة معقولة على أنها جزء من هذه النظرية حول التواصل
٢٠ العقلاني ، وفي الخاتمة أحاول تقييم أي البدائل تبدو أكثر منطقية .
٢١
٢٢ -١-
٢٣ كي نبدأ هذا سوف أهتم بمفهوم العقلانية في بعض نظريات التواصل
٢٤ العقلاني ، فالعقلانية – في السياق الذي أقصده – تعنى بصورة واضحة
٢٥ بتأثيرية التواصل ، وأن التواصل العقلاني هو الطريقة الأكبر تأثيرًا في نقل

الرسائل بين الناس ، إن تأثيرية التواصل تتزايد إذا كانت هناك أخطاء قليلة محتملة في عملية النقل ، وإذا كان طول عملية النقل وتعقيدها أقل ، وأعتقد أن هذه الملاحظات العامة تميز بصورة دقيقة -تبعًا لأهدافي- مفهوم العقلانية المقصود هنا ، ولكن من الطبعي أن هذا المفهوم للعقلانية مجرد مفهوم واحد فقط من مفاهيم كثيرة محتملة .

والسؤال الآن هو إذا كان مفهوم العقلانية هذا يمكن أن يقع في إطار علم إمبريقي أم لا ، ومن أجل فهم هذه المسألة سوف أضع مفهوم العلم الإمبريقي في مقابل مفاهيم : العلوم المعيارية ، والعلوم الصورية ، والتخصصات غير العلمية ، وسأتخذ الفيزياء نموذجًا للعلم الإمبريقي ، ونظرية اللعبة كما طورها جون فون نيومان John von Neumann وأوسكار مورجنسترن Oskar Morgenstern نموذجًا للعلم المعياري ، والرياضيات البحتة نموذجًا للعلوم الصورية ، والثيولوجيا نموذجًا للتخصصات غير العلمية ، وفي مقابل الأنواع الأخرى من العلوم التي ذكرتها هنا من المتفق عليه بصورة عامة أن فرضيات علم إمبريقي ما يمكن دحضها ، أو على الأقل لا يمكن تأكيدها بدليل ما يعتمد على الملاحظة[1] . فالدليل يمكن أن يعود دائمًا إلى الملاحظة الحسية من خلال السلاسل العليّة (السببية) ، ولكن ليس من المقبول في العلم تنفيذ هذا البرنامج بصورة فعلية ، علاوة على أنه يجب أن نتذكر أن هذا الدليل هو محمل النظرية دائمًا ؛ لأن السلاسل العلية التي تربط هذا الدليل بالملاحظة الحسية يمكن إنجازها باستخدام نظريات أخرى ، وسوف أسمي هذا النوع من الأدلة الذي ذكرته دليلًا إمبريقيًا ، وبصورة مجملة فالسؤال هنا هو إذا

---

(١) من بين العديد من المصادر يمكننا الإشارة إلى : **Mario Bunge**. Metascientific Queries, (1959), p.33./**Peter Caws**. The Philosophy of Science, (1965). P.137./**Carl G. Hemple.** On the Nature of Mathematical Truth, (1945), p 3; Readings in Philosophical Analysis (1945) edited by Herbert Feigl and Wilfried Sellars (1949)./**Karl Popper**. The Demarcation between Science and Metaphysics. (1955). In Conjectures and Refutations, (1962).

١ كانت النظرية التداولية –وهي جزء من نظرية عامة في التواصل العقلاني– يمكن
٢ دحضها بدليل إمبريقي أم لا ، وإذا كانت النظرية التداولية – التي نفهمها بهذه
٣ الطريقة – يمكن دحضها بالدليل الإمبريقي فإن هذا المفهوم من العقلانية سوف
٤ يقع بالضرورة في إطار نظرية إمبريقية ، من ناحية أخرى إذا كان لا يمكن دحض
٥ مثل هذه النظرية التداولية بدليل إمبريقي ، فإن هذا المفهوم من العقلانية يجب أن
٦ يكون من نوع مختلف عما في النظرية الإمبريقية . وهذا هو الحال لأن هذا المفهوم
٧ من العقلانية هو المفهوم الوحيد في هذه العلاقة الذي ينظر إليه كما لو كان لا
٨ يتناسب مع إطار عمل نظرية إمبريقية ما .

٩ ودعني أجري تجربة عقلية تفحص النظرية التداولية بوصفها جزءاً من نظرية
١٠ التواصل العقلاني ، وأفترض أن التواصل اللفظي الإنساني فشل بوضوح في
١١ تلبية متطلبات النقل الفاعل للأفكار الذي تصفه نظرية تداولية من هذا النوع ،
١٢ وفي هذه الحالة هل يمكن دحض هذه النظرية التداولية بالدليل الإمبريقي؟ من
١٣ الواضح أن الإجابة بالنفي (لا) فهذا يبيّن فقط أن البشر لا يتواصلون بطريقة
١٤ عقلانية تبعًا لهذه النظرية ، والمقصود أنه ليس هناك طريقة لدحض هذا المفهوم
١٥ من العقلانية بالدليل الإمبريقي ، هذه الحقيقة تبيّن بطريقة مناسبة أن هذا
١٦ المفهوم من العقلانية يصف بعض معايير التواصل الفاعل الذي ربما لا يكون
١٧ موجودًا في الواقع الحقيقي ، ومن ثم فإن هذا المفهوم من العقلانية هو مفهوم
١٨ معياري ليس عرضة للدحض بالدليل الإمبريقي .

١٩ ١/١ : لنكرر ما سبق ، هناك اتفاق عام – مع قليل من الاستثناءات– على
٢٠ أن اللسانيات المعاصرة علم إمبريقي أو يجب أن تكون كذلك ، وأعتقد أن
٢١ الباحثين الذين يفترضون أن اللسانيات ليست علمًا إمبريقيًا مخطئون ، ولكن
٢٢ دحض آرائهم يقع بعيدًا عن مجال هذا المقال[1] ، فأنا افترض ببساطة أن

---

٢٣ (١) يعد Esa Itkonen هو الاستثناء الرئيس ، انظر على سبيل المثال مقاله Was Fur Wissenschaft ist die
٢٤ Linguistik eigentlich. In Wissenschaftstheorie der Linguistik (1976) edited by Dieter Wun-
٢٥ derlich ففي هذا العمل وغيره من أعماله العديدة وضع رؤيته التي تشذ بصورة لافتة عما هو مألوف .

١ اللسانيات علم إمبريقي ويجب أن تكون كذلك ، ولعل الدراسة العلمية للغة –
٢ على الرغم من هذا – ليست حكرًا على اللسانيات ، ففروع من علم النفس
٣ وعلم الاجتماع والذكاء الصناعي والفلسفة – على سبيل المثال – تهتم أيضًا
٤ باللغة ، وعندما تتداخل هذه الفروع مع اللسانيات فإن هذا النوع من الدراسة
٥ سوف ينتمي على الأقل إلى علمين ، وداخل هذه المساحات من الدراسة
٦ افترض أن نظريات عديدة حول اللغة الطبيعية يمكن صياغتها ، وسوف أسمي
٧ مجال النظريات المتداخلة هذه نظرية اللغة الطبيعية ، هذا المجال كما أفترض هو
٨ علم إمبريقي ، ويجب النظر إليه على أنه كذلك ، وسوف يجد بعض الفلاسفة
٩ أنه من الغريب أن توجد فروع من الفلسفة بوصفها علومًا إمبريقية ، ولكني
١٠ أعتقد أن هذا هو الحال في الحقيقة ، وأعتقد كذلك أن معظم الباحثين الذين
١١ يتعاملون مع النظريات الدلالية المقترحة بخصوص اللغات الطبيعية داخل مجال
١٢ الفلسفة سوف يتفقون معي على أن مثل هذه النظريات هي نظريات إمبريقية ،
١٣ ولعل عمل تيرنس بارسونز Terence Parsons يمثل حالة نموذجية في هذا
١٤ المجال(١) ، وعليه فإن هناك نظريات فلسفية تشكل نظريات إمبريقية . وأنا لا
١٥ أزعم أن فلسفة اللغة جميعها تقع في إطار العلوم الإمبريقية ، بل على العكس
١٦ من هذا سوف أذكر – على سبيل المثال – بعض أعمال «جريس» حول فلسفة
١٧ اللغة التي تقع خارج حدود العلوم الإمبريقية ، ومازلت أبقي – على الرغم من
١٨ هذا – على أن جميع النظريات التي هي جزء مما أسميته نظرية اللغة تقع في
١٩ حيز العلم الإمبريقي ، بل يجب أن تكون كذلك ، ومن خلال هذا الربط لست
٢٠ مضطرًا إلى تعيين حدود عمل ما –على وجه الدقة– ينتمي إلى نظرية اللغة
٢١ الطبيعية وعمل آخر لا ينتمي إليها ، وسوف يكون كافيًا أن نبين بعض العلوم
٢٢ الجوهرية – مثل : اللسانيات النفسية ، واللسانيات الاجتماعية ، واللسانيات
٢٣

---

٢٤ (١) نسخة غير منشورة من عمل له بعنوان A Semantics for English (1972) تمثل بصورة كاملة رؤى
٢٥ بارسونز ، هذه النسخة ما زالت تمثل معالجة كاملة لتركيب الإنجليزية ودلالاتها .

١ الحاسوبية ، وعلم الدلالة الشكلي بالنسبة للغات الطبيعية – التي يجب أن
٢ يتضمنها هذا المجال بصورة نهائية .
٣ إن مطلبي الأساسي هنا لا يتمثل فيما إذا كانت التداولية جزءاً من المحتوى
٤ الإمبريقي لنظرية اللغة أو أنها يجب أن تكون كذلك ، بل إنها يجب أن تكون
٥ أيضًا علمًا إمبريقيًا ؛ ذلك أن أي مجال فرعي من المحتوى الإمبريقي للعلم
٦ الإمبريقي يجب أن يكون بنفسه علمًا إمبريقيًا .
٧ ٢/١ : كما ذكرت من قبل هناك دليل كاف على أن مفهوم العقلانية الذي
٨ أناقشه هنا في هذا المقال هو مفهوم معياري ؛ لأنه يصف بعض قواعد التواصل
٩ الفاعل ولا يمكن دحضه بدليل إمبريقي ، ولكن على الرغم من هذا هناك
١٠ احتمالية لأن يعيّن مفهوم العقلانية هذا حدود علم إمبريقي ما وإن لم يكن
١١ جزءاً من إطار أية نظرية إمبريقية ، وبهذه الطريقة يمكن لمفهوم «معياري» أن
١٢ يلعب دورًا داخل علم إمبريقي ، على الرغم من أنه ليس جزءاً مباشرًا من أية
١٣ نظرية إمبريقية ، والسؤال الآن هو أي نوع من التأثيرات غير الحقيقية التي يجب
١٤ أن يتجاهلها الفرد حتى يصل إلى جوهر موضوع التواصل ، إن مفهوم تشومسكي
١٥ Chomsky عن الكفاءة يشكل شرطًا مثاليًا لهذا النوع من النظريات النحوية ،
١٦ وهذا المفهوم من العقلانية ربما يلعب دورًا قياسيًا في النظريات التداولية ،
١٧ والسؤال هو إذا ما كان هذان المفهومان يتساويان مع مفهوم علم إمبريقي والعكس
١٨ بالعكس؟ ، أفترض أنهما ليسا كذلك ، أولًا لأن مفهوم الكفاءة وظِّف كي يعمل
١٩ على تجاهل القيود السيكولوجية غير الأساسية بالنسبة لملكة اللغة ، بينما هذا
٢٠ المفهوم من العقلانية يستبعد كثيرًا من الظواهر الهامشية داخل التواصل ، إن
٢١ القدرة على توصيل معلومات مناسبة فقط إلى شخص ما كي لا نجرح شعوره
٢٢ هي السمة الجوهرية للكفاءة التواصلية البشرية ، ولكن هذه القدرة ربما تعوق في
٢٣ الحقيقة معظم النقل الفاعل للمعلومات ، علاوة على أن هذه الوظائف للتواصل
٢٤ البشري ليس إساءة استخدام للتواصل الطبيعي كما في حالة الكذب والخداع ،
٢٥ ثانيًا إن الفرق بين أداء اللغة الفعلي والكفاءة ليس كبيرًا جدًا ، فإذا لم تكن

الكفاءة في معظم الحالات هي اقتراب من الأداء الفعلي للغة من جانب المتحدث الأصلي فإن مفهوم الكفاءة لن يعد شرطًا مثاليًا للاستخدام الفعلي المشترك[١] . إن التواصل العقلاني ليس مثاليًا في حالات وثقافات كثيرة ، والمثالي – على سبيل المثال – أن تصنع انطباعًا جيدًا لدى شخص ما بدلًا من إعطائه معلومات كاملة ذات صلة تشوه مكانتك .

وبالإجمال فإن مفهوم العقلانية المعتبر هنا لا يمكن أن يكون شرطًا حدوديًا لعلم إمبريقي في هذه الحالة ؛ ومن ثم فإن هذه النظرية حول التواصل العقلاني لا يمكن أن تكون علمًا إمبريقيًا لأنها تحوي أفكارًا لا تلعب دورًا في العلم الإمبريقي الذي يتصل بها .

٣/١ : تم النظر إلى التداولية على أنها جزء من نظرية اللغات الطبيعية وفي الوقت نفسه بوصفها جزءاً من هذه النظرية الخاصة بالتواصل العقلاني في عديد من الدراسات الحالية ، ولعل مبادئ «جريس» هي أفضل ما عرف من المعايير العقلانية المقترضة في التداولية والتي سوف أناقشها فيما بعد ، ولقد وسّع جيرالد جازدر Gerald Gazdar –على سبيل المثال– مجال تطبيق هذه المبادئ على ما يسمى التداولية ذات التوجه الإمبريقي ، وذلك في كتابه التداولية Pragmatics[٢] . ومن خلال هذا التوسع قام جازدر أيضًا بفصل هذه المبادئ عن سياقها لدى «جريس» ، ولأن محاولته هذه هي الأكثر نجاحًا في تحقيق الغرض من هذا المنظور ، فسوف أركز على هذا النوع من عمله حينما أناقش التداولية بوصفها علمًا معياريًا ، وفي هذا النوع من العمل لا أريد أن أضم إليه أعمالًا أخرى كانت أكبر حرصًا في صياغتها .

من المهم هنا أن نبيّن أن مبادئ «جريس» كان لها تأثير كبير على التداولية

---

(١) ربما استمرت رؤيتها بوصفها أَمْثَلة لحالات خاصة .

(٢) Gerald Gazdar. Pragmatics, (1979) من أفضل الأعمال التي تتماشى ومقترحاتنا ، وتمثل الصفحات من ٥٥ إلى ٦٢ جزءاً منها .

١ وأن كثيرًا من الكتّاب قد استخدم هذه المبادئ ، ولقد اخترت من أجل ذلك أن
٢ أذكر فقط مثالًا جيدًا من هذا العمل يمثل بصورة مناسبة الاتجاه المعاصر في
٣ التداولية ، وبسبب ضيق المساحة هنا أفترض للأسف أن القارئ على دراية
٤ بنظرية «جازدر» ، على سبيل المثال في الصفحة الثامنة والخمسين من الكتاب
٥ دمج «جازدر» بشكل واضح أحد مبادئ «جريس» فيما يفترض أنه نظرية
٦ إمبريقية ، وأخذ هذا المبدأ بعيدًا عن سياق استخدامه داخل عمل «جريس» ،
٧ بصورة مجملة إن مصطلح جازدر «im-plicature الاقتضاء» يبدو جذابًا ؛ لأن
٨ مقبوليته تعتمد على صورة خاصة من مبدأ الكمية Quantity لدى
٩ «جريس»[١] ، وباعتبار أن هذا المبدأ ليس مفهومًا إمبريقيًا فإن مصطلح الاقتضاء
١٠ يعوزه المحتوى الإمبريقي ؛ بمعنى أنه من المستحيل رفض الاقتضاء المزعوم الذي
١١ يتطابق مع تعريفه (IV) من خلال الاستشهاد بمعطيات إمبريقية ، على سبيل
١٢ المثال تخيل مجتمعًا لغويًا تستخدَم فيه الفونولوجيا والتركيب والدلالة بطريقة
١٣ موحدة ، ولكن مستخدمي اللغة لهم معتقدات ومقاصد ليست مسطورة بصورة
١٤ مناسبة داخل النصوص المتاحة ، هذه الصورة عن خلفية اللغة تبدو ملائمة
١٥ لمفهوم «تشومسكي» عن الموقف المثالي لبحث اللغة الطبيعية ، إن رؤية «جازدر»
١٦ كما أفهمها – والتي تكمن في أن باحث اللغة الطبيعية لا يمتلك فقط الاقتراب
١٧ من بعض أنواع مواد اللغة المنطوقة والمكتوبة ، بل له أيضًا قدرة عجيبة على النظر
١٨ مباشرة إلى عقول المتكلمين – أي : مفهوم السياق فوق اللغوي – تتعارض مع
١٩ التراث اللغوي ، فتبعًا لهذا التراث لا يعد عقل المتكلم جزءاً من المعطيات
٢٠ الإمبريقية المتاحة بشكل مباشر للباحث اللغوي ، وبدلًا من هذا فإن الطريقة
٢١ التي يعمل من خلالها عقل المتكلم يمكن بيانها من خلال المعطيات الإمبريقية
٢٢ المتاحة التي تقوم على النصوص ، وتحليل الخطابات ، واختبارات استنباط
٢٣ الأحكام وغيرها ، فبالاعتماد على هذا الدليل غير المباشر يمكن للباحث اللغوي
٢٤

٢٥ (١) في الصفحة ٥٥ يعترف جازدر أن مفهومه هذا عن الاقتضاء يعتمد على مبدأ الكمية لدى جريس .

أن يعيد – بطريقة ما – بناء ما يحصل في عقل المتكلم ، ولكن يظل نجاحه يعتمد بصورة كبيرة على نوعية البيانات غير المباشرة التي سوف يبدأ بها ، وافترض الآن أن عضوًا من مجتمع لغوي هو A يقول : «أعتقد أن X فعل غير أخلاقي» وافترض أيضًا بالإضافة إلى هذا أن هذا العضو هو راو موضوعي شديد الحساسية للأمور الأخلاقية ، وأنه يؤمن بأن المعتقدات الأساسية حول القواعد الأخلاقية تتساوى بالقدر نفسه مع معرفة هذه القواعد ، فعندما يقول A : «اعتقد أن x فعل غير أخلاقي» فهو ليس مستعدًا بالتأكيد لقبول جملة «أنا لا أعرف إذا ما كان x فعلا غير أخلاقي» ، لذا –ووفقًا لتعريف «جازدر»– فإن الجملة الأخيرة هي اقتضاء واضح لجملة A الأولى[1] ، وعليه فإنه عندما ينطق بالجملة الأولى ربما يكون مصرًا على الحديث إلى جميع المستمعين حول المعتقدات الأخلاقية بوصفه راويًا موضوعيًا تبعًا للفرضية التي تقول بأن هذا هو قصده الواضح ؛ ومن ثم فالخروقات المقصودة لقاعدة (الكمية) لدى «جريس» ومفهوم «جازدر» للاقتضاء لا تناسب هذه الحالة ، ففي هذا المثال تفشل النصوص في تقديم الدليل الكافي لإبطال هذا الاقتضاء ، ولكن فكرة إبطال الاقتضاء هي فكرة غير جديرة أن نبدأ بها ، فمن غير المعقول أن نبدأ – أولًا – ببناء الاقتضاءات ؛ ومن ثم أن نحاول – ثانيًا – تجزئتها بأداة قوية تعتمد على معرفة كاملة بجميع السياقات وراء اللسانية ذات الصلة كما فعل «جازدر» ؛ ذلك أن الاقتضاءات لن تخرج إلى حيز الوجود في هذه الحالة ، وعلى الرغم من أن مثالي لا يدحض نظرية الاقتضاءات إلا أنه يبين فقط أن المفهوم غير مناسب ، فما يبينه مثالي هو أن الاقتضاءات الحقيقية ليست منفصلة عن نوايا ومعتقدات متحدثي لغة معينة ، وأن هذه النوايا والمعتقدات قد يعرفها باحث اللغة بصورة جزئية فقط .

---

(١) في الصفحة ٥٨ يقول جازدر إن « . . . علم واعتقد . . .» مقياس ، وفي الصفحة ٦١ في مثاليه رقم ٧١ ، و ٧٢ استخدم جازدر هذا المقياس .

٤/١ : مما سبق يمكننا القول إن التداولية يجب النظر إليها كجزء من نظرية اللغات الطبيعية بعيدًا عن دراسة التواصل العقلاني الذي تصبح فيه علمًا إمبريقيًا ، أو كجزء من الدراسة المعيارية حول التواصل العقلاني ، ولكن لا تجمع بينهما معًا ، وإن القصد إلى تضمين التداولية – كعلم إمبريقي – مفهوم التواصل العقلاني قصد خاطئ ببساطة ، وفي الجزء التالي سوف أبحث النتائج المترتبة على هذا .

-٢-

ولنبدأ هذا سوف أناقش الرؤية التي مفادها أن التداولية علم إمبريقي وجزء من نظرية اللغة .

١/٢ : يمكن لنا أن نميز بين مستويات مختلفة من التداولية ، وأعتقد أن هناك ثلاثة مستويات رئيسة لها ، وأن التفريق بين هذه المستويات يساعد على فهمها باعتبارها علمًا إمبريقيًا ، فعمل ريتشارد مارتن Richard M. Martin يقترح علينا وجوب النظر إلى مستويات التداولية[١] ، ولأنني –على الرغم من ذلك– لا أتفق مع بعض مقترحات محددة في عمل «مارتن» سوف أضع هنا تصنيفي الخاص[٢] :

المستوى الأول من التداولية يتعامل مع علاقة مستخدمي اللغة –أي المتكلم والمستمع– بالتركيب والدلالة وفونولوجيا اللغة التي يستخدمونها ،

---

(١) ناقش ريتشارد مارتن مفهوم مستويات التداولية في الصفحة ٩ من كتابه Richard M. Martin. Toward a Systematic Pragmatics, (1959) .

(٢) انظر مارتن : المرجع السابق ، ويبدو لي أن المستوى الأول من التداولية لدى مارتن يفترض مسبقًا المستوى الثالث لها ، ولا أريد أن أؤكد على هذه الفكرة ، ولكن يبدو أن مارتن نفسه قد فعل هذا ، ومن ثم يبدو أن هذه المستويات بمقياسه هو مشكوك فيها ، وبدلًا من هذا وضعت تأكيدًا على درجة تعقيد الظاهرة في كل مستوى وذلك بوضع أقلها تعقيدًا داخل المستوى الأول وهكذا .

١ وأعني بالعلاقات هنا العلاقات الخارجية البعيدة عن عقل المستخدمين التي
٢ تتطلبها جميع الأنحاء Grammars ، ويتضمن المستوى الأول وظائف الإشاريات
٣ والإحالة إلى الأشخاص غير الموجودين في النص والتنغيم المعطى لتأكيد عنصر
٤ ما مرغوب وغير ذلك .
٥ المستوى الثاني من التداولية يهتم بالعلاقات الداخلية بين المستخدمين ،
٦ مثل العلاقة داخل عقل المستخدمين التي تجمع بين المستخدمين وسياقهم
٧ الاجتماعي ، ويتضمن هذا المستوى الافتراضات المسبقة والمعاني المقترحة ،
٨ ولعل باحثي اللغة الطبيعية لا يصلون مباشرة إلى المعلومات الخاصة بهذا
٩ المستوى ، ولكن يجب عليهم بناؤها من المعطيات الإمبريقية المتاحة .
١٠ المستوى الثالث من التداولية يتعامل مع التواصل الذي يجري بين
١١ مستخدمي اللغة موضع الاعتبار ، وأعني بالتواصل جميع أنواع تبادل الأفكار ،
١٢ وفي هذا المستوى من الطبعي التغاضي عن أخطاء التواصل ودراسة كفاءة
١٣ التواصل البشري اللفظي ، الذي -كما ناقشت سابقًا- لا يتضمن أي مفهوم
١٤ للعقلانية بمعنى النقل الفاعل للمعلومات .
١٥ ولتحديد جميع هذه الوظائف لاستعمال اللغة فإن كلا من السياقات
١٦ اللغوية وفوق اللغوية تعلب دورًا جوهريًا ، إن تصنيفي هذا يبين أن هناك ظواهر
١٧ عديدة – يمكن رؤيتها كجزء من التداولية – هي جزء من التداولية التي يمكن
١٨ اعتبارها علمًا إمبريقيًا .
١٩ ٢/٢ : ما ينقصنا هنا هو مبادئ «جريس» وجميع النتائج المترتبة عليها
٢٠ والمفاهيم المشابهة لها ، وسأعمل على أن يكون واضحًا أن عزل المفاهيم المعيارية
٢١ عن التداولية لن يجعلها مجالًا فارغًا ، وبعيدًا عن هذا هناك بحث موسع لابد
٢٢ من إنجازه في العديد من المجالات التي تعد بالفعل جزءًا من التداولية ، وفي
٢٣ النهاية لابد من النظر إليها منفصلة حتى نرى إذا ما كانت تنضوي تحت
٢٤ مجالات العلم الإمبريقي أم لا ، وهدفي وراء هذا خلق إدراك واع بهذه
٢٥ المشكلة .

-٣-

من الملائم في هذه المرحلة اعتبار التداولية جزءاً من نظرية التواصل العقلاني الذي ناقشته سابقًا وليست جزءاً من نظرية اللغات .

١/٣ : السؤال الأول حول أي نوع من التواصل العقلاني تقترحه مبادئ «جريس» ، وللإجابة عن هذا يجب مناقشة هذه المبادئ بشيء من التفصيل[(١)] ، هذه المبادئ هي : (١) الكمية Quantity ، وهي أن تجعل مشاركتك تحتوي على قدر من المعلومات يتطلبها الغرض من الحديث ، ولا تكون زائدة عما هو ضروري ،(٢) النوعية Quality ، وهي أن تجعل مشاركتك صحيحة ، ولا تصرح بما تعتقد أنه خطأ أو ينقصك عليه الدليل ، (٣) الصلة Relation ، وهي أن تجعل حديثك ملائمًا ، (٤) الطريقة Manner ، وهي أن تكون واضحًا تتجنب غموض التعبيرات وإبهامها ويكون حديثك موجزًا ومرتبًا ، ومن المنطقي والمعقول – على الرغم من هذا – أن يتم اختراق هذه المبادئ خاصة إذا ما أخذت بعيدًا عن سياقها لدى «جريس» كما فعل «جازدر» ومتوقع من الكثيرين أن يفعلوا مثله ، خذ أولًا –على سبيل المثال– مبدأ (الكمية) إذ من المحتمل أن تكون متحفظًا وتعطي معلومات أقل مما هو مطلوب عندما يسألك منافسوك في العمل ، وثانيًا إذا أخذنا مبدأ (النوعية) فربما تنتصح بعدم ذكر الحقيقة إذا كنت تخبر الأطفال أو توضح للناس بعض الحقائق المخيبة للآمال ، وإذا أخذنا ثالثًا مبدأ (الصلة) ربما يكون مخرجك هو عدم مراعاة هذا المبدأ إذا كنت بشأن الإجابة عن ظروف لا تريد توضيحها ، ورابعًا إذا أخذنا مبدأ (الطريقة) فستجد أن الدبلوماسيين دائمًا يستخدمون لغة غامضة كي تبدو الممارسات مقبولة لأسباب وجيهة ، فإشارة التوقيع على معاهدة ما ربما كانت أكثر أهمية من الموافقة الفعلية على التفاصيل ، فعدم مراعاة الترتيب ربما يخلق أثرًا فاعلًا يفهمه القارئ بيسر ،

---

(1) Paul Grice. Logic and Conversation, (1967). In Syntax and Semantics Volume 3 edited by Peter Cole and Jerry Morgan, (1975), see pp. 45-47.

١ وقد يكون هذا الأثر هزليًا (فكاهيًا) أو يحمل بعض المشاعر ، وهذا يبين –
٢ حسبما أعتقد – أن مبادئ «جريس» قصد بها نقل فعّال للمعلومات بين شركاء
٣ يعزون أهمية قصوى لتبادل المعنى الوصفي باستخدام جهد أقل ، وهذا أمر
٤ واضح بصورة نموذجية في حالات كثيرة من التواصل بين البشر ، إن مبادئ
٥ «جريس» معيارية بطبيعتها ولا يمكن دحضها بأمثلة مضادة واقعية ، وهذا يوضح
٦ أنها لا يمكن أن تعمل بوصفها شروطًا داخل علم إمبريقي ، كذا يمكن اعتبار هذه
٧ المبادئ نمذجة مثالية للتواصل اللفظي الفعلي حيث لا تتماشى والمقاصد
٨ الإنسانية الأساسية من التواصل في الحالات التي أشرت إليها آنفًا . اضطر
٩ «جريس» في سبيل دراسة تبادل معلومات أكثر فعالية إلى تقنين النوايا البشرية
١٠ في مبادئه ؛ ومن ثم لا تلعب هذه المبادئ أي دور داخل العلم الإمبريقي ،
١١ بالطبع هناك مهمة إمبريقية لدراسة ما إذا كان الناس يتبعون هذه القواعد أم لا ،
١٢ ولكن هذا لا يجعلها جزءًا من إطار العمل داخل العلم الإمبريقي ، وملاحظتي
١٣ الأخيرة هنا أنه حتى بعض المفاهيم القائمة على مبادئ «جريس» لا يمكن
١٤ دحضها ومع ذلك ستبقى غير معقولة ، ولكن عدم معقوليتها هذه ليست بالأمر
١٥ المماثل للدحض .

١٦ في هذا الصدد أريد أيضًا أن اقترح أن مفهوم الاقتضاء يمكن أن يدرس
١٧ بصورة جيدة دون اللجوء إلى مبادئ «جريس» ، غير أن مناقشة مثل هذا الأمر
١٨ بالتفصيل تقع بعيدًا عن إطار هذا البحث ، وأشك – على الرغم من هذا – في
١٩ أن يرتبط الاقتضاء بتقديرات احتمالية موضوعية .

٢٠ السؤال الثاني هو : ما نظرية التواصل العقلاني؟ وعلى أي أسس يمكن أن
٢١ نرفض هذه النظرية أو نقبلها؟ فبجانب المقبولية الرسمية يجب أن تتحلى
٢٢ النظرية ببعض الأمور البديهية حتى يتم قبولها ، وهذا ليس كل ما هو مطلوب ،
٢٣ ولكن حتى اليوم من الصعب أن نقول المزيد ؛ لأنه ليس هناك أحد – على حد
٢٤ علمي – قد اقترح نظرية دقيقة حول التواصل العقلاني ، ولعل محاولات
٢٥ يورجن هابرماس Jurgen Habermas تعد أكثر تنظيمًا وأقل رسمية لتقدم يد

العون[١] ، فعندما قدم دراسات تخطيطية لجميع أشكال التواصل الإنساني فشل في تقديم دليل أكبر دعمًا ، وكان يجب عليه على الأقل أن يبرهن على أن مخططاته قابلة للتجريب ، ولكن لسوء الحظ وجدتُ أن مناقشاته غالبًا ما تكون غير مقنعة[٢] ، فما نحتاجه هو شيء يشبه العمل الرسمي لنظرية اللعب ، إن إصدارًا أكثر حفزًا وتقريرية لنظرية التواصل العقلاني سوف يفسر مشكلات هذا المجال المعياري .

-٣-

كما ذكرت إن نظرية كافية حول التواصل العقلاني غير موجودة اليوم ، وهذا يجعل من الصعب تقييم الرؤية الخاصة باعتبار التداولية جزءاً من اختصاص حول التواصل العقلاني ، وأشك – على الرغم من هذا – في أن نظرية وافية حول التواصل العقلاني سوف يتم اقتراحها في المستقبل القريب ، وهذا يجعل من الصعب النظر في قيمة التداولية بوصفها علمًا إمبريقيًا خلال الفترة الزمنية ذاتها .

---

(1) Jurgen Habermas. What is Universal Pragmatics. (1976) translated by Thomas McCarthy in Communication and the Evolution of society, (1976).

(٢) انظر المرجع السابق الحاشية رقم ٢ ، والصفحات من ٢٠٨ : ٢١٠ ، والصفحة ٤٠ ، والمناقشة في الصفحات من ٢ : ٤ ، فكثير من حالات التواصل والفهم تجري وإن لم يثق المتحدثون في بعضهم البعض ، فالمعالج النفسي أثناء جلسة علاج مريض عدواني يستمر في الحصول على المعلومات من هذا المريض ، ولقد فشل هابرماس في مناقشة الأمثلة البديهية المضادة لفرضيته ، وأعتقد أنه فشل أيضًا في فهم وظيفة المنهج العلمي الفرضي– الاستنتاجي ، فالنظريات الإمبريقية يمكن أن تستخدم بوصفها تفسيرات عندما تنجز درجة ملائمة من التأكيد ، ولكن الفرضيات الإمبريقية هي بوضوح ليست تفسيرات بالمفهوم المعتاد ، فتفسير ما قد لا يشكل بصورة واضحة نظرية إمبريقية ، وقد جعل كارناب هذا الأمر واضحًا تمامًا ، وهذا الخطأ جعل مناقشة هابرماس للعلوم الإمبريقية صعبة القبول ، انظر المرجع السابق الصفحات من ٨ إلى ٢٠ .

-٤-

في الختام تبدو التداولية – بوصفها مجالًا معياريًا للدراسة – مجالًا غير واعد في المرحلة الراهنة ، وعلى العكس من هذا فإن التداولية بوصفها علمًا إمبريقيًا لها مستقبل مشرق ؛ ومن ثم أعتقد أنها يجب أن تكون علمًا إمبريقيًا على قدم المساواة مع الدلالة والتركيب والفونولوجيا ، وكما ذكرت سابقًا فإن هذا الاقتراح ستكون له نتائج بعيدة المدى على البحث وتشكل النظرية داخل التداولية .

لماذا تحتاج التداولية الفلسفية إلى تداولية عيادية؟

إِنس أدُرنتِي

Why Philosophical Pragmatics need Clinical Pragmatics?

Ines Adornetti

Humana. Mente Journal of Philosophical Studies, 2012, Vol. 23, 159-174.

ملخص : تهدف هذه الورقة إلى توضيح إمكانية أن تكون التداولية العيادية Clinical Pragmatics معتمدًا مثمرًا للنماذج النظرية الكلاسيكية التي تم اقتراحها من قبل التداولية الفلسفية ، في القسم الأول أزعم أن النظريات التي تمّ اقتراحها في مجال التداولية الفلسفية – تلك التي تم توسيعها على يد أوستن Austin وجريس Grice –ليست مقبولة على مستوى وجهة النظر الإدراكية ، ولهذا السبب– لا يمكن أن تكون مفيدة في فهم الأخلال التداولية Pragmatics Deficits . وفي القسم الثاني أبيّن أن نظرية الملاءمة Relevance Theory ماثلة على هذه الحدود (لكونها تتوافق مع معتمدات التوظيف الفعلي للعقل) ، ولكني أزعم كذلك أنها تعرض رؤية مقيدة للتواصل الإنساني الذي يتم إدماجه في نموذج استعمال اللغة ذلك الذي يولي اهتمامًا كبيرًا بالسمة التداولية المحورية ؛ أي : انسجام الخطاب Coherence of Discourse .

١ **١- مجال التداولية:**

٢ أصبحت التداولية – منذ ظهورها فرعًا من علوم اللغة – موضع عدد كبير
٣ من الخلافات حول طبيعة موضوع درسها ، وحول تعيين هذا الموضوع وتحديده ،
٤ فبينما يتفق علم الدلالة والتركيب – على الأقل على مستوى عام – حول ما
٥ يجب أن يكون مجالًا لدرسه ، ليس هناك إجماع عام بين علماء التداولية على
٦ ما يشكل مجال دراسة هذا العلم ، إن غياب مثل هذا الإجماع يُمْثُل – على
٧ سبيل المثال – في تعريفات مختلفة للتداولية يمكن أن توجد لدى المؤلفين الذين
٨ يتعاملون معها .

٩ فبافتراض مركزية اللغة – على سبيل المثال – عرّف سبربر وويلسن
١٠ (Sperber & Wilson 2005: 468) التداولية عامة على أنها «دراسة استعمال
١١ اللغة» وبصورة أكبر خصوصية على أنها «دراسة كيف تتفاعل العوامل السياقية
١٢ مع المعنى اللغوي لتفسير المنطوقات» ، وانتبه بعض المؤلفين – في مقابل هذا –
١٣ إلى السمات غير اللغوية (النظرات والإشارات والحركات الجسدية ، إلخ)
١٤ ووصفوا السلوك التداولي بأنه لا يعتمد على استعمال اللغة (Dronkers, Ludy,
١٥ & Redfern, 1998) ، وفي حالات أخرى ماز العلماء – على الأقل بصورة
١٦ ضمنية – بين التداولية اللغوية وغير اللغوية عن طريق استعمال مصطلحات
١٧ مثل «تلف اللغة التداولي Pragmatic Language Impairment" (Bishop, 2000
١٨ أو «اضطرابات اللغة التداولية Pragmatic Language Disorders"(Martin &
١٩ MacDonald, 2003) .

٢٠ وفي العقود الحالية تأثر تعريف التداولية – بصورة قوية – بالنتائج المستوحاة
٢١ من التداولية العيادية ؛ إذ أتاحت دراسة الحالات العيادية مصدرًا قيمًا وجديدًا
٢٢ للمعطيات كما أخذت في اعتبارها القضايا المألوفة في التداولية اللسانية
٢٣ والفلسفية (على سبيل المثال دراسة Cummings, 2009; Perkins,2007) ، ومن
٢٤ الأُسس التي يقوم عليها هذا النوع من المقاربة المنهجية أن دراسة الأخلال
٢٥ التداولية تمكننا من تعيين القدرات والعمليات الكامنة خلف السلوك التداولي ،

١ والشيء المهم أننا سنكون على وعي بطبيعة هذه الآليات والعمليات عن طريق
٢ فحص ما يحدث عندما تؤدي [تلك العمليات] إلى خطأ ما ؛ ومن ثمَّ يمكننا –
٣ من هذا المنظور – اقتراح نموذج من التداولية يأخذ في اعتباره المقبولية الإدراكية
٤ حيث (يجب أن يكون النموذج التأويلي متوافقًا مع المعرفة المتعلقة بتوظيف
٥ عقلنا) . وسأفترض – في هذه الورقة – أن التعريف التالي الذي اقترحه كومنز
٦ (Cummings, 2009: p.6) هو تعريف مهم للتداولية العيادية :
٧ «التداولية العيادية هي دراسة الطرق المختلفة التي يتعطل بها استعمال
٨ اللغة في إنجاز أغراض تواصلية لدى الفرد ؛ فالإصابة الدماغية والأمراض أو
٩ الانحرافات الأخرى التي تتسبب في هذا الخلل تبدأ في الفترة التطورية وخلال
١٠ مرحلة البلوغ أو المراهقة ، أما الاضطرابات التداولية المكتسبة أو التطورية فلها
١١ أسباب مرضية متعددة وربما تكون ناتجة عن عدد من العوامل اللسانية والإدراكية
١٢ ذات الصلة» .
١٣ وأرنو هنا إلى بيان أن فهمنا للتداولية يمكن أن يثمر ويتسع أيضًا عن طريق
١٤ دراسة الأخلال التداولية ، وفي القسم التالي أهدف إلى مناقشة ميزات هذه
١٥ المقاربة بمقارنتها ببعض النظريات التي قدمتها التداولية الفلسفية .
١٦
١٧ **٢- النظريات التداولية والأخلال التداولية:**
١٨ على الرغم من التأثير الواضح لنظريات التداولية الكلاسيكية – التي
١٩ اقترحها الفلاسفة أمثال أوستن (١٩٦٢) وجريس (١٩٧٥) – في دراسة
٢٠ الأخلال التداولية فإن فهم عيوب التواصل بصورة خاصة لم يكن يلقى عناية
٢١ هذه النظريات الكافية ، ولعل هذا يعود – بشكل كبير – إلى أن هذه النظريات
٢٢ قدّمت وسائل لوصف التداولية والأخلال التداولية غير أن هذه الوسائل لم تكن
٢٣ كافية بالنسبة للعياديين إلا قليلًا (لمناقشة هذا انظر Perkins, 2007) ، فعلى الرغم
٢٤ من أن نظرية أفعال الكلام لدى أوستن – على سبيل المثال – تُستخدم في
٢٥ دراسة التواصل لدى مجموعات عيادية عديدة تتضمن : البالغين المصابين

١ بالحبسة Aphasia (Wilcox & Davis, 1977) ، والأطفال المصابين بمتلازمة
٢ اسبرجر Asperger s Syndrome (Ziatas, Durkin, & Pratt, 2003) ، أو الذاتوية
٣ Autism (Loveland et al., 1988) تجد أنها وضعت بعض القيود (Allan, 1998)
٤ التي تعتبر إشكالية من وجهة نظر العياديين . وكمثال على هذا انظر النص
٥ التالي الذي لفظ به رجل مصاب بجروح الدماغ الرضية Traumatic Brain
٦ Injured (TBI) :

٧ I have got faults and. my biggest fault is. I do enjoy sport . it s
٨ something that I've always done. I've done it all my life. I've
٩ nothing but respect for my mother and father and. my sister. and
١٠ basically sir. I've only come to this conclusion this last two
١١ months. and. as far as I'm concerned. my sister doesn t exist.
١٢ (Perkins, Body & Parker, 1995, p. 305)
١٣

١٤ لقد ارتكبت خطأ ، وخطئي الأكبر هو . أنا استمتع بالرياضة . هو شيء
١٥ اعتدت فعله دائمًا . فعلته طيلة حياتي ، أنا لا أملك شيئًا عدا احترام أمي
١٦ وأبي و . أختي . وبشكل أساسي سيدي ، توصلت بنفسي إلى هذه النتيجة في
١٧ الشهرين الأخيرين . وإلى حد ما أنا مهتم . أختي غير موجودة .
١٨ فكما نرى ، كل منطوق مفرد جيد الصياغة وله القوة الإنجازية للتصريح ،
١٩ وعلى أي حال إذا نظرنا إلى المنطوق ككل سنجد أن كل جزء من هذه اللغة
٢٠ يبدو غير مناسب من وجهة النظر التداولية ، فهذه الفقرة تعاني من غياب
٢١ الانسجام وتمتاز بالسرعة وعدم ارتباط تحولات الموضوع ؛ لذا فالمنطوقات التي
٢٢ يقدمها مصابو جروح الدماغ الرضية تبعًا لنظرية أفعال الكلام ليست إشكالية
٢٣ [بالنسبة لها] على الرغم من أنها غير مؤثرة من المنظور التواصلي الأكبر عمومية .
٢٤ وهنا تبرز المشكلة الخاصة بتوجه نظرية أفعال الكلام إلى التركيز على جمل
٢٥ مفردة منعزلة ومستقلة عن سياق الخطاب (Geiss, 1995) ، ولكن الخاصية

١ المحورية للتداولية (كما سوف أناقشها بصورة أكثر تحديدًا في الفقرة الأخيرة) هي
٢ الانسجام الذي يتصل بمستوى الخطاب أكثر مما يتصل بالجملة المفردة .
٣ ومثل نظرية أفعال الكلام لدى أوستن شكّلت نظرية جريس إطارًا مفاهيميًا
٤ لفهم الأخلال التداولية وتم استخدامها عند بعض العياديين في دراسة
٥ المشكلات التواصلية لدى البالغين ذوي الحبسة واضطراب نصف الكرة
٦ الدماغية اليمنى (Ahlsén, 1993; Bloom et al, 1999; Stemmer, Giroux &
٧ Joannatte, 1994) والأطفال المصابين بالذاتوية (Surian et al., 1996) ، على أي
٨ حال يبرهن تطبيق نظرية الاقتضاء الحواري على إشكالية دراسة الأخلال
٩ التداولية وعلى أن تطبيقها لم يكن سهلًا أو واضحًا ، فالمشكلة الرئيسة في هذا
١٠ الإخفاق أن نظرية جريس (ويصدق هذا بصورة صحيحة أيضًا على التداولية
١١ الفلسفية عامة) لم توضّح الأسباب الخفية وراء السلوك التداولي والخلل
١٢ التداولي ، على أي حال إن الحاجة إلى التمييز بين هذه المستويات ؛ مستوى
١٣ الوصف والتفسير تبدو معلقة بصورة واضحة ، ولتوضيح هذا انظر النص التالي
١٤ الذي ناقشه بركنز (Perkins, 2007: p.31) :

١٥ A) **Prompt**: the man who sits on the bench next to the oak tree is our mayor

١٦ **الملقن** : الرجل الذي يجلس على المقعد بجوار شجرة البلوط هو عمدتنا .

١٧ **Gary**: amen

١٨ **جري** : آمين .

١٩ B) **Adult**: can you think of anymore?

٢٠ **الشاب** : هل يمكن أن تفكر في المزيد؟ .

٢١ **Matthew**: a remote-controlled cactus

٢٢ **ماثيو** : صبار يتحكم فيه عن بعد .

٢٣ فالنص (A) هو استجابة «جري» ؛ ولد في الثامنة من عمره ، لمهمة خاصة
٢٤ تقتضي من المختبر أن يكرر الجملة التي سمعها ، والنص (B) يبين جانبًا من
٢٥ محادثة بين «ماثيو» ؛ عمره ثماني سنوات ، وشاب طلب منه تعيين أسماء

١ بعض الحيوانات الأليفة . إن استجابة «جري» و«ماثيو» يمكن أن توصف – كما
٢ هو واضح – بطريقة متشابهة ؛ فهما مثال للسلوك الشاذ تداوليًا ؛ لأنهما يخرقان
٣ قاعدة جريس الخاصة بالملاءمة Relevance ، وعلى أي حال إن استجابة «ماثيو»
٤ وحدها حالة حقيقية للخلل التداولي ، والحقيقة أن الأسباب الكامنة وراء كل
٥ حالة كما بيّن بركنز (Perkins, 2007) هي أسباب مختلفة تمامًا ؛ فاستجابة
٦ «جري» غير المتصلة بسابقها جاءت نتيجة مشكلاته المتعلقة بالذاكرة اللفظية
٧ وبالفهم التركيبي ، فالجملة (the man who sits on the bench next to the oak
٨ tree is our mayor) جملة طويلة جدًا وأكبر تعقيدًا بالنسبة إليه من الناحية
٩ التركيبية . ومن ناحية أخرى يمتلك «ماثيو» تركيبًا طبعيًا وذاكرة لفظية ، ولكن
١٠ لديه تشخيص باضطراب الطيف الذاتوي Autistic Spectrum ، بمعنى أن
١١ مشكلاته مع الإدراك الاجتماعي مسئولة عن عدم قدرته على اتخاذ تقدير
١٢ مناسب للسياق السابق المحيط بالمحادثة الجارية .
١٣ إن الحجج التي تمت مناقشتها تؤدي بنا إلى توضيح قضية مهمة تتمثل في
١٤ أن تطور نموذج نظري حول طبيعة التواصل لا يمكن عزله عن الإشارة إلى
١٥ معطيات إمبريقية ، والفكرة في حالتنا هذه أن توسيع النظرية التداولية يجب أن
١٦ يتقيد بالمعطيات العيادية ، فتحليل الأخلال يجيز بناء نماذج نظرية (موجودة في
١٧ الإدراك الإنساني) يمكن أن تفسر عمليات التواصل الفعلية دون أن تصفها فقط
١٨ بصورة مجردة ، والآن على الرغم من أن وجود خلل ما لا يكون بنفسه دليلًا
١٩ يدعم وجود نظام معالجة يشترك في وظيفة معينة ، ففي رأيي أن دراسة الخلل
٢٠ ومن ثمّ الإشارة إلى توظيف الإدراك تظل أداة ضرورية (إن لم تكن كافية بحد
٢١ ذاتها) لاختبار الوجاهة الإمبريقية للنموذج النظري . إن قضية الأخلال التداولية
٢٢ تفتح الطريق أمام التساؤل الخاص بالعلاقة بين النظرية التداولية ونظرية
٢٣ الإدراك ، وفي القسم التالي أناقش هذا التساؤل مستخدمًا نظرية الملاءمة
٢٤ (Sperber & Wilson, 1986/95) .
٢٥

١ **٣- التداولية والإدراك: نظرية الملاءمة**

٢ نظرية الملاءمة هي منظور حول طبيعة التواصل تتصل بشكل قوي بنظريات
٣ هندسة العقل ، وعلى غير نظرية أفعال الكلام والاقتضاء الحواري تتميز نظرية
٤ الملاءمة التداولية بالإشارة إلى العمليات الإدراكية بدلاً من الفعل المسبق أو
٥ مبدأ الاستعمال . إن نظرية الملاءمة في الحقيقة تحاول أن تقدم مقاربة حول
٦ أنظمة المعالجة في قاعدة التواصل البشري : فالعلماء الذين يعملون في هذا
٧ المنظور من البحث يطمحون بصورة واضحة إلى بيان قدرة الوجاهة الإدراكية
٨ على شرح سيرورات التواصل ، وفي مثل هذا المنظور تكون الافتراضات الخاصة
٩ بطبيعة التواصل موضوعًا للتأكيد أو الرفض أو إعادة الصياغة على ضوء العمل
١٠ التجريبي الذي يهتم بطبيعة الإدراك (Noveck, Sperber, 2004) والمناهج المتبناة
١١ في الحقيقة هي مناهج علم النفس الإدراكي : فبالإضافة إلى الحجج اللسانية
١٢ والفلسفية الخالصة فإن مناشدة الوجاهة الإدراكية تربط المؤلفين ببناء نماذج
١٣ لسيرورات التواصل تتماشى مع الدليل الذي تقدمه الدراسات التجريبية حول
١٤ النقص أو مع التأويلات التي تصدر عن علم النفس التطوري .

١٥ وبإتباع حدس جريس ، الذي يلمح إلى أن التعبير وإدراك المقاصد هو السمة
١٦ الجوهرية في معظم التواصل البشري ، اللفظي منه وغير اللفظي ، فإن نظرية
١٧ الملاءمة ترى التواصل عملية تداولية استدلالية يشغل فيها توليد مقصد المتصل
١٨ واكتشافه موقعًا محوريًا . وبتفصيل أكثر اقترح سبربر وويلسن Sperber & Wilson
١٩ نموذجًا إشاريًا استدلاليًا Ostensive-Inferential Model للتواصل البشري يقدم
٢٠ المتكلم تبعًا له مجرد دليل (مثل : منطوق ما) على مقصده لإيصال معنى
٢١ محدد ، ويفهم المخاطب معنى المتكلم عبر إنتاج سلسلة من الاستدلالات التي
٢٢ يحكمها هذا الدليل ، ففي هذه العملية التواصلية يشترك مقصدان :

٢٣ ١ . **المقصد الإخباري** Informative Intention : حيث يُعْلم المتكلم من خلاله
٢٤ المستمع شيئًا ما (المثيرات الإشارية يجب أن تجذب انتباه المستقبلين) .

٢٥ ٢ . **المقصد التواصلي** Communicative Intention : ينوي من خلاله المتكلم أن

يعلم المستمع مقصده التواصلي (المثيرات الإشارية يجب أن تؤدي بانتباه المستقبلين إلى مقصد المتكلم) .

فيكون للتواصل نتيجة إيجابية عندما يفهم المستقبل بوضوح المقصد التواصلي للمتكلم (ومن ثمّ سلوكه التواصلي) . وحتى هذه النقطة فالمثيرات الإشارية (السلوك ، والمنطوق اللفظي ، وغيرها) ربما تستحوذ على انتباه المتلقي وتوجه الانتباه نحو مقاصد المتكلم ، ولكن ما الذي يجعل مثيرًا إشاريًا غير منتبه إليه بصورة جيدة؟ . لقد زعم سبربر وويلسن أن الإجابة عن هذا السؤال تعتمد على المفهوم النظري للملاءمة فقد كتبا :

«الملاءمة ، كما نراها ، خاصية كامنة للمثير الخارجي (مثل المنطوقات والأفعال) أو التمثيلات الداخلية (مثل الأفكار والذاكرة) التي تشكل الدخل Input بالنسبة للعمليات الإدراكية ، فملاءمة دَخْل ما بالنسبة لشخص ما في زمن معين هي وظيفة إيجابية للمزايا الإدراكية التي سوف يحصل عليها عند معالجتها ، ووظيفة سالبة لجهد التجهيز المطلوب لبناء هذه المزايا» (Sperber & Wilson, 2002, p. 14) .

إن الملاءمة مبدأ موجِّه للتواصل ، ومن هذا المنظور فإن الفرضية الأساسية داخل كل تفاعل حواري أن المتحدثين والمخاطبين يجب أن يحاولوا جعل مساهماتهم ملاءمة قدر الإمكان وأن المتصدي لتأويل مساهمات الآخرين يجب أن يأخذ في حسبانه الملاءمة ، على أي حال فإن مبدأ الملاءمة قُصِد به أيضًا التطبيق على مجال الإدراك بصورة عامة ، ففكرة سبربر وويلسن أن الملاءمة هي خاصية الإدراك البشري ، فالعقل البشري مكيّف نحو عزو أهمية كبرى للملاءمة :

«إن نظام الإدراك الإنساني تطور بحيث إن آليات إدراكنا الحسي تميل بصورة ذاتية إلى انتقاء المثير الملاءم المحتمل ، وحيث إن آليات استعادة ذاكرتنا تميل بصورة ذاتية إلى تنشيط الفرضيات الملاءمة المحتملة ، وحيث إن آلياتنا

١ الاستدلالية تميل بصورة ذاتية إلى تنشيطهم بالطريقة الأكبر إنتاجية» (Wilson
٢ & Sperber, 2004 p. 610) .

٣ وبما أننا ذكرنا أن نظرية الملاءمة هي نموذج من التداولية يتعلق بكيفية عمل
٤ العقل ، فإن من المهم تحليل العلاقات بين نظرية الملاءمة ونظرية الإدراك
٥ الإنساني ، فعلى المستوى العام يعد تحديد مقاصد الآخرين ممكنًا من خلال نظام
٦ إدراكي محدد هو نسق [من الأنساق] الخاصة بنظرية العقل . هذا المصطلح
٧ يستعمل في وصف القدرة على عزو حالات ذهنية مثل : المعتقدات والمقاصد
٨ والمشاعر إلى حالات أخرى ، وعلى شرح الأفعال المنبثقة عنها والتنبؤ بها
٩ (Baron-Cohen, 1995) ، إن أصحاب نظرية الملاءمة يرون التداولية مكونًا خاصًا
١٠ - ونسق فهم يقوم على الملاءمة- من مكونات أنساق نظرية العقل Theory of
١١ Mind (ToM) تحتفظ بمفاهيمها الخاصة التي تمتلكها وإجراءاتها التي تميزها عن
١٢ نسق نظرية العقل (Carston, Guttenplan & Wilson, 2002; Sperber Wilson,
١٣ & 2002) إن التواصل من خلال هذه الرؤية ، وبصورة خاصة الفهم اللفظي ، هو
١٤ صورة من قراءة العقل Mindreading ، ولقد عيّن «هبي» (1993) Happé
١٥ مستويات مختلفة من القدرة على قراءة العقل يمكن فهمها على أنها متصل
١٦ Continuum يتدرج بداية من القدرة الأساسية على تمثيل الحالة الذهنية
١٧ للآخرين (القدرة التمثيلية Representational Ability) إلى التمثيل المحتمل
١٨ اللامتناهي للحالات الذهنية الأخرى (القدرة الميتاتمثيلية Metarepresentational
١٩ Ability) ، وتبدو القدرة التمثيلية تبعًا لـ«هبي» كافية لفهم الاستعارة Metaphor
٢٠ بينما تكون القدرة الميتاتمثيلية Metarepresentational أداة ضرورية في فهم
٢١ السخرية Irony .

٢٢ إن الحالة الأوسع شيوعًا في ارتباطها بخلل قراءة العقل هي الذاتوية Autism
٢٣ (Baron-Cohen, 1995; 2001) ، وبما أن نظرية الملاءمة ترى التواصل تمرينًا على
٢٤ قراءة العقل ، فإنها تمتلك إطارًا مهمًا في تحليل الخلل التواصلي لدى مصابي
٢٥ الذاتوية (Dennis, Lazenby & Lockyer 2001; Frith 1989; Happé 1995;

١ (Wearing, 2010) فعلى سبيل المثال يعد خلل قراءة العقل مسئولًا عن عدم قدرة
٢ مصابي الذاتوية على فهم الأوامر غير المباشرة ، انظر إلى المثال التالي :
٣
٤ T: can you turn the page over?
٥ T : أيمكنك قلب الصفحة؟
٦ C: yes (non sign of continuing)
٧ C : نعم (دون إشارة إلى استمرار)
٨ (from Perkins, 2007, p. 67) .
٩
١٠ إن هذا الجـزء من حـوار بين C – وهو طفل مـصـاب باضطراب الطيف
١١ الذاتوي ، في الرابعة من عمره – وT ، وهو معالج لأمراض اللغة والتخاطب ،
١٢ حيث يبدو الطفل غير قادر على استنتاج أن منطوق T طلب وليس سؤالًا ، مثال
١٣ ثان على هذا النوع من الخلل التـداولي لمرضى الذاتوية يمثله الشكل (١) الذي
١٤ يبيّن استجابة طفل ذاتوي وضعت أمامه ورقة مرسوم عليها سبعة مستطيلات
١٥ فارغة وطُلِب منه الطلب التالي : (اكتب أيام الأسبوع في المستطيلات السبعة)
١٦ (Perkins & Firth, 1991) ، وهذا دليل على أن اسـتجـابة هذا الطفل تعـزى إلى
١٧ قراءته الخاطئة لمقصد المتكلم .
١٨
١٩

The	Days	of	the	Week		

٢٠
٢١
٢٢ فكما رأينا من قبل حدَّ سبربر وويلسن (٢٠٠٢) التداولية على أنها «فهم
٢٣ اسـتـدلالي Inferential Comprehension» موجه نحو اكـتـشـاف الملاءمـة ، وهذا
٢٤ معناه أن مبدأ الملاءمة يميز – من وجهة النظر التداولية – جوهر اللغة ، وأرى أن
٢٥ هذا الفهم يمثل رؤية محدودة جدًا للتواصل الإنساني (إذ تركز بصورة كبيرة على

مظاهر فهم اللغة ومن ثمّ على دور المستمع) ، وبصورة أكبر خصوصية أعتقد أنه من المناسب أن نضع إلى جانب نظرية الملاءمة نموذجًا تفسيريًا يأخذ في اعتباره خاصية تداولية أساسية أخرى هي الانسجام التي لها دور رئيس في معالجة الخطاب (فالمعتمدات العيادية تبيّن أن الانسجام خاصية تتصل بصورة أساسية بالبعد الخاص بإنتاج اللغة) ، وفي القسم التالي أبيّن لماذا يعد الانسجام خاصية أساسية للتواصل الإنساني ، وأي نوع من الآليات يجعله ممكنًا .

٤- ما بعد الملاءمة: كيف نبني خطابات متماسكة؟

إن الملاءمة ليست فقط مبدأ يحكم التواصل الإنساني ، فالمتكلمون حسب ما أوضحته – على سبيل المثال – دراسة جيورا Giora (1997, 1998) لا يتقيدون فقط بالبحث عن الملاءمة ، فالاعتبارات الخاصة بالانسجام إضافة إلى هذا تحكم التواصل وتلعب دورًا رئيسًا في بناء الخطاب وفهمه (Giora, 1997, p. 31) ، وكما ذكرتُ في القسم الفائت إن فكرتي هي أن الانسجام يتصل على نحو خاص ببناء الخطاب وإنتاجه ، وهو من أجل هذا السبب جهد يبذله المتكلم بصورة جوهرية ، ولتحديد هذه النقطة سأناقش بإيجاز حالة المصابين بجروح الدماغ الرضية TBI ، فهذا المثال يسمح لنا بالتأكيد على أهمية بعد الإنتاج والفاعلية الجوهرية لأنظمة الإدراك الأخرى لاسيما الوظائف الإجرائية للتخطيط والتتبع – أو ما بعد نظرية العقل ToM – في التواصل التداولي ، وقبل عرض هذا الموضوع احتاج إلى أن أخص مفهوم الانسجام بمزيد من التفاصيل .

إن الانسجام مصطلح يشير إلى مظاهر تنظيمية مفاهيمية للخطاب خاصة بمستوى ما فوق الجملة ، فانسجام نص ما أو خطاب يعتمد – على الأقل في جانب منه – على قدرة المتكلم على امتلاك وحدة موضوعاتية Thematic Unity (Agar & Hobbs, 1982) ، فمتى يكون الخطاب منسجمًا؟ إن الفكرة الشائعة بين اللسانيين خاصة أن انسجام الخطاب (المنطوق والمكتوب) يعتمد على العلاقات الخطيّة بين الجمل المتجاورة أي على الاتساق Cohesion بين أزواج العبارات

١ المتـتـابعـة (Bellert, 1970; Bublitz, 2011; Dane?, 1974; Halliday & Hasan,
٢ 1976; Tanskanen, 2006) ، ولعل العمل الأكبر تأثيرًا من هذا المنظور هو كتاب
٣ «الاتساق في اللغة الإنجليزية Cohesion in English» الصادر سنة ١٩٧٦م
٤ لهاليداي وحسن Halliday and Hasan ، فمفهوم الاتساق لديهما مفهوم دلالي ،
٥ والحقيقة أن الاتساق في رأيهما يشير إلى (علاقات المعنى الموجودة داخل
٦ النص) (Halliday & Hasan, 1976, p. 4) و(يجعل كل جزء من النص يعمل
٧ سياقًا للجزء الآخر) (Halliday & Hasan, 1989, p. 489) ، فالاتساق يتحقق في
٨ النص من خلال وسائل معجمية ونحوية ، فيتضمن الاتساق النحوي عناصر
٩ مثل : الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والعطف ، بينما يتأسس الاتساق
١٠ المعجمي على التكرار (الإعادة ، والترادف ... إلخ) ، والتضام (الوقوع المشترك
١١ للعنصر المعجمي) ، انظر إلى المثال التالي :

١٢ After the forming of the sun and the solar system, our star began
١٣ its long existence as a so-called dwarf star. In the dwarf phase
١٤ of its life, the energy that the sun gives off is generated in its
١٥ core through the fusion of hydrogen into helium (from
١٦ Berzlánovich 2008, p. 2).

١٧ «بعد تشكل الشمس والنظام الشمسي بدأ نجمنا وجوده المديد معروفًا
١٨ بالنجم القزم ، ففي طور التقزم من حياته كانت الطاقة التي تمنحها الشمس يتم
١٩ توليدها داخل مركزها من خلال اندماج الهيدروجين وتحوله إلى هيليوم» .
٢٠ فالجمل متسقة كما نرى في هذا النص من خلال الاتساق المعجمي أي
٢١ عبر العلاقات الاتساقية المعجمية القائمة بين العناصر المعجمية داخل النص
٢٢ (شمس/ نظام شمسي/ نجم/ نجم قزم/ طور التقزم) .
٢٣ إن الشيء الذي تجب ملاحظته - بالنسبة للأغراض التي أبتغيها من وراء
٢٤ زعمي - أن الاتساق من هذا المنظور شرط ضروري لانسجام الخطاب (لمناقشة
٢٥ هذا انظر Giora تحت الطبع) ، والآن ، على الرغم من أن لعلاقات الاتساق

١ (النحوية والمعجمية) دورًا مهمًا في التعبير عن علاقات الانسجام وإدراكها ، أرى
٢ أن الاتساق بين الجمل المتتابعة ليس شرطًا ضروريًا أو كافيًا لانسجام المنطوقات
٣ في تسلسل الكلام ، وبالإشارة إلى ذلك الفرق الجوهري بين الانسجام الكلي
٤ Global والانسجام الداخلي Local إذ يشير الانسجام الكلي إلى العلاقة بين
٥ محتوى التعبير والموضوع العام للمحادثة ، أما الانسجام الداخلي فيهتم بالروابط
٦ المفاهيمية بين جمل مفردة أو قضايا ذات معنى معين داخل النص أو الخطاب
٧ (Glosser & Deser, 1990) فإذا كان الانسجام الداخلي ممكنًا عبر علاقات
٨ الاتساق فإنني أفترض أن الانسجام الكلي أمر مستقل عن الآليات اللغوية (فهو
٩ مستقل عن الاتساق) ، انظر المثال التالي :

١٠ I bought a Ford. The car in which President Wilson rode down
١١ the Champs Élysées was black. Black English has been widely
١٢ discussed. The discussions between the presidents ended last
١٣ week. A week has seven days. Every days I feed my cat. Cats
١٤ have four legs. The cat is on the mat. Mat has three letters.
١٥ (Enqvist, 1978, pp. 110-111).

١٦ «اشتريت سيارة فورد ، السيارة التي قادها الرئيس ويلسون في شارع
١٧ الشانزليزيه كانت لونها أسود ، إنجليزية السود نوقشت بصورة موسعة ، المناقشات
١٨ بين الرؤساء انتهت الأسبوع الماضي ، الأسبوع سبعة أيام ، كل الأيام أطعم
١٩ قطتي ، القطط لها أربعة أرجل ، القطة على السجادة ، السجادة Mat ثلاثة
٢٠ أحرف»

٢١ ففي هذا النص تترابط الجمل عن طريق آلية التكرار ، وعلي أي حال ، فإن
٢٢ عدة جمل ، على الرغم من وفرة علاقات اتساقية بينها ، لا تفهم على أنها كل
٢٣ منسجم . فالجمل في هذا النص لا تتشابك مع بعضها البعض بطريقة منطقية ؛
٢٤ فالنص يعوزه الانسجام الكلي .

٢٥ إن المثال والحجج التي تمت مناقشتها حتى الآن تبيّن أن الانسجام الكلي

١ هو خاصية تداولية لا تعتمد على الأدوات اللغوية . والحقيقة أنني افتراض أن
٢ الانسجام يقوم على عمليات إدراكية أكبر عمومية مثل الوظائف الإجرائية
٣ لتخطيط الفعل ومراقبته ، فعمليات التخطيط والمراقبة تؤدي (ولو بصورة
٤ حدسية) دورًا مهمًا في بناء الخطاب وتدفقه ؛ ولأن الكلام يتألف من تتابع
٥ خطي من الكلمات والتعبيرات يجب على المتكلم بصورة دائمة بناء خطة
٦ للتعبيرات الكلامية حتى يقرر ما يقوله وكيف يقوله ، وحتى يتم فهمه إذا أراد
٧ أن يعبر عن نفسه بطريقة متماسكة ، علاوة على هذا وخلال إنجاز الخطة أو
٨ خلال مرحلة إنتاج الخطاب ، فإن من الضروري الاستمرار في تقييم المهمة من
٩ أجل التأكد من أن العناصر المقدمة تتوافق مع الموضوع العام للمحادثة ، ولعل
١٠ الدليل الإمبريقي يؤكد على الدور الفاعل لهذه العمليات المتتابعة في بناء
١١ انسجام الخطاب .
١٢ ولعل المعتمدات الأكبر أهمية في هذا الإطار تأتي من حالات مرضى
١٣ جروح الدماغ الرضية TBIوحالات الاختلال الوظيفي الإجرائي ، فهؤلاء لديهم
١٤ أخلال في تخطيط الفعل ومراقبته ، بمعنى أنهم لا يستطيعون استكمال سلوك
١٥ موجه نحو هدف ما عبر سلسلة من الأفعال البسيطة (انظر على سبيل المثال :
١٦ Eslinger et al., 2011; Shallice 1982; Zalla et al., 2001) ، ومن أجل هذا فإن
١٧ مرضى جروح الدماغ الرضية لا يستطيعون تنظيم الخطاب أو يتمتعون بانسجام
١٨ كلي للخطاب (ولو لم تكن لديهم مشكلات على مستوى الانسجام المحلي) ،
١٩ ومثال هذا انظر النص التالي الذي ناقشه بركنز (p. 86 Perkins , 2007) وفيه C
٢٠ – وهو رجل مصاب بجروح الدماغ الرضية –يتحدث مع T– وهو معالج للغة
٢١ وأمراض الكلام – حول النقابات العمالية :
٢٢ C: I admit this government we’ve got is not doing a good job
٢٣ but the unions are trying to make them sound worse than what
٢٤ they are
٢٥ إنني أدعم هذه الحكومة ، وما نملكه ليس عملًا جيدًا ، ولكن

١ الاتحادات تحاول أن تجعلهم أسوء مما هم عليه

٢ T: mm

٣ امم

٤ C: they . they . cos I'm a Tory actually but I I do vote . if there's

٥ a . er . a communist bloke there I will vote communist but . it all

٦ depends what his principles are but I don't agree . with the

٧ Chinese communism . and the Russian communism

٨ هم ، هم ، لأ نني من حزب المحافظين في الواقع ، ولكني انتخبت

٩ بالفعل ، فإذا كان هناك رجل شيوعي فسأصوت للشيوعي ، ولكن

١٠ كل هذا يعتمد على ما هي مبادئه ولكني لا أتفق مع الشيوعية

١١ الصينية والشيوعية الروسية .

١٢ T: right

١٣ صحيح

١٤ C: but I believe every . should be equal but . I'm not knocking

١٥ the royal family because y . you need them

١٦ ولكن أنا أؤمن أن الجميع يجب أن يكونوا متساوين ، أنا لا أشهر

١٧ بالعائلة الملكية لأنك تحتاج إليهم

١٨ T: mm

١٩ امم

٢٠ C: and they they they bring people in to see take photos

٢١ وهم هم هم يحضرون الناس للرؤية والتقاط الصور

٢٢ فعلى الرغم من الروابط الداخلية المتتابعة بين (النقابات العمالية –

٢٣ الحكومة/ الحكومة – حزب المحافظين/ حزب المحافظين – شيوعي/ الشيوعية

٢٤ الصينية الروسية/ الشيوعية – المساواة/ المساواة – العائلة الملكية/ العائلة الملكية

٢٥ – الجذب السياحي) أظهر المتكلم C نوعًا من تحول الموضوع Topic Drift ؛ فلم

١ يكن قادرًا على متابعة ما يتحدث عنه بالفعل ، أو على ربط كل منطوق بخطة
٢ أو هدف كلي متماسك . والحقيقة أن المعطيات التجريبية العصبية-اللسانية
٣ Neurolinguistic تؤكد على أن مرضى جروح الدماغ الرضية يربطون بين الجمل
٤ بصورة صحيحة باستعمال علاقات الاتساق (الأدوات النحوية) ، ولكنهم غير
٥ قادرين على بناء أو حيازة انسجام كلي لإنتاجهم اللفظي (أي : لا يستطيعون
٦ ربط الجمل المفردة بخطة أو بغرض أكبر عمومية) وما يقدمونه من مواد لا يتصل
٧ عادة بسياق إنتاجاتهم اللفظية الحاصلة (Biddle et al., 1996; Glosser &Deser,
٨ 1990; Hough & Barrow, 2003; Marini et al.,2011) . وبسبب عدم قدرتهم
٩ على صياغة وتوجيه غرض تواصلي معين يبدو خطابهم غير مناسب من
١٠ الناحية التداولية .
١١
١٢ **الخلاصة**
١٣ من أجل توسيع نموذج تفسيري لطبيعة اللغة فإن من الأهمية بمكان تحليل
١٤ المعطيات العيادية ودراستها ؛ لأنها تسمح لنا باقتراح نموذج نظري يراعي قيد
١٥ الصوابية الإدراكية . ولقد بيّنت أن التداولية الفلسفية لا تراعي هذا القيد ، وأنها
١٦ - من أجل هذا - ليست مناسبة تمامًا لبحث الأخلال التداولية . فنموذج
١٧ الصوابية الإدراكية للتداولية عرضته نظرية الملاءمة . وعلى أي حال فإن
١٨ المعطيات العيادية التي تمت مناقشتها هنا بيّنت ضرورة النظر إلى ما هو أبعد من
١٩ الملاءمة ؛ فرغم أن النظرية التداولية التي تقوم على تحري الملاءمة تفسر عديدًا
٢٠ من مظاهر التواصل الإنساني ، فإن مثل هذه النظرية يجب أن تندمج مع نموذج
٢١ نظري يأخذ في حسبانه انسجام الخطاب .
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

REFERENCES

Agar, M., Hobbs, J. (1982).

Interpreting Discourse: Coherence and the Analysis of Ethnographic Interviews. Discourse Processes, 5 (1), 1-32.

Ahlsén, E. (1993).

Conversational principles and aphasic communication. Journal of Pragmatics, 19, 57-70.

Allan, K. (1998).

Speech Act Theory: an overview. In J. L. Mey (Ed.), Concise Encyclopedia of Pragmatics. Elsevier: Amsterdam, 927-939.

Austin, J. L. (1962).

How to Do Things with Words. Oxford: Clarendon Press.

Baron-Cohen, S. (1995).

Mindblindness: An Essay on Autism and Theory of Mind. Cambridge, Mass.: The MIT Press.

Baron-Cohen, S. (2001).

Theory of mind in normal development and autism. Prisme, 34, 174-183.

Bellert, I. (1970).

On a condition of the coherence of texts. Semiotica, 2, 335-363.

Berzlánovich, I. (2008).

Lexical cohesion and the organization of discourse. http://www.rug.nl/let/onderzoek/onderzoekinstituten/clcg/berzlanovich.pdf

Biddle, K., McCabe, A., & Bliss, L. (1996).

Narrative skills following traumatic brain injury in children and adults. Journal of communication Disorders, 29, 447- 469.

١ **Bishop, D. V. M. (2000).**
٢ Pragmatic language impairment: a correlate of SLI, a distinct subgroup,
٣ or part of the autistic continuum? In D. V. M. Bishop and L. B. Leonard
٤ (Eds.), Speech and Language Impairments in Children: Causes,
٥ Characteristics, Intervention and Outcome. Hove: Psychology Press, 99-
٦ 113.
٧ **Bloom, R. L., Pick, L. H., Borod, J. C., Rorie, K. D., Andelman, F.,**
٨ **Obler, L. K.,**
٩ Sliwinski, M., Campbell, A. L., Tweedy, J. R., Welkowitz, J. (1999).
١٠ Psychometric aspects of verbal pragmatic ratings. Brain and Language ,
١١ 68, 553-565.
١٢ **Bublitz, W. (2011).**
١٣ Cohesion and coherence. In Zienkowski, J., Östman, J., Verschueren, J.
١٤ (Eds.) Discursive Pragmatics, John Benjamins Publishing Company,
١٥ Amsterdam / Philadelphia, 37-49.
١٦ **Carston, R., Guttenplan, S., Wilson, D. (2002).**
١٧ Introduction: special issue on pragmatics and cognitive science. Mind and
١٨ Language, 17, 1-2.
١٩ **Cummings, L. (2009).**
٢٠ Clinical Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press.
٢١ **Danes, F. (1974).**
٢٢ Functional sentence perspective and the organization of the text. In F.
٢٣ Danes (Ed.), Papers on Functional Sentence Perspective . Academia:
٢٤ Prague, 106-128.
٢٥ **Dennis, M., Lazenby, AL, Lockyer, L. (2001).**

١ Inferential language in high function children with autism. Journal of
٢ Autism and Developmental Disorders , 31, 47-54.
٣ **Dronkers, N. F., Ludy, C. A., Redfern, B. B. (1998).**
٤ Pragmatics in the absence of verbal language: descriptions of a severe
٥ aphasic and a language-deprived adult. Journal of Neurolinguistics, 11,
٦ 179-190.
٧ **Enqvist, N. E. (1978).**
٨ Coherence, pseudo-coherence, and non-coherence. In J.-O. Östman (Ed.),
٩ Cohesion and Semantics. Åbo: Meddelanden från Stiftelsens för Åbo
١٠ Akademi Forskningsinstitut, 109-128.
١١ **Eslinger, P., Zappalà, G., Chakara, F., Barrett A. M. (2011).**
١٢ Cognitive Impairments After TBI. In N. D. Zasler, D. I. Katz, R. D.
١٣ Zafonte (Eds.), Brain Injury Medicine. Second Edition. New York:
١٤ Demos Medical Pub.
١٥ **Frith, U. (1989).**
١٦ Autism: Explaining the Enigma . Blackwell: Oxford.
١٧ **Geis, M. L. (1995).**
١٨ Speech Acts and Conversational Interaction. Cambridge: Cambridge
١٩ University Press.
٢٠ **Giora, R. (1997),**
٢١ Discourse coherence and theory of relevance: Stumbling blocks in search
٢٢ of a unified theory. Journal of Pragmatics, 27, 17-34.
٢٣ **Giora, R. (1998),**
٢٤ Discourse coherence is an independent notion: A reply to Deidre Wilson.
٢٥ Journal of Pragmatics, 29, 75-86.

Giora, R. (in press),
Cohesion. In G., Khan (Ed.) Encyclopedia of Hebrew Language and Linguistics, Boston: Brill.

Glosser, G., Deser, T. (1990).
Patterns of discourse production among neurological patients with fluent language disorders. Brain and Language, 40, 67-88.

Grice, H.P. (1957).
Meaning. The Philosophical Review, 66, 377-388.

Grice, H.P. (1975).
Logic and conversation. In F. Cole and J. L. Morgan (Eds.), Syntax and Semantics, vol. III Speech Acts. New York: Academic Press, 41-58.

Halliday, M. A. K., Hasan, R. (1976).
Cohesion in English. Longman: London.

Halliday, M. A. K., Hasan, R. (1989).
Language, context, and text: aspects of language in a social-semiotic perspective. Oxford: Oxford University Press.

Happé, F.G.E. (1993).
Communicative competence and theory of mind in autism: a test of relevance theory. Cognition, 48, 101-119.

Happé, F.G.E. (1995),
Understanding mind and metaphors: insight from the study of figurative language in autism. Metaphor & Symbolic activity , 10(4), 275-295.

Hough, M.S., Barrow, I. (2003).
Descriptive discourse abilities of traumatic brain injured adults. Aphasiology, 17(2), 183-191.

Loveland, K. A., Landry, S. H., Hughes, S. O., Hall, S. K. and, McEvoy, R. (1988).

Speech acts and the pragmatic deficits of autism. Journal of Speech and Hearing Research, 31, 593-604.

Marini, A., Galetto, V., Zampieri, E., Vorano, L., Zettin, M., Carlomagno, S. (2011).

Narrative language in traumatic brain injury. Neuropsychologia, 49, 2904-2910.

Martin, I., McDonald, S. (2003).

Weak coherence, no theory of mind, or executive dysfunction? Solving the puzzle of pragmatic language disorders. Brain and Language, 85, 451-66.

Noveck, I., Sperber, D. (2004) (Eds.).

Experimental Pragmatics, New York: Pallagrave.

Perkins, M. (2007).

Pragmatic Impairment. New York: Cambridge University Press.

Perkins, M.R., Body, R., Parker, M. (1995).

Closed head injury: assessment and remediation of topic bias and repetitiveness. In M.R. Perkins, S. J. Howard (Eds.), Case Studies in Clinical Linguistics . London: Whurr, 293-320.

Perkins, M., Firth, C. (1991).

Production and comprehension of modal expressions by children with a pragmatic disability. First Language, 11-61.

Shallice, T. (1982).

Specific impairment of planning. Philosophical Transaction of the Royal

Society, Biological Science , 25, 199-209.

Sperber, D., Wilson, D. (1986/1995).
Relevance: Communication and Cognition, Oxford: Blackwell.

Sperber, D., Wilson, D. (2002).
Pragmatics, modularity and mind-reading. Mind and Language, 17, 3-23.

Sperber, D., Wilson, D. (2005).
Pragmatics. In F. Jackson, M. Smith (Eds.), Oxford Handbook of Contemporary Analytic Philosophy . Oxford: Oxford University Press, 468-501.

Stemmer, B., Giroux, F., Joanette, Y. (1994).
Production and evaluation of requests by right hemisphere brain-damaged individuals. Brain and Language, 47, 1-31.

Surian, L., Baron-Cohen, S., van der Lely, H. (1996).
Are children with autism deaf to Gricean maxims? Cognitive Neuropsychiatry, 1(1), 55-71.

Tanskanen, S. K. (2006).
Collaborating towards Coherence. Lexical cohesion in English Discourse. Amsterdam / Philadelphia: John Benjamins.

Wilcox, M. J., Davis, G. A. (1977).
Speech act analysis of aphasic communication in individual and group settings. In R. H. Brookshire (Ed.), Clinical Aphasiology Conference Proceedings . Minneapolis, MN: BRK Publishers, 166-174.

Wearing, C. (2010),
Autism, Metaphor and Relevance Theory. Mind and Language, 25, 196-216.

Wilson, D., Sperber, D. (2004),

Relevance Theory. In G. Ward and L. Horn (Eds.) Handbook of Pragmatics. Blackwell: Oxford, 607-632.

Zalla, T., Plassiart, C., Pillon B., Grafman, J., Sirigu, A. (2001).

Action planning in a virtual context after prefrontal cortex damage. Neuropsychologia , 39, 759-770.

Ziatas, K., Durkin, K., Pratt, C. (2003).

Differences in assertive speech acts produced by children with autism, Asperger syndrome, specific language impairment, and normal development. Development and Psychopatholog , 15, 73-94.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

التداولية الإدراكية

ف . م . بُسكو

Cognitive Pragmatics.

F. M. Bosco

in J. Mey (Ed.,) 2009: Concise Encyclopedia of Pragmatics. (2nd edn.) Elsevier: Amsterdam. pp.71-77.

مدخل : تهتم التداولية الإدراكية بالعمليات الذهنية التي تصاحب التواصل القصدي ؛ إذ تركز دراسات هذا الاتجاه على العمليات الإدراكية القابعة خلف فهم فعل الكلام الإنساني وتتغاضى عن الإنتاج اللساني أو التواصل غير اللساني . وبينما يتم الاهتمام بالعمليات الإدراكية فإن كتّاب هذا المجال يهتمون بجميع السلاسل الاستدلالية الضرورية لفهم مقصد المتصل انطلاقًا من المنطوق الذي يقدمه وجميع التمثيلات الذهنية المختلفة القابعة وراء فهم ظواهر اتصالية مختلفة على أنها عمليات إدراكية ؛ لذا فإن نظرية حول التداولية الإدراكية إنما تهدف إلى تفسير العمليات الذهنية التي يستعملها الشخص خلال التفاعل الاتصالي .

عادة ما يتم تحديد نظرية الملاءمة (سبربر وويلسن Sperber & Wilson, 1986/1995) على أنها تؤسس لإطار نظرية أساسية في مجال التداولية

١ الإدراكية ، وفي العقد الماضي أيضًا تم تطوير عدة نظريات أخرى ، هذه النظريات
٢ تتضمن نظرية موسعة عن العمليات الإدراكية الفاعلة في التواصل الإنساني
٣ تعرف باسم نظرية التداولية الإدراكية (Airenti et al., 1993a, 1993b; Bara,
٤ 2005) وفرضية الصمت المتنامي (Giora, 2003) ، وهي نظرية تركز على
٥ الاستدلالات الذهنية الكائنة خلف فهم اللغة المجازية في مقابل اللغة الحرفية .
٦ ولعل وصف العمليات الإدراكية المشاركة في التواصل شيء مهم ليس
٧ فقط في دراسة هذه العمليات كحالات ثابتة – فثمة مقاربة تأخذ في اعتبارها
٨ حصرًا الحالة النهائية للمختبرين اليافعين الأصحاء- ولكنه وصف مهم أيضًا
٩ بالنسبة للاعتبار الخاص بكيفية تطوير وظيفة معينة بداية العمر وعبر مرحلة
١٠ الطفولة وصولًا إلى سن البلوغ وكيف أنها تختفي كليًا عند المختبرين ذوي الدماغ
١١ المصاب (Bara, 1995) ، فمثل هذه المقاربة تساعد -من المنظور الإدراكي- في
١٢ فهم الكيفية التي تتطور بها الكفاية التداولية والبنى العصبية الإدراكية التي
١٣ تسبب عجزًا في أداء البشر إذا تم تعطيلها .
١٤ ولعل الموضوع قريب الصلة هو تعيين المكونات الإدراكية التي تسهم في
١٥ تفعيل كفاية تداولية كاملة ، من هذا المنظور فإن من المهم اعتبار الدور الذي
١٦ تلعبه نظرية عقل الفرد والوظيفة الإجرائية داخل التفاعل الاتصالي .
١٧

١٨ **نظرية التداولية الإدراكية**

١٩ قدم إيرنتي وآخرون (Airenti et al., 1993a, 1993b) نظرية حول العمليات
٢٠ الإدراكية الخاصة بالاتصال البشري قصد طرح إطار نظري موحد لتفسير
٢١ ظاهرات اتصالية مختلفة (Bara, 2005) ، واقترح المؤلفون أن تحليلهم النظري
٢٢ ينطبق على التواصل اللغوي وغير اللغوي ؛ ومن ثمّ – فيما يتصل بالمتحاورين –
٢٣ تم تقديم مصطلح الفاعل Actor والشريك Partener بدلًا من المصطلحات
٢٤ التقليدية : (المتكلم والمستمع) ، وتفترض النظرية أن المعنى الحرفي للمنطوق
٢٥ معنى ضروري ، ولكنه غير كاف بالنسبة للشريك حتى يعيد بناء المعنى الذي

١ يقصده الفاعل أو يفهم مقصده التواصلي ، فعلى الشريك أن يفهم لعبة السلوك
٢ Behavior Game الذي اختطها له الفاعل ، فلعبة السلوك بنية اجتماعية يتشارك
٣ فيها أطراف التفاعل الاتصالي ، تخيل – على سبيل المثال – أنه بينما تعمل في
٤ مكتبك مرَّ بك زميل وقال
٥ (١) : «إنها تمطر بالخارج» .
٦ فعلى الرغم من أن المعنى الحرفي للمنطوق واضح بصورة تامة إلا أنك من
٧ المحتمل أن تكون مرتبكًا – بكل معنى الكلمة– بشأن كيفية الإجابة ، ولكن إذا
٨ فُهِم المنطوق (١) فقط على أنه نصيحة بعدم الخروج ، أو طلب لغلق النافذة ، أو
٩ مقترح للذهاب للتزلج نهاية الأسبوع التالي (هذا إذا كان السبب أو الأسباب
١٠ وراء نطق هذا التعبير واضحة بطريقة ما) ، فإنك سوف تكون قادرًا على استنباط
١١ استدلالات ضرورية ، وتجيب على هذا المنطوق بطريقة ملائمة ، فالمنطوق
١٢ الخالص أو البسيط دون لعبة Game يشير إليها لا يمتلك في حد ذاته أي دلالة
١٣ تواصلية على الإطلاق ، وعليه فإن منطوقًا مستقرأ من سياق استدلاله لا يحمل
١٤ معنى تواصليًا ، ولا يمكن أن يكون له تأثير تواصلي على الشريك .
١٥ وبداية من الافتراض القائل إن المعنى التواصلي لمنطوق ما يرتبط بصورة جوهرية
١٦ بالسياق الذي عرض فيه ، حدّد بسكو وآخرون (Bosco et al., 2004a) توزيعًا مكونًا
١٧ من ست مكونات للسياق هي : المنال Access ، والمكان Space ، والزمان Time ،
١٨ والخطاب Discourse ، والخطوة السلوكية Behavioral Move ، والمكانة Status ،
١٩ فباستغلاله للمعلومة السياقية يستطيع الشريك تحديد لعبة السلوك التي يعرضها
٢٠ المتكلم الذي يسمح له أن يفهم بصورة كاملة المقصد التواصلي للفاعل .
٢١ وتحت مظلة نظرية التداولية الإدراكية اقترح بوشرلي وآخرون (Bucciarelli
٢٢ et al., 2003) أن هناك عاملين إدراكيين يؤثر كل منهما في فهم أنواع مختلفة من
٢٣ الظاهرة التداولية هما : «الحمل الاستدلالي Inferential Load» ، و«تعقيد
٢٤ التمثيلات الذهنية Complexity of Mental Representations» القابعان وراء فهم
٢٥ الفعل التواصلي Communicative Act .

الحمل الاستدلالي: أفعال الكلام البسيطة والمعقدة

زعم سورل (Searle, 1975) أن التأويل الحرفي للمنطوق أثناء فهم الفعل الكلامي له دائمًا الأسبقية بالنظر إلى أي تأويلات أخرى تشتق منه ، وتبعًا لـ«سورل» فإن فهم فعل كلامي غير مباشر ، مثل :

(٢) هل تسمح بتمرير الملح إلي؟ .

أصعب من فهم فعل كلامي مباشر ، مثل :

(٣) أرجوك مرر لي الملح .

لأنه يتطلب عملية استدلالية أطول . وقدمت بارا وبوشرلي (Bara & Bucciarelli, 1998) دليلاً إمبريقًا على أن الأطفال ، بداية من سن سنتين ونصف ، يجدون أن الأفعال الكلامية المباشرة ، مثل :

(٤) أرجوك اجلس .

والأفعال العرفية غير المباشرة ، مثل :

(٥) هل تمانع في غلق الباب؟ .

متساوية من حيث سهولة فهمهما ، وفي دراسة أخرى ، وجد بوشرلي وآخرون (Bucciarelli et al., 2003) أن الأطفال بداية من سن السنتن ونصف يجدون أن أفعال الكلام المباشرة والأفعال العرفية غير المباشرة أسهل في فهمهما من أفعال الكلام غير المباشر ة وغير العرفية ، مثل :

(٦) إذا سمحت . أنا أدرس .

حيث يشكل طلبًا من الشريك الذي يثبت المسمار بالجاكوش أن يكف عن الضوضاء التي يتسبب فيها .

وباستعمال مظلة نظرية التداولية الإدراكية من المحتمل التخلي عن التمييز بين أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة ، وصياغة تمييز معدل يقوم على أساس الفرق بين العمليات الاستدلالية المشاركة في فهم أفعال تواصلية بسيطة في مقابل أفعال تواصلية معقدة (Bara & Bucciarelli, 1998) ، وتبعًا لهذه النظرية فإن فهم الشريك لأي نوع من الأفعال الكلامية يعتمد على فهم اللعبة

١ السلوكية Behavioral Game التي يعرضها الفاعل ، فالفاعل سوف يؤول منطوق
٢ مخاطبه على أساس الخلفيات المفترض أنها مشتركة بينهما ، وفي هذا المنظور
٣ يقوم الفعل التواصلي على سلسلة استدلالية Inferential Chain ضرورية كي
٤ تشير بالمنطوق إلى اللعبة التي يقصد إليها الفاعل ، فأفعال الكلام المباشرة وغير
٥ المباشرة العرفية تشير بشكل مباشر إلى اللعبة ، ومن ثمّ يمكن تعريفها بأنها
٦ «أفعال كلامية بسيطة Simple Speech Acts» ، ومن ناحية أخرى ، يمكن أن
٧ يشار إلى الأفعال الكلامية غير المباشرة–غير العرفية على أنها «أفعال كلامية
٨ معقدة Complex Speech Acts» ؛ لأن هذه الأفعال تتطلب سلسلة من الخطوات
٩ الاستدلالية ، ولأن الحقيقة هي أن لعبة السلوك المحددة التي تشكل فيها هذه
١٠ الأفعال خطوة سلوكية لا يمكن تحديدها بشكل مباشر ، فعلى سبيل المثال ، من
١١ أجل فهم المنطوق (٤) و(٥) يكفي الشريك أن يشير إلى لعبة «أطلب شيئًا Ask
١٢ for Something Game» ، وفي سبيل فهم المنطوق (٦) فإن هناك عملية
١٣ استدلالية معقدة إضافية ضرورية لفهم هذا المنطوق ، فالشريك يحتاج إلى
١٤ تقاسم الفاعل الاعتقاد بأنه عندما يكون شخص ما يدرس فهو يحتاج إلى
١٥ الهدوء ، وبما أن عملية الدق مقلقة ، فإن المطلوب هو توقف الضوضاء الصادرة
١٦ عنها ، حينها فقط يمكن للشريك أن يعزو المنطوق قيمة الحركة السلوكية في لعبة
١٧ «أطلب شيئًا» ؛ ومن ثمّ فإذا كانت المشكلة تتمثل في كيفية الدخول في
١٨ اللعبة ، فإن التمييز بين أفعال كلامية مباشرة وغير مباشرة لا يتصل بهذه
١٩ المشكلة ، إن الأمر الضروري هنا هو مركب من الخطوات الاستدلالية التي تشير
٢٠ بالمنطوق إلى اللعبة التي يعرضها الفاعل ، وهي المسئولة عن الصعوبات الخاصة
٢١ بفهم الأفعال الكلامية .

٢٢ هذا التمييز ينطبق ليس فقط على أفعال التواصل النموذجية Standard
٢٣ Communicative Acts مثل أفعال الكلام المباشرة ، والعرفية غير المباشرة ، وغير
٢٤ العرفية–غير المباشرة ، بل ينطبق على الأفعال غير النموذجية (مثل الساخرة
٢٥ Ironic والخداعية Deceitful) (Bara et al., 1999a) ، والتمييز نفسه بين أفعال

١ التواصل النموذجية البسيطة والمعقدة ، والساخرة ، والخداعية يتسع لأفعال
٢ تواصل خارج لغوية Extralinguistic Communication Act ، ويتسع أيضًا حينما
٣ يتواصل الفاعل مع مشاركه عن طريق الإشارات (Bosco et al., 2004b) .
٤ إن الحمل الاستدلالي الكامن وراء الفعل التواصلي ربما يفسر اختلاف
٥ درجات الصعوبة في فهم أفعال تواصلية مختلفة خاصة بالصنف التداولي
٦ نفسه ، مثل اختلاف درجة صعوبة الفهم بين الأفعال التواصلية النموذجية
٧ البسيطة والمعقدة منها ، ولتفسير اختلاف درجات الصعوبة التي ربما تقع بين
٨ أفعال تواصلية خاصة بصنف تداولي مختلف ، كما هي بين فعل تواصلي مباشر
٩ وفعل تواصلي مخادع ، فمن الضروري ملاحظة تعقيد التمثيلات الذهنية
١٠ المشاركة في فهمها .
١١
١٢ **تعقيد التمثيلات الذهنية:**
١٣ بالاستمرار في الإطار الخاص بنظرية التداولية الإدراكية وبمحاذاة التعقيد
١٤ نفسه للحمل الاستدلالي المكون لها وصف بوشرلي وآخرون (.Bucciarelli et al,
١٥ 2003) صعوبة متزايدة في فهم أفعال تواصلية بسيطة من أنواع مختلفة : بسيطة
١٦ نموذجية ، وبسيطة مخادعة ، وأفعال تواصلية ساخرة بسيطة .
١٧ ووفقًا للنظرية - وفي حالة التواصل النموذجي - تستخدم قواعد
١٨ الاستدلال المخالفة في فهم الحالات الذهنية لشخص آخر : فهذه القواعد
١٩ صحيحة دائمًا حتى إذا كانت نتائجها يتم التغاضي عنها ، في الحقيقة أن ما
٢٠ يقوله الفاعل في تواصل نموذجي يتماشى مع معتقداته الخاصة . إن أفعال
٢١ الكلام المباشرة ، والعرفية غير المباشرة ، وغير العرفية-غير المباشرة جميعها أمثلة
٢٢ من التواصل النموذجي ، وباعتبار التمثيلات الذهنية فإن الشريك - كي يفهم
٢٣ الفعل التواصلي النموذجي - مطالب ببساطة أن يشير بالمنطوق الذي يقدمه
٢٤ الفاعل إلى سلوك اللعبة التي يقدمها .
٢٥ من ناحية أخرى يستلزم التواصل غير النموذجي - مثل السخرية والخداع

١ – فهم الأفعال التواصلية عن طريق حجب القواعد المخالفة ووقوع عمليات
٢ استدلالية أكثر تعقيدًا تستلزم تضاربًا بين المعتقدات التي يجب أن يشاركها
٣ الفاعل شريكه ومعتقدات هذا الأخير الخاصة . ففي فهم السخرية والخداع
٤ تستلزم التمثيلات الذهنية تقديم فرقًا بين ما يتواصل به الفاعل ، وبين ما يضمره
٥ بصورة شخصية ، ويتبع هذا أن الأفعال التواصلية النموذجية – تماشيًا مع التعقيد
٦ ذاته الخاص بالحمل الاستدلالي المفترض– أسهل في التعامل معها من الظاهرة
٧ التداولية الأخرى .

٨ وتبعًا لـ«بوشرلي وآخرين (Bucciarelli et al., 2003) فإن الشريك في حالة
٩ فهم «الخداع» مطالب بإدراك الفرق بين الحالات الذهنية التي يتم التعبير عنها
١٠ وتلك التي يضمرها الفاعل بصورة شخصية . لاحظ على سبيل التمثيل المثال
١١ التالي : «مارك» يشارك «آن» الرأي بأن المحاضرة التي حضراها الآن كانت مملة
١٢ بصورة غير متخيلة . بعدها تقابل «آن» «جون» وتخبره أنها ومارك حضرا
١٣ محاضرة مملة ، في الظهيرة يقابل مارك جون أيضًا الذي يسأله عن المحاضرة ،
١٤ والحقيقة أن مارك كان متضايقًا من جون لأنه لم يذهب إلى المحاضرة ، ولم يرد
١٥ أن يعلم جون أنه يشعر بأنه أضاع وقته صباحًا ، ولكن مارك لم يعلم أن جون
١٦ قابل آن بالفعل ، ومن ثمّ أجابه :
١٧ (٧) إنها كانت جد ممتعة .

١٨ هنا يمكن لجون أن يفهم أن مارك يحاول خداعه ؛ لأنه يدرك الفرق بين
١٩ الحالة الذهنية التي عبر عنها مارك ، والأخرى الحقيقية التي يضمرها بصورة
٢٠ خاصة .

٢١ وبدلًا من هذا يمكن للتصريح هذا أن يكون ساخرًا عندما يدرك الشريك
٢٢ أيضًا – بالإضافة إلى الوعي بذلك الفرق – أن الحالة الذهنية المعبر عنها تتضاد
٢٣ مع السيناريو الذي يشاركه الفاعل ، على سبيل المثال ، بعد عدة شهور لاحقة ،
٢٤ وخلال حديث مع مارك تسأله آن : هل تتذكر المحاضرة التي حضرناها منذ عدة
٢٥ شهور مضت؟ ، يجيب مارك :

١ (٨) لقد كانت ممتعة في الحقيقة .

٢ فما يجعل هذا المنطوق ساخرًا هو حقيقة أن هذين المتحدثين يتفقان على
٣ أن المحاضرة كانت بالفعل جد مملة ، ومن ثمّ فإن الفرق بين السخرية والخداع لا
٤ يكمن فقط في الوعي بالفرق بين الحالات الذهنية التي يعبر عنها الفاعل ،
٥ وتلك التي يضمرها بصورة خاصة ، بل في وعيه أنه يشارك (أو لا يشارك) هذا
٦ الفرق مع الفاعل .

٧ في حالة السخرية ، يضطر الشريك إلى ألّا يمثل فقط التناقض بين الحالات
٨ الذهنية التي عبر عنها الفاعل وتلك التي أضمرها بصورة خاصة ، بل أيضًا كون
٩ هذا الوعي مشتركًا بينه وبين الفاعل ، وهذا يجعل فعلًا تواصليًا ساخرًا أكثر
١٠ صعوبة من الفعل الخداعي .

١١ لقد بيّن بوشرلي وآخرون (Bucciarelli et al., 2003) وجود صعوبة متزايدة
١٢ في فهم الأفعال التواصلية النموذجية البسيطة ، والخداعية البسيطة ، وكذلك
١٣ الساخرة البسيطة من خلال تجربة أجريت على الأطفال من عمر السنتين
١٤ ونصف إلى سبع سنوات . وبيّن المؤلفون أيضًا أن لدى هؤلاء الأطفال أنفسهم
١٥ تدرجًا مشابهًا ومتوقعًا بشأن صعوبة فهم ظواهر تداولية متماثلة ، سواء في هذا
١٦ أتم التعبير عنها بأفعال كلامية لغوية أم بإشارات تواصلية ، وبغض النظر عن
١٧ القناة التواصلية التي يستخدمها الفاعل - لغوية كانت أم خارج لغوية - فإن
١٨ الأطفال يجدون أن أفعال الكلام البسيطة النموذجية أسهل في الفهم من
١٩ الخداعية البسيطة والتي بدورها أسهل في الفهم من الأفعال التواصلية الساخرة
٢٠ البسيطة .

٢١ وأخيرًا فإن نظرة شاملة على النتائج المذكورة هنا تجعل من المحتمل استدلال
٢٢ أن جميع التنبؤات النظرية (الصادرة عن نظرية التداولية الإدراكية الواقعة في
٢٣ العمليات الإدراكية القابعة خلف الفهم التواصلي) تظل صحيحة بالنسبة
٢٤ للظواهر التداولية ذاتها سواء أتم التعبير عنها بأفعال كلامية لغوية أم بالإشارات .
٢٥ هذه النتائج يبدو أنها تشير إلى أن الأفعال التواصلية اللغوية أو الخارج لغوية

١ تشترك في أغلب العمليات الذهنية ذات الصلة في جميع الظواهر التداولية
٢ المحددة التي تم اختبارها وتقترح أن الكفاية التداوليةPragmatic Competence
٣ تشارك الملكة الإدراكية Cognitive Faculty نفسها بغض النظر عن الدخل Input
٤ الذي تتم معالجته سواء أكان لغويًا أو خارج لغوي ، فمن المحتمل تفسير مثل هذا
٥ الدليل الإمبريقي لصالح إطار نظري موحد للتواصل الإنساني حيث يتطور
٦ التواصل اللغوي أو الخارج لغوي بالتوازي كي يشكّلا مظاهر مختلفة لكفاية
٧ تواصلية Communicative Competence فريدة (انظر ;Bara & Tirassa, 1999
٨ . (Bara, 2005
٩

١٠ **التداولية الإدراكية والتطور**

١١ في هذا القسم سوف نفحص الدليل الإمبريقي الذي يدعم وجود عمليات
١٢ إدراكية للتعقيد المتنامي القابع خلف ظواهر تداولية مختلفة ، فالمجال التطوري
١٣ مهم بصورة خاصة لهذا الهدف ؛ لأنه يجعل من الممكن ملاحظة الأخطاء
١٤ الخاصة بفهم أنواع مختلفة من المهام التداولية التي تسمح لنا بدحض فرضيتنا
١٥ الخاصة بتعقيد العمليات الذهنية المشاركة في ظواهر محددة . على أي حال ،
١٦ يمتلك المختبرون اليافعون نظامًا إدراكيًا وكفاية تواصلية متطورين ؛ ومن ثمّ لا
١٧ تصدر عنهم أي أخطاء واضحة في فهم أو إنتاج أنواع مختلفة من الأفعال
١٨ التواصلية ، يبقى فقط أن نحلل زمن رد الفعل الخاص بهم في حل مثل هذه
١٩ المهام .
٢٠ من ناحية أخرى إذا كانت العمليات الاستدلالية والتمثيلات الذهنية
٢١ للتعقيد المتنامي تكمن وراء فهم أنواع مختلفة من الظواهر التداولية ، إذن من
٢٢ المحتمل تفسير لماذا – خلال تطور كفاية الأطفال التواصلية – يتم إنتاج وفهم
٢٣ بعض الأفعال التواصلية قبل غيرها من الأفعال؟ . على سبيل المثال عادة يبدأ
٢٤ الأطفال فقط بفهم الأفعال التواصلية الصادقة ، ومن بعدها ومع التطور الذي
٢٥ يحرزونه يبدءون مثلًا في فهم السخرية والخداع . إن قدرة الأطفال على التعامل

١ مع سلاسل التمثيلات والسلاسل الاستدلالية للتعقيد المتنامي تتطور مع
٢ الزمن ، وهذه الحقيقة تساعد في شرح تطور كفايتهم التداولية .
٣ من هذا المنظور فإن القدرة المتزايدة على بناء ومعالجة تمثيلات ذهنية معقدة
٤ تتضمنها نشأة قدرة طلاب المدارس الابتدائية ودور الحضانة على الخداع ، إن
٥ المهمة الخداعية ربما تكون أسهل على الفهم من خلال تقليص عدد الشخصيات
٦ والوقائع والمشاهد الخاصة بالمهمة ومن خلال تضمين سياق مخادع (Sullivan et
٧ al., 1994) .

٨ وبالمثل فإن القدرة على فهم وإنتاج أشكال مختلفة من السخريات تتضمن
٩ قدرة استدلالية متنامية ومتطورة ، وقد أجرى لوكريللو وميندولوفتش (Lucariello
١٠ & Mindolovich, 1995) دراسة على قدرة الأطفال من سن السادسة إلى ثماني
١١ سنوات على تقديم نهايات ساخرة لقصص غير مكتملة . وزعم المؤلفان أن إدراك
١٢ وبناء أحداث ساخرة تتضمن القدرة على التأثير في تمثيلات الأحداث . هذه
١٣ التمثيلات يجب أن يتم النظر إليها نظرة فاحصة وأن يتم تفكيكها في سبيل
١٤ بناء بنيات جديدة ومختلفة للفعل الساخر ، أيضًا هناك أشكال مختلفة من
١٥ السخرية تسلك طرقًا متعددة كما بينت التجارب التي صممها المؤلفان ، وبينت
١٦ نتائجهما أن الطفل الأكبر يبني تنويعات واشتقاقات ساخرة من القاعدة
١٧ التمثيلية أكبر تعقيدًا مما يصنعه الأطفال الأصغر سنًا .

١٨ وكما هو ممكن من أجل فهم أفضل لتطور الكفاية التداولية بالنظر إلى
١٩ العمليات الإدراكية المتضمنة في فعل تواصلي محدد ، فمن الممكن أيضًا تفسير
٢٠ العجز في الإنجاز الخاص بحالات إصابة المخ . فقدرة الأطفال ذوي جروح الرأس
٢١ المغلقة/ الملتئمة على حل مهام تداولية هي قدرة ضعيفة بشكل واضح (لمراجعة
٢٢ انظر Bara et al., 1999b) ، فأداء هؤلاء المختبرين أسوء من أقرانهم الأصحاء لمهام
٢٣ تداولية معينة مثل تجسير الفجوة الاستدلالية بين الأحداث في مواقف اجتماعية
٢٤ نمطية ومهام أخرى مثل فهم المنطوقات التي تتطلب عمليات استدلالية بسبب
٢٥ استعمالهم للغة مجازية أو جامدة (Dennis & Barnes, 1990) .

١ **التداولية الإدراكية وإصابة المخ:**

٢ توثر الأمراض العصبية النفسية في الأداء التواصلي بطرق مختلفة ، وذلك
٣ بالاعتماد على معرفة أي نظام إدراكي فرعي قد أصابه العطب ، والمعلومات
٤ المتحصلة من دراسة هذه العمليات غير الطبيعية تمدنا بفرصة مناسبة لفهم
٥ أفضل لهندسة المخ/العقل وعلاقتها بالكفاية التداولية (Tirassa, 1999; Bara &
٦ Triassa, 2000) فعطب الدماغ المكتسب يعوق بعض العمليات الإدراكية في
٧ حين لا يتأثر بعضها الآخر ، على سبيل المثال ، من الأمور الموثقة جيدًا في
٨ الأدبيات أن مرضى الحبسة Aphasic ذوي عطب الجانب الأيسر من الدماغ
٩ لديهم بعض كفاية تداولية متبقية على الرغم من تدهور لغتهم .

١٠ من ناحية أخرى فإن ما تشترك فيه الجروح الدماغية المختلفة Cerebral
١١ Injuries هو عطب في القدرة على التعامل مع الظواهر التي تتطلب من أجل
١٢ فهمها عمليات ذهنية معقدة ، وبشكل خاص فإذا كانت المهام تتطلب
١٣ استدلالات أكبر تعقيدًا فإن هذه القدرة تبدو أكثر اعتلالًا منها في الحالات
١٤ الأخرى ، كما سنرى لاحقًا في هذا القسم . ولعل نتائج مثل هذه تبدو مؤكدة
١٥ على افتراض أن الظواهر التداولية المختلفة تتطلب تنشيطًا لعمليات إدراكية
١٦ معقدة متنامية .

١٧ ولقد وجد ماكدونالد وبيرس (McDonald & Pearce 1996) أن مصابي
١٨ جروح الدماغ الرضية Traumatic Brain Injured (TBI) لا يجدون صعوبة في فهم
١٩ التبادلات المكتوبة الحقيقية Written sincere exchanges مثل :

٢٠ (٩) **مارك** : يا لها من مباراة كرة قدم عظيمة! ،
٢١ **وين** : إذن أنت سعيد أني دعوتك؟ .

٢٢ ولكن لديهم مشكلات عديدة – إذا قارناهم بعينة ضابطة من المختبرين
٢٣ الطبيعيين – في فهم التبادلات الساخرة Ironic exchanges مثل :

٢٤ (١٠) **مارك** : يا لها من مباراة كرة قدم عظيمة .
٢٥ **وين** : آسف أن دعوتك للمجيء .

١ ولقد أعطى المؤلفان المختبرين بيانات مخبرية في صيغ مسموعة ، ووجدا أن
٢ أداء المرضى لم يتحسن . واستنتج المؤلفان أن مصابي جروح الدماغ الرضية
٣ (TBI) لديهم صعوبة في فهم السخرية ، وأنه حتى لو كانت نغمة الصوت
٤ تسهل في العادة فهم العلامات الساخرة Ironic Markers فهي ليست كافية في
٥ حد ذاتها .
٦ علاوة على ذلك وجد ماكدونالد (McDonald, 1999) أنه من العجيب أن
٧ هؤلاء المرضى المصابين بجروح الدماغ الرضية TBI ليست لديهم مشكلات في
٨ فهم التعبيرات الساخرة المكتوبة مثل :
٩ (١١) **توم** : هذا كلب كبير .
١٠ **مونيكا** : نعم ، إنه «بودل» مصغر .
١١ واقترح المؤلف أن المثال (١١) ربما يتطلب من أجل فهمه سلسلة استدلالية
١٢ أقصر مقارنة بالمثال (١٠) ، والحقيقة أنه يكفي من أجل فهم المنطوق (١١) فهم
١٣ أن إجابة مونيكا مفادها أن عبارة توم تعني عكس ما قيل ، أما في المثال (١٠)
١٤ فإن إجابة وين ليست دائمًا رفض للتعليق الأصلي ، ولكنها إشارة إلى رد فعل
١٥ مارك الحقيقي عن المباراة ؛ ومن ثمّ هناك على الأقل خطوتان استدلاليتان
١٦ ضروريتان في عملية الفهم . هذه النتائج تتماشى مع المقترح الذي يرى أن هناك
١٧ أنواعًا من السخرية ربما تتنوع صعوبة فهمها تبعًا لتعقيد الحمل الاستدلالي
١٨ المطلوب (Bara et al., 1999a) .
١٩ والشيء المهم بصورة خاصة – من وجهة نظرنا – هو الدراسات التي بيّنت
٢٠ أن اضمحلال الكفاية التداولية لدى المختبرين ذوي جروح الرأس المغلقة CHI
٢١ يعكس النمط نفسه من التطور الذي تمت ملاحظته لدى الأطفال الأصحاء ،
٢٢ فالقدرات التي يتم اكتسابها مؤخرًا خلال تطور القدرة التداولية هي أكثر عرضة
٢٣ للعطب . وباستخدام قواعد مخبرية لسانية اختبرت بارا وآخرون (Bara et al.,
٢٤ 1997) مجموعة من ذوي جروح الرأس المغلقة ، ووجدوا أن المهام التداولية مثل
٢٥ فهم التواصل غير النموذجي – كالسخرية والخداع – أكبر صعوبة من المهام التي

١ تتطلب فقط تمثيلات ذهنية بسيطة مثل فهم التواصل النموذجي المتضمن في
٢ أفعال الكلام المباشرة والعرفية وغير العرفية–غير المباشرة ، علاوة على هذا لم
٣ يجد المؤلفون فرقًا بين فهم المصابين لأفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة العرفية ،
٤ والنتائج نفسها وجدت بشأن إنجاز الأطفال من ٢–٦ سنوات الذين تم اختبارهم
٥ وفق إعدادات مخبرية مشابهة (Bara & Lucariello, 1998) . ويجب أن يلاحظ
٦ أيضًا أن بارا وآخرين (Bara et al., 1997) أجروا اختبارين تقليديين على الاعتقاد
٧ الخاطئ False Belief لدى مرضى جروح الرأس المغلقة HCI من أجل قياس
٨ نظرية العقل Theory of Mind لديهم ، ولكنهم لم يجدوا فرقًا دالًا بينهم وبين
٩ العينة الضابطة من الأطفال الأصحاء ؛ ومن ثمّ فالإنجاز الناقص لدى هؤلاء
١٠ المرضى في المهام التداولية لا يمكن عزوه إلى عجز في نظرية العقل لديهم ؛ لأن
١١ إنجازهم هذا لا يمكن عزوه إلى عدم قدرتهم على فهم الحالات الذهنية
١٢ للأشخاص الآخرين .

١٣ علاوة على هذا استخدمت بارا وآخرون (Bara et al., 2000) نسخة خارج
١٤ لغوية من الإعدادات المخبرية التداولية ذاتها وقاموا بتقييم فهم التواصل
١٥ النموذجي مثل الأفعال التواصلية البسيطة والمعقدة والتواصل غير النموذجي
١٦ مثل السخرية والخداع ، هذه الإعدادات تحتوي على مشاهد فيديو مسجلة تقدم
١٧ من خلالها الظواهر التداولية بمساعدة وسائل خارج لغوية مثل وضع العلامات
١٨ والتصفيق ، وكان المختبرون على مجموعتين ؛ الأولى مكونة من مجموعة أطفال
١٩ من سن ٢ – ٦ سنوات ، والأخرى عبارة عن مجموعة من مرضى الزهايمر
٢٠ Alzheimer ، ووجدوا أن لدى الأطفال توجهًا مشابهًا لتطور الكفاية الخارج لغوية
٢١ Extralinguistic Competence الذي تمت ملاحظته من قبل بارا وبوشرلي (Bara
٢٢ & Lucariello, 1998) في المجال اللغوي ، بالإضافة إلى هذا ، لاحظ المؤلفون
٢٣ توجهًا مشابهًا نحو اضمحلال الكفاية الخارج لغوية لدى مرضى الزهايمر : فالمهام
٢٤ الخارج لغوية غير النموذجية يتم فهمها بدرجة أقل من المهام التواصلية
٢٥ النموذجية ، وأخيرًا إن اتجاه اضمحلال الكفاية التداولية لدى مجموعة مرضى

١ الزهايمر يشبه النتائج الخاصة بمرضى جروح الرأس المغلقة عندما تم اختبارهم وفق
٢ الإعدادات الخارج لغوية ذاتها (Bara et al., 2001) ، ولقد خضع مرضى جروح
٣ الرأس المغلقة لاختبارات نفس- عصبية عديدة ، ولكن لم تتم ملاحظة وجود
٤ ارتباط ثابت بين انجازهم على مستوى الإعدادات التداولية وإنجازهم على
٥ مستوى الاختبارات النفس-عصبية الشاملة ، ومن ثمّ فالنقص في إنجاز المريض
٦ لا يمكن عزوه إلى عجز في توظيفهم التنفيذي Executive Functioning .
٧ وكما تمت ملاحظته بالفعل بشأن تطور الكفاية التداولية اللغوية والكفاية
٨ الخارج لغوية فإن البيانات الإمبريقية المعنية بأصحاب الأذى الدماغي يبدو أنها
٩ تصب في مصلحة وجود كفاية تداولية موحدة مستقلة عن الدخل Input سواء
١٠ أكان لغويًا أو خارج لغوي ؛ ذلك أن فهم أفعال الكلام والأفعال التواصلية الخارج
١١ لغوية تشترك في معظم العمليات الذهنية ذات الصلة عندما تختبر على مستوى
١٢ ظواهر تداولية مختلفة ، وتبدو الكفاية التداولية مستقلة عن الوسائل التعبيرية
١٣ المستخدمة لتحيينها .
١٤

١٥ **التداولية الإدراكية والوظيفة التنفيذية:**

١٦ بينما تقدم الأدبيات دليلًا إمبريقيًا على أن العمليات الذهنية تتضمنها مهام
١٧ تداولية مختلفة يمكن ترتيبها تبعًا للصعوبة المتنامية – كما رأينا سابقًا – فإننا –
١٨ في سبيل فهم كامل للكفاية التداولية من منظور إدراكي – نحتاج أيضًا إلى
١٩ النظر إلى عامل إضافي يؤثر في القدرة البشرية على التواصل ، وهو الوظائف
٢٠ التنفيذية Executive Funtions .
٢١ إن الوظيفة التنفيذية هي بناء إدراكي يستعمل في وصف السلوكيات
٢٢ الموجهة نحو الهدف Goal-directed Behaviors التي يتم توسيطها عن طريق
٢٣ الفصوص الأمامية Frontal Lobes ، إن الوظيفة التنفيذية تقود أفعال الشخص
٢٤ وتمكنه من التصرف بطريقة مناسبة ومرنة ، إنها تشتمل على قدرات إدراكية
٢٥ مثل : التخطيط ، وضبط الاستجابات المهيمنة ، والمرونة ، والذاكرة النشطة .

١ ولقد بيّن بارنس ودينس (Barnes & Dennis, 2001) أنه بالإضافة إلى عجز
٢ القدرة الاستدلالية فإن نقص الذاكرة النشطة والمهارات الميتاإدراكية ربما تشترك
٣ في شرح مشكلات الأطفال المصابين بجروح الرأس المغلقة CHI في فهم
٤ القصص . فالذاكرة النشطة تقدم المصادر الضرورية لحوسبة الاستدلال في فهم
٥ النص ، وتستخدم المهارات الميتاإدراكية في فحص إذا كان هناك استدلال ما
٦ لابد منه ومتى يبدأ ، واختبر المؤلفان الأطفال التي تتراوح إصابتهم من شديدة
٧ إلى خفيفة وقياس قدرتهم على فهم قصص موجزة مكتوبة ، ووجدا أن لدى
٨ الأطفال أصحاب الإصابة الشديدة عجزًا استدلاليًا ؛ إذ يعانون من مشكلات
٩ ربط معرفتهم العامة بصياغة محددة للنص ، وبصورة عامة عندما تتقلص الأوامر
١٠ الميتاإدراكية وينقص الضغط على الذاكرة النشطة ، فإن الأطفال أصحاب
١١ الإصابة الشديدة لا يبدون عجزًا في الاستدلال مقارنة بالتطور لدى الأطفال
١٢ الأصحاء أو لدى أقرانهم من ذوي الإصابة الخفيفة ، وتؤدي الذاكرة النشطة
١٣ أيضًا دورًا في تفسير نقص القدرة على فهم القصص المكتوبة التي تمت
١٤ ملاحظتها لدى الأطفال المصابين بمَوَه الرأس Hydrocephalus ، وهو اختلال
١٥ عصبي تطوري يتلازم مع ضغط متزايد للسائل النخاعي Cerebrospinal Fluid
١٦ على نسيج المخ Brain Tissue . هؤلاء الأطفال ذوو موه الرأس – عند مقارنتهم
١٧ بالعينة الضابطة – يجدون صعوبة متزايدة عندما محاولتهم فهم جملة جديدة
١٨ بناء على معلومات قراءة جملة سابقة بسبب المسافة الكبيرة بين النصين ؛ ومن
١٩ ثمّ حين لا يبدو أن لهؤلاء الأطفال مشكلة جوهرية في صنع استدلال ما فإن
٢٠ إنجازهم الناقص ناجم بالأساس عن عطب في ذاكرتهم النشطة (Barnes et al.,
٢١ 2004) .

٢٢ وبالنسبة لدور الوظائف التنفيذية الأخرى ، فحص شانون وواتس
٢٣ (Channon & Watts, 2003) قدرة مرضى جروح المخ المغلقة CHI على فهم
٢٤ المقالات القصيرة الموجزة Vignettes التي تتضمن حكمًا تداوليًا ، والعلاقة بين
٢٥ هذا النشاط وبعض الوظائف التنفيذية الأخرى مثل : الذاكرة النشطة ، والمنع ،

١ والقدرة على إدراك وتخطيط استجابات مناسبة في سياق معين . ووجد المؤلفان
٢ أن القدرة على حل مهمة المنع التي تتطلب من المختبرين منع الكلمات المسيطرة
٣ وتوليد كلمات تكمل الجمل بنهايات غير معقولة ، هذه القدرة وحدها تقيم
٤ علاقة متبادلة بينها وبين مهمة الفهم التداولي ، ولم يكن هناك ارتباط بمهارات
٥ تنفيذية أخرى .

٦ ومن منظور نفس–عصبي تعد الفصوص الأمامية السليمة أمرًا مهمًا
٧ بالنسبة للتوظيف التنفيذي ، ولأن جروح الدماغ الرضية ناتجة عن إصابة هذه
٨ المناطق فإن أوجه العجز التداولي التي يبديها هؤلاء المرضى يمكن تفسيرها بفساد
٩ الوظيفة التنفيذية الأساسية ، ومن هذا المنظور فإن العجز في تخطيط ومراقبة
١٠ السلوك مما تمت ملاحظته لدى هؤلاء المرضى يبدو أنه يفسر الصعوبة التي
١١ يتقيد بها هؤلاء تجاه بنية الخطاب العرفي Conventional Discourse (McDonald
١٢ & Pearce, 1998) .

١٣ وبالإجمال يبدو أن الدراسات النظرية والإمبريقية داخل الأدبيات تقترح أن
١٤ من الضروري – من أجل تفسير الكفاية التداولية لدى الناس – أن نأخذ في
١٥ اعتبارنا الدور الذي تؤديه على الأقل ثلاثة عناصر : العمليات الذهنية (وتشمل
١٦ الحمل الاستدلالي وتعقيد التمثيلات الذهنية) ، ونظرية العقل ، والوظيفة
١٧ التنفيذية . وبينما تركز الدراسات الإمبريقية بصورة أساسية على الكفاية اللغوية
١٨ التي نحتاج إليها في تحقيق مهام تداولية متنوعة ، فإن المنظور لابد أن يتسع
١٩ ليشمل مقارنة منهجية مع الكفاية الخارج لغوية ، ذلك حتى نقرر إذا كانت
٢٠ المكونات الإدراكية التي تصنع هاتين الوسيلتين المختلفتين من التواصل متماثلة
٢١ فيهما أم لا ، وأخيرًا فإن نظرية كاملة في مجال التداولية الإدراكية يجب أن
٢٢ تكون قادرة على تفسير ليس فقط قدرة اليافعين الأصحاء على التواصل ، ولكن
٢٣ أيضًا تطور وبلى هذه القدرة لدى مرضى الدماغ المصاب .
٢٤
٢٥

Bibliography

Airenti G., Bara B. G. & Colombetti M. (1993a).
'Conversation and behavior games in the pragmatics of dialogue.' *Cognitive Science* 17, 197-256.

Airenti G., Bara B. G. & Colombetti M. (1993b).
'Failures, exploitations and deceits in communication.' *Journal of Pragmatics 20*, 303-326.

Bara B. G. (1995).
Cognitive science: a developmental approach to the simulation of the mind. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Bara B. G. (2005).
Cognitive pragmatics. Cambridge, MA: MIT Press.

Bara B. G., Bosco F. M. & Bucciarelli M. (1999a).
'Simple and complex speech acts: what makes the difference within a developmental perspective.' In Hahn M. & Stoness S. C. (eds.) *Proceedings of the XXI Annual Conference of the Cognitive Science Society*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates. 55-60.

Bara B. G., Bosco F. M. & Bucciarelli M. (1999b).
'Developmental pragmatics in normal and abnormal children.' *Brain and Language 68,* 507-528.

Bara B G. & Bucciarelli M. (1998).
'Language in context: the emergence of pragmatic competence.' In Quelhas A. C. & Pereira F. (eds.) *Cognition and context*. Lisbon: Instituto Superior de Psicologia Aplicada. 317-345.

Bara B. G., Bucciarelli M. & Geminiani G. (2000).
‘Development and decay of extralinguistic communication.’ *Brain and Cognition 43*, 21-27.

Bara B. G., Cutica I. & Tirassa M. (2001).
‘Neuropragmatics: extralinguistic communication after closed head injury.’ *Brain and Language* 77, 72-94.

Bara B. G. & Tirassa M. (1999).
‘A mentalist framework for linguistic and extralinguistic communication.’ In Bagnara S. (ed.) *Proceedings of the 3rd European Conference on Cognitive Science*. Roma: Istituto di Psicologia del Consiglio Nazionale delle Ricerche.

Bara B. G. & Tirassa M. (2000).
‘Neuropragmatics: brain and communication.’ *Brain and Language* 71, 10-14.

Bara B. G., Tirassa M .& Zettin M.(1997).
‘Neuropsychological constraints on formal theories of dialogue.’ *Brain and Language 59*, 7-49.

Barnes M. A. & Dennis M. (2001).
‘Knowledge-based inferencing after childhood head injury.’ *Brain and Language 76*, 253-265.

Barnes M. A., Faulkner H., Wilkinson M. & Dennis M. (2004).
‘Meaning construction and integration in children with hydrocephalus.’ Brain and Language 89, 47-56.

Bosco F. M., Bucciarelli M. & Bara B. G. (2004a).
‘The fundamental context categories in understanding communicative

intentions.' *Journal of Pragmatics 36(3)*,467-488.

Bosco F. M., Sacco K., Colle L., Angeleri R., Enrici I., Bo G. & Bara B. G. (2004b).

'Simple and complex extralinguistic communicative acts.' In Forbus K., Gentner D. & Regier T. (eds.) *Proceedings of the Twenty-Sixth Annual Conference of the Cognitive Science Society*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates. 44-49.

Bucciarelli M., Colle L. & Bara B. G. (2003).

'How children comprehend speech acts and communicative gestures.' *Journal of Pragmatics 35*, 207-241.

Channon S. & Watts M. (2003).

'Pragmatic language interpretation after closed head injury: relationship to executive functioning.' *Cognitive Neuropsychiatry* 8, 243-260.

Dennis M. & Barnes M. A. (1990).

'Knowing the meaning, getting the point, bridging the gap, and carrying the message: aspects of discourse following closed head injury in childhood and adolescence.' *Brain and Language 39*, 428-446.

Giora R. (2003).

On our mind: *salience, context and figurative language*. New York: Oxford University Press.

Lucariello J. & Mindolovich C. (1995).

'The development of complex meta-representational reasoning: the case of situational irony.' *Cognitive Development 10*, 551-576.

McDonald S. & Pearce S. (1996).

'Clinical insights into pragmatic theory: frontal lobe deficits and

sarcasm.' *Brain and Language 53*, 81-104.

McDonald S. & Pearce S. (1998).

'Requests that overcome listener reluctance: impairment associated with executive dysfunction in brain injury.' *Brain and Language 6*, 88-104.

McDonald S. (1999).

'Exploring the process of inference generation in sarcasm: a review of normal and clinical studies.' *Brain and Language 68*, 486-506.

Searle J. R. (1975).

'Indirect speech acts.' In Cole P. & Morgan J. L. (eds.) *Syntax and semantics*, vol. 3: *Speech acts*. New York: Academic Press. 59-82.

Sperber D. & Wilson D. (1986/1995).

Relevance. Oxford: Blackwell.

Sullivan K., Zaitchik D. & Tager-Flusberg H. (1994).

'Preschoolers can attribute second-order beliefs.' *Developmental Psychology 30*, 395-402.

Tirassa M. (1999).

'Communicative competence and the architectures of the mind/brain.' *Brain and Language 68*, 419-441.

التداولية التجريبية
دور جريس في دراسة اللغة

إيرا ا . نوفك ، وآن ريبول

Experimental Pragmatics: a Gricean Turn in the Study of Language.

Ira A. Noveck and Anne Reboul

Trends in Cognitive Sciences 2008: 12 (11): 425-31.

ملخص : إن تبيّن معنى المنطوق لا يتطلب فقط نحوًا متقنًا ومعرفة بمعاني الكلمات ، بل يتطلب كذلك فهم السمات التواصلية (التداولية) للغة ، وعلى الرغم من أن هذا المظهر كان حاضرًا في التحليلات والمناقشات اللغوية نجد أن علماء الإدراك خلال العقد الماضي أو أبعد استقصوا بشكل ملموس السمات التداولية للغة ببحث تجريبي ، وسنبدأ هنا بالمساهمة المتميزة لبول جريس P. Grice لفلسفة اللغة الطبيعية ، ونتبيّن كيف أدت إلى هذه المساحة النشطة من البحث التجريبي ، ثم نركّز على مثالين من الظواهر هما : الاستدلال العددي Scalar Inference وتمييز المرجع Reference Resolution قبل النظر في موضوعات أخرى تتناسب مع النظام المعروف بالتداولية التجريبية .

١ إن تبيّن معنى منطوق ما يتطلب أكثر من مجرد المعرفة بمعاني الكلمات أو
٢ امتلاك نحو دقيق ؛ ففهم معنى المتكلم يتضمن من بين أشياء عديدة خلاصات
٣ استدلالية تتجاوب مع أوامر غير مباشرة ، والإشارة إلى أشياء تقع في مجال
٤ الرؤية أو خارجه ، والأكبر أهمية أن فهم منطوق ما يتطلب نفاذًا إلى – أو
٥ افتراضًا بشأن – مقصد المتكلم . وبتعبير آخر إن فهم المنطوقات يتضمن فهم
٦ السمات التواصلية (التداولية مثلًا) للغة ، وعلى الرغم من أن هذا الأمر كان
٧ مظهرًا معاصرًا للتحليلات والمناقشات اللغوية نجد أن علماء الإدراك خلال
٨ السنوات العشر الماضية قد فحصوا هذه السمات بطريقة تجريبية ملموسة .
٩ إن هذا الدور الحديث نسبيًا يمكن أن يعود إلى بول جريس Grice ومقاربته
١٠ الفلسفية في فهم المنطوق ، وسنركز هنا على مساهمة جريس في فلسفة اللغة
١١ الطبيعية ، ونبين كيف أنها أدت إلى بحوث تجريبية داخل العلوم الإدراكية ،
١٢ بعدها نبحث بشكل موجز منطقتين من البحث التجريبي هما : الاستدلال
١٣ العددي ، وتمييز المرجع ، وقد تأثرتا بتحليل جريس ، الأولى تم بحثها بشكل
١٤ جوهري في أوروبا ، وتهتم بالطريقة التي يكون فيها استعمال عنصر منطقي
١٥ بصورة محددة يبدو كأنه يتضمن رفض عنصر آخر أقوى متصل (مثل أن some
١٦ تتضمن not all) ، والثانية تمت متابعتها في أمريكا الجنوبية تحديدًا ، وتغطي
١٧ الطريقة التي تتم بها الإشارة إلى الأشياء ، ومن ثمّ نتحول إلى موضوعات أخرى
١٨ يمكن أن تقع تحت قانون ما يشار إليه بالتداولية التجريبية[1] ، وفي الختام نركز
١٩ على كيف أن هذه التطورات العلمية كانت متوقعة .
٢٠

٢١ ماذا يعني الفعل «يعني»؟

٢٢ كانت مساهمة جريس[2] الأولى تقترح تحليلًا جديدًا للمعنى ، وفرّق
٢٣ جريس بين معنى الجملة Sentence Meaning (الخواص الدلالية للجملة التي
٢٤ تتعين لها عن طريق النحو) ومعنى المتكلم Speaker Meaning (ما يقصد المتكلم
٢٥ بالفعل توصيله من خلال نطق جملة معينة) ، إن اكتشاف معنى جملة ما من

١ منطوق فعلي هو مسألة فك شفرة هذه الجملة ، أي اكتشاف الخواص الدلالية
٢ التي يمنحها النحو لصيغتها الصوتية . أما اكتشاف معنى المتكلم فيتضمن عزو
٣ نوع معين من القصد إلى هذا المتكلم ؛ أي قصد إنتاج تأثير إدراكي على
٤ الجمهور ، ويتم هذا بجعل الجمهور يدرك هذا القصد .
٥ وبتعبير آخر ، على الرغم من أن التواصل الإنساني يعتمد جزئيًا على
٦ الشفرة ، لا يمكن اختزاله في مجرد عملية تشفير وفك هذا التشفير ، إنه يتضمن
٧ عزو حالات ذهنية إلى المتكلم .
٨ بداية في محاضراته «محاضرات وليم جيمس W. Games خطّ جريس [2]
٩ أبعد من هذا إذ اقترح أن المحادثة تتأسس على مبدأ التعاون Principle of
١٠ Cooperation الذي يتطلب من المتحدثين أن يجعلوا «مشاركتهم في المحادثة على
١١ الصورة التي يتطلبها ، في المرحلة الواقعة فيها ، الغرض المقبول أو اتجاه تبادل
١٢ الحديث الذي يشتركون فيه» ، هذا المبدأ تم بيانه بعدد من قواعد المحادثة التي
١٣ من المفترض أن يتبعها المتكلمون ، منها على سبيل المثال «قواعد الكم» وهي
١٤ «اجعل مشاركتك إعلامية على قدر المطلوب ولا يزيد إعلامها عما هو
١٥ مطلوب» ، وقواعد الكيف المشروطة بالصدق «لا تقدم معلومات خاطئة أو غير
١٦ مدعومة بالدليل» ، فالانتقال من معنى الجملة إلى معنى المتكلم يمكن توضيحه
١٧ بالعملية الاستدلالية التي يؤدي إليها توقع التزام المتكلم بهذه القواعد ، وفي
١٨ هذه الطريق نظم جريس [2] الأسس الفلسفية للتواصل .
١٩ ولقد كُتِب لمبادئ جريس هذه أن تفسر النتائج التجريبية ، كالنتائج الخاصة
٢٠ بالاستعارة [3] وتطور الاستهزاء [4] وتوصيل الاستجابات [5] وفهم المشكلات
٢١ [6,7] ، وعلى أي حال فقد أصبح واضحًا بوتيرة متسارعة أن نظرية جريس [2]
٢٢ لم تكن مصممة لتقديم توقعات تجريبية محددة أو لتقديم فروق مهمة بين
٢٣ المنطوقات ، فهذه سوف تتخذ فروعًا جانبية ذات ميل نظري إدراكي لإنجاز قابلية
٢٤ تجريبية يمكن تحقيقها ، وهذا يمكن توضيحه بصورة جيدة مع حالتنا الأولى التي
٢٥ تقع تحت قاعدة الاقتضاءات العددية .

١ **الأعداد والاستدلال:**

٢ لاحظ جون ستيورت مل (كما هو مقتبس في المرجع رقم [8]) أن المنطوقات
٣ مثل : «رأيت بعض أولادك اليوم» تفسر عادة بـ «لم أر جميع أولادك اليوم» ؛ لأن
٤ المتكلم إذا عني [كل] «all» الأكثر معلومية كان عليه أن يفصح عن هذا ، وعلى
٥ الرغم من أن هذا التأويل يثير تناقضًا بطريقة غير مبرهنة ؛ لأن المعنى الدلالي لـ
٦ [بعضsome] –في الحقيقة – ينسجم مع all (ولتقويم هذا انظر إلى معلم يقول
٧ لتلاميذه بخجل : «بعضكم اجتاز الاختبار» وهو يعلم في الحقيقة أنهم جميعًا
٨ قد اجتازوه ، ورغم أنه يتحدث بصدق فإنه مدان فقط لكونه ليس مستعدًا
٩ لتقديم المعلومات) . وإذا وضعنا التفسيرات جانبًا فإن هذا النوع من تضييق
١٠ Narrowing دلالة some كي تعني some but not all [بعض وليس كل] يبدو
١١ شائعًا ؛ لأن العديد يعتقد أن some تعني بالفعل (بعض وليس كل) ، ولقد
١٢ وضع جريس [2] مصطلحًا لهذا النوع من الاستدلال هو «الاقتضاءات المحادثاتية
١٣ المعممة Generalized Conversational Implicatures» ، وهي استدلالات تداولية
١٤ مرتبطة بالقضايا التي تبدو شائعة وتجعلها صحيحة من الناحية التداولية لا
١٥ المنطقية ، فكيف يمكن بالفعل وضع مفهوم جريس كي يكون فاعلًا وقابلًا
١٦ للتحليل اللغوي؟

١٧ إحدى فئات المقترحات المقدّمة في هذا الصدد تأثرت بالمقاربة التي تطورت
١٨ على يد لورانس هورن L. Horn (كما هي موجزة في المرجع [8]) الذي يصف
١٩ نفسه بأنه ينتمي إلى مدرسة جريس الجديدة Neo-Gricean حيث قصد إلى
٢٠ تنظيم قواعد جريس ، وزعم هورن – بالنسبة لحالات مثل some – أن اشتقاق
٢١ الاقتضاءات المعممة يرتكز على وجود مسبق لمدرج لغوي يتكون من مجموعة
٢٢ من التعبيرات المرتبة حسب المعلوماتية Informativeness (مثل «some,all»)
٢٣ حيث يكون الأول أقل معلوماتية من الأخير ، فعندما يستعمل المتكلم عنصرًا
٢٤ أقل من حيث الترتيب المعلوماتي (مثل some في مثال جون ستيورت مل
٢٥ السابق) يفهم منه أن المتكلم يقتضي أن القضية التي سوف يتم التعبير عنها

١ بالعنصر الأقوى داخل الترتيب all قضية غير صحيحة ، وهذا يمكن تعميمه على
٢ أكثرية الأعداد ، فإذا نظرنا إلى أحد العناصر المنطقية «or» و«and» (حيث الأول
٣ أقل معلوماتية من الأخير) ، وقال قائل : إن خطيبها أحضر «أزهارًا أو شرابًا»
٤ يمكن أن يقتضي هذا أن من غير الصحيح أنه أحضر كلاهما ؛ لأن المتكلم سوف
٥ يكون أكثر معلوماتية ومناسبة إذا قال : «أزهارًا وشرابًا» ، فهو الوجود المنتشر
٦ للأعداد الذي قاد كثيرين إلى تسمية التضييق Narrowing الاقتضاء العددي
٧ Scalar Implicature .

٨ وبانتهاج هذه المقاربة اقترح ستيفن ليفنسون S. Levinson [9] ، وهو أحد
٩ أتباع مدرسة جريس الجديدة ، أن هذه الاقتضاءات المسماة اقتضاءات عددية
١٠ يتم توليدها بطريقة ذاتية في كل مرة تستخدم فيها عناصر ضعيفة (على مدرج
١١ المعلوماتية) ، علاوة على هذا اقترح أن هذه الاقتضاءات يمكن أن تنتسخ
١٢ Cancelled كي تمدّ السامع بالمعنى الدلالي داخل سياقات محددة . أما المقاربة
١٣ الأكبر تحديدًا فهي مقاربة شيرشيا Chierchia وآخرين [10] حيث اقترحت أن
١٤ الاقتضاءات العددية دائمًا ما تحصل فيما عدا صنف نحوي معين (يشار إليه
١٥ بالاستلزام التنازلي Downward Entailing) يتضمن النفي وصيغ الاستفهام
١٦ والمقدمات الشرطية ، ويتوقع من هذا أن العبارة التي تحتوي على or في جواب
١٧ الشرط (العبارة التي تلي then [إذن] في if A then B or C) تتم قراءتها على أنها
١٨ حصرية (B or C but not both) بينما العبارة التي تحتوي على or في جملة فعل
١٩ الشرط (العبارة التي تسبق then في If A or B then C) لا تقرأ بهذه الطريقة (بل
٢٠ تقرأ A or B : [أ أو ب وربما كلاهما[11]])

٢١ وفي مقابل فئة المقترحات هذه التي تفترض أن التضييقات موجودة في كل
٢٢ مكان ، دافعت نظرية الملاءمة Relevance Theory – وهي نظرية بديلة تمثل نظرية
٢٣ ما بعد جريس Post-Gricean Theory – عن رؤية مختلفة تمامًا ، وتبعًا لهذه
٢٤ المقاربة فإن القراءة الدلالية لعنصر مثل some تكون كافية وجيدة بصورة تامة ولا
٢٥ تحتاج إلى التضييق على الإطلاق ، وعندما يكون هناك تضييق فإنه يكون محددًا

١ بالسياق كل مرة ، وبتعبير آخر ، لا تفترض نظرية الملاءمة أن القراءة الدلالية لـ
٢ some تقوم على الآلية الذاتية العامة التي تضيّق أولًا معنى some إلى not all ،
٣ ويتبع هذا أيضًا أن نظرية الملاءمة لا تفترض أن منالية Access القراءة الدلالية لـ
٤ some تتطلب خطوة إضافية تمحو الاقتضاء ، علاوة على هذا فإن جميع الأشياء
٥ الأخرى تبقى متعادلة إذ تشير نظرية الملاءمة إلى أن المنطوقات التي تفهم بمعنى
٦ ضيق لـ some تتطلب جهدًا أكبر من غيرها [12] .

٧ وفي السياق النظري لما بعد نظرية جريس تم تنظير العمل التجريبي على
٨ الاقتضاءات العددية لدى كل من الأطفال والبالغين ، وقدمت نتائج قوية ، وإذا
٩ تحدثنا بطريقة تطورية نقول : إن المرء يجد أن القراءات الضيقة Narrowed
١٠ Readings تحدث بصورة متزايدة مع مرور الزمن مشيرة إلى أن التأويلات التي
١١ يقدمها المشاركون الصغار تعتمد على القراءات الدلالية . وأحد جوانب هذه
١٢ المزاعم صادر عن النتائج التي بيّنت أن الأطفال أقل ميلًا من اليافعين لرفض
١٣ الجمل الأقل معلوماتية Underinformative مثل «بعض الفيلة لها خراطيم»
١٤ [13] ، وعلى الرغم من أن الأعمار الصغيرة التي نجد فيها دليلًا موثوقًا على أن
١٥ التأويلات الضيقة داخل تجربة ما تتغير تبعًا لـ(صعوبة) المهمة ، فإن المسار
١٦ التطوري (من الدلالي إلى الضيق) يتم تمثيله بصورة ثابتة في اللحظة التي تتنوع
١٧ فيها اللغات وأنماط الجمل الأقل معلوماتية [14,15] كما في المهمة القائمة على
١٨ الاستجابات غير اللفظية non-verbal [16].

١٩ إن الثراء التداولي يرتبط لدى البالغين بمدى الجهد المبذول ، فقد استعمل
٢٠ «بوت» و«نوفك» Bott & Noveck [17] مهمة تصنيف Categorization تتضمن
٢١ عبارات أقل معلوماتية مثل «بعض القطط من الثدييات» ، والضوابط Controls
٢٢ مثل «جميع القطط من الثدييات» ، و«جميع الثدييات قطط» ، و«بعض
٢٣ الثدييات قطط» ، ومرة أخرى ، تعد العناصر الأقل معلوماتية أمرًا جوهريًا ؛ لأنها
٢٤ يمكن أن تعد صحيحة في قراءة دلالية (بعض وربما كل some and perhaps all)
٢٥ وخاطئة في قراءة ضيقة (بعض وليس الكل some but not all) ، في العادة تأتي

١ الاستجابات الخاطئة بشأن العبارات الأقل معلوماتية أبطئ من الاستجابات
٢ الصحيحة بالإضافة إلى جميع العبارات الضابطة الصحيحة والخاطئة ،
٣ وبالطريقة نفسها تصبح الاستجابات التي تعكس التأويلات الضيقة أكثر تواترًا ؛
٤ لأنها استجابة تتزايد بصورة كامنة ، وحين يتقيد المختبرون في استجابتهم بـ
٥ ٩٠٠ ميلي من الثانية يقدمون استجابات صحيحة بشكل ملحوظ (تشير إلى
٦ القراءات الدلالية) لعبارات مثل «بعض القطط ثدييات» بعكس إذا كان الزمن
٧ المسموح به للاستجابة يصل إلى ٣ ثوان (بمعنى أن الاستجابات الخاطئة التي
٨ تشير إلى القراءات الضيقة تتزايد مع الوقت) . إن نتائج مشابهة لزمن الاستجابة
٩ تم تسجيلها بين البالغين بشأن العناصر الأقل معلوماتية الموصوفة سابقًا («بعض
١٠ الفيلة لها خراطيم») [18] ومع العطف التخييري الأقل معلوماتية [19] ، ولإدراك
١١ هذه الأخيرة تخيل موقفًا حيث يرى المشاركون كلمة من خمسة أحرف ، مثل
١٢ TABLE مائدة ، ومن ثمّ يسمعون «الكلمة بها (A) أو (B)» التي تحتاج إلى
١٣ تقيميها بالصحة أو الخطأ ؛ فهذه العبارة صحيحة بالقراءة الدلالية وخاطئة
١٤ بالقراءة الضيقة . فضلًا عن ذلك ، فإن الاستجابات التي تشير إلى قراءات
١٥ ضيقة أقل حدوثًا عندما يطلب من المشتركين تنفيذ مهمة أخرى في الوقت
١٦ نفسه [20] .

١٧ لا يحتاج المرء إلى الاعتماد على العبارات الأقل معلوماتية لفحص
١٨ التضييقات ؛ إذ يمكن توظيف مهمة «قراءة التقدم الذاتي Self-paced
١٩ Reading»[٢١] ، فإذا نظرنا إلى الجمل ذات الفصل في المثال (i) و (ii) (حيث
٢٠ تشير الشرطة المائلة إلى المكان الذي يتطلب من القراء الضغط على زر
٢١ للاستمرار) ، نرى أنه في حين تكون القراءة الدلالية لجملة الفصل (دفاتر
٢٢ الصف أو الملخص أو ربما كلاهما Class notes or the summary or perhaps both)
٢٣ مناسبة للسياق المقيد الأدنى Lower-bound Context في المثال (i) فإن القراءة
٢٤ الضيقة (دفاتر الصف أو الملخص وليس كلاهما class notes or the summary
٢٥ but not both) هي أكثر مناسبة لإطار السياقات المقيدة العليا Upper-bound

١ Contexts في المثال (ii) .

٢ (i) Lower-bound context

٣ John heard that / the textbook for Geophysics / was very advanced. /
٤ Nobody understood it properly. / He heard that / if he wanted to pass the
٥ course / he should read / **the class notes or the summary**.

٦ سمع جون أن/ كتاب الجيوفيزياء/ كان مستواه متجاوزًا جدا ./ وبالأحرى
٧ لن يفهمه أحد ./ وسمع أنه/ إذا أراد النجاح في هذا المنهج/ يجب عليه قراءة/
٨ **دفاتر الصف أو الملخص** .

٩ (ii) Upper-bound context

١٠ John was taking a university course / and working at the same time. / For
١١ the exams / he had to study / from short and comprehensive sources. /
١٢ Depending on the course, / he decided to read / **the class notes or the**
١٣ **summary**.

١٤ كان جون يدرس منهجًا جامعيًا/ وكان يعمل في الوقت نفسه/ ولأجل
١٥ الاختبارات/ وجب عليه أن يدرس/ مناهج قصيرة ومفصلة/ وبناء على المنهج/
١٦ قرر أن يقرأ/ **دفاتر الصف أو الملخص** .

١٧ وكون عبارة الفصل تأخذ بصورة ملحوظة وقتًا أطول في فهمها في العبارة
١٨ (ii) مما تتطلبه العبارة (i) يتسق مع النتائج التي تمت ملاحظتها سابقًا حيث
١٩ تبدو القراءات الضيقة أكبر صعوبة من القراءات الدلالية .

٢٠ والأمر اللافت أن العديد من البحوث حول التطور والتصنيف
٢١ Categorization في السبعينات والثمانينات قدمت - بشكل ثانوي - نتائج
٢٢ تتوافق مع نتائج ما تم وصفه الآن [22,23] ، ولكن أصحابها كانوا يشككون في
٢٣ نتائجهم ؛ لأنها بدت حدسية متعارضة . أما النتائج الحديثة فلم تؤكد فقط على
٢٤ هذه النتائج ، بل حدّدت أيضًا تلك النظرية التي تستلهم مبادئ جريس وتبدو
٢٥ منطقية بالنسبة لهم ، وتماشياً مع نظرية الملاءمة بيّنت المعطيات الحالية أن

١ القراءات الدلالية للعناصر الضعيفة هي القراءات الأقرب منالًا لدى كل من
٢ الأطفال واليافعين بينما تتطلب القراءات الضيقة جهدًا أعلى مؤدية إلى اتجاهات
٣ تطورية مميزة وبطء زمني ملحوظ لرد الفعل ، وهذا يدفع باتجاه معاكس للمقاربة
٤ التي سوف تتوقع للمعاني الضيقة أن تكون أساسية وتحدث بصورة تلقائية وأن
٥ تكون المعاني الدلالية ناتجة عن النسخ .
٦
٧ **الإحالة الواضحة:**
٨ في الإحالة إلى شيء ما يكون التأويل محددًا بصورة دلالية في العادة ،
٩ فعلى سبيل المثال حينما يقول المحاور : «لقد اعتدت العمل من أجل هذه
١٠ الصحيفة» (بالإشارة إلى النسخة الأخيرة من الصحيفة) فإن تأويل المتلقي
١١ يعتمد بصورة كبيرة على تعيين مقصد المتكلم ؛ ومن ثمّ فالإحالة هي جزء
١٢ طبعي آخر من تأويل المنطوق يتناسب مع إطار نظرية جريس وذلك الإطار الذي
١٣ يستحث أعمالًا تجريبية كثيرة . إن أحد القيود المهمة في تعيين معنى المتكلم
١٤ حينما يستعمل الإحالة هو الخلفية المشتركة التي تسمى أيضًا المعرفة المتبادلة ،
١٥ وهي المعرفة المشتركة بين المتحاورين التي يعلمون أنها ستكون كذلك [24] ،
١٦ والسؤال الذي تطرحه هذه الأدبيات سؤال مألوف : هل تحكم الخلفية المشتركة
١٧ التأويل اللغوي؟ أم أنها تتدخل فقط عندما تكون هناك حاجة إليها؟
١٨ أحد جوانب الخلاف يفترض أن الخلفية المشتركة جوهرية إلى حد كبير في
١٩ الفهم المتبادل ، وأنها جل ما يحتاج إليه لتعيين المرجع [25] ، وهناك نموذجان
٢٠ لهربرت كلارك H. Clark ومعاونوه [25, 26] وضعا أسس هذا الافتراض ، في
٢١ النموذج الأول - الذي يستخدم الإحالات المتكررة بوصفها مقياسًا للإنتاج -
٢٢ يتبادل متحاوران منفصلان الأوصاف والمعلومات من أجل تنظيم مجموعتين
٢٣ متطابقتين مكونة من ١٢صورة على ترتيب معين [26] . وعندما تمثّل هذه الصور
٢٤ أشياء أساسية (مثل : كلب ، دمية ، سيارة ، . . . الخ) يشير إليها المشاركون
٢٥ بأسمائها المعهودة ، ولكن عندما يتم تقديم المجموعة الثانية من الصور التي

١ تتضمن أربعة أشياء من صنف واحد (مثل : أربعة كلاب أو أربعة سيارات)
٢ يميلون إلى استعمال مراجع أكثر تحديدًا («لابرادور أحمر» بدلًا من استعمال
٣ «كلب») تعبيرًا عن تغير تحديد المرجع بالسياق . ومن المثير للاهتمام أن عنصرًا
٤ من العناصر التي تم وصفها بصورة محددة (وأكثر معلوماتية) في المجموعة الثانية
٥ عندما يصبح جزءاً من المرحلة الثالثة في التجربة ، فإن المشاركين يستمرون في
٦ استعمال مرجعه الأكثر تحديدًا الذي تعرفوه في الجولة الثانية من التجربة . إن
٧ هذا التمسك يتم باستغلال «التبني المعجمي Lexical Entrainment»[27] ،
٨ والفكرة فيه مؤداها أنه حينما يهتدي المتحاورون إلى تعبير شائع للإشارة إلى
٩ شيء معين فإنهم يستمرون في استعماله حتى لو بدا هذا التعبير أعلى
١٠ معلوماتية Overinformative ، وهذا يبيّن أن الاتفاق المفهومي بين المتحاورين له
١١ الأسبقية على مجرد كونه إخباريًا بصورة كافية لكل مناسبة .
١٢ وفي المقام الثاني الذي يعتمد على مقاييس الفهم يُطلَب من المختبرين
١٣ اختيار المرجع بناء على الأسئلة المطروحة ، فعلى سبيل المثال عرض كلارك
١٤ وزملاؤه [25] صورة تجمع بين «رونالد ريجان» (كشخصية شهيرة) و«ديفيد
١٥ ستوكمان» (أقل شهرة) على بعض المتنزهين في حرم جامعة ستانفورد
١٦ وسألوهم : «أنت تعرف من هذا الرجل . أليس كذلك؟» أو «هل لديك فكرة من
١٧ يكون هذا الرجل؟» ، ولقد دفع السؤال الأول أغلب المشاركين إلى اختيار «رونالد
١٨ ريجان» بكل ثقة ، في حين لم يدفعهم السؤال الثاني لاختيار «ريجان» بثقة إنما
١٩ دفعهم إلى الإشارة إلى صورة «ديفيد ستوكمان» كتقريب أول ، وافترض المؤلفون
٢٠ أن الصيغة التي استعمالها المستجوب تقتضي ضمنًا ما هو جزء من الخلفية
٢١ المشتركة ، وتمكن المؤلف من اختيار المرجع البارز .
٢٢ لقد دار نقاش كبير حول تحديد مرجع المخاطب بالنظر إلى الفهم – في المقام
٢٣ الأول – وجعله الموضوع الرائج للتداولية التجريبية . ومن الملاحظ أن قيصر
٢٤ Keysar وزملاءه [28] أكدوا على أن المستمع لا يأخذ في اعتباره – بصورة
٢٥ مباشرة – رؤية المتكلم مشيرين إلى أن نظرية العقل ليست الشرط الوحيد

١ لتحديد المرجع ، هذه الرؤية قائمة على مخطط به العديد من الأشياء موزعة
٢ على ستة عشر ١٦ فراغًا داخل شبكة رباعية . وبينما يستطيع المخاطبون رؤية
٣ جميع الأشياء داخل الشبكة ، يستطيع المتكلمون رؤية اثني عشر ١٢مربعًا
٤ فقط ؛ ومن ثمّ لا يرون جميع الأشياء . وفي دراسة قيصر Keysar وآخرين
٥ [29,30] أشارت بيانات تتبع حركة العين أن المخاطبين - في المواقف التي يكون
٦ فيها المرجع الذي يقصده المتكلم هو فقط الشيء الذي يراه هو والمخاطب - لا
٧ يستطيعون منع أنفسهم من تثبيت عيونهم في بادئ الأمر على العنصر غير
٨ المقصود (أي العنصر الذي يطابق وصف المتكلم حتى لو كان بعيدًا عن مجال
٩ رؤيته) قبل تثبيتها على المرجع المقصود .

١٠ هذه الافتراضات لم تذهب أدراج الرياح ، ففي الدفاع عن مقاربة الخلفية
١١ المشتركة القوية افترضت الدراسات الأخرى الخاصة بتتبع حركات العين
١٢ وتركيزها على مرجع واضح - التي أجريت على عينة من الأطفال والبالغين -
١٣ أن المشاركين يستطيعون - في الحقيقة - دمج معلومات الخلفية المشتركة بشكل
١٤ مباشر [31,32] ، وفي دراسة على البالغين بيّنت هانا وآخرون Hanna et al .[31]
١٥ أنه عندما يتقلص المشهد إلى أربعة أشياء يتم وصفها وتشكيلها تصويريًا -
١٦ لنقل : زجاجتا مارتيني وزجاجتان - واحدة منها مملؤة بالزيتون (لنقل مثلًا
١٧ زجاجة مارتيني) فإن الإحالة إلى زجاجة مارتيني محددة بتعبير مثل : «خذ
١٨ زجاجة المارتيني الفارغة وضعها . .» ستؤدي إلى التركيز أولًا على زجاجة
١٩ المارتيني الفارغة (عندما يقول المتكلم «الفارغة») . وهذا يعد علامة على أن
٢٠ المشاركين يستعينون بالتلميحات اللسانية (لأن أداة التعريف تشير إلى شيء
٢١ ضد الزجاجة المملؤة) وأن تقييدات نظرية العقل وشروطها يجب أن يتم بلوغها
٢٢ وتطبيقها بشكل مباشر .

٢٣ وفي دراسة تطوريّة وضع ناديج وسيدفي Nadig & Sedivy [33] شبكة
٢٤ رباعية (أحد فراغاتها الأربعة مغلق من ناحية المتحدث) بين متكلم واحد
٢٥ وأطفال في سن السادسة . وكان العنصر الحاسم في الاختبار هو الطلب ، مثلًا :

١ «خذ الزجاجة» عن زجاجة طويلة موجودة داخل الفراغات المرئية المشتركة بين
٢ المتكلم والمستمع ، وهناك ثلاثة تشكيلات مختلفة للأشياء الأربعة يمكن
٣ للأطفال أن يروها ، هذه التشكيلات تتولد عنها ثلاثة حالات هي : الحالة
٤ الأولى -التي تتضمن حالة أخرى- توضع فيها الزجاجة الصغرى في فراغ
٥ مفتوح (مرئي لكل المتحاورين) ، وهي تشكل غموضًا إحاليًا Ambiguity
٦ Referential ، في الحالة الثانية المسماة حالة «الخلفية المميزة Privileged Ground
٧ «تكون الزجاجة الصغرى في الفراغ المغلق ، وفي الحالة الأساسية (الثالثة) توجد
٨ ثلاثة أشياء ليس من بينها الزجاجة ، وأوضحت نتائج هذه الدراسة أنه في
٩ مقابل الحالة التي تشكل غموضًا إحاليًا (التي ينظر فيها الأطفال إلى واحدة
١٠ من الزجاجات أو غيرها حتى يطلبوا توضيحًا إضافيًا بشأن تحديدها) تحث
١١ الأطفال حالة الخلفية المميزة كي يركزوا بصورة حصرية على الزجاجة التي
١٢ يرونها ويراها المتكلم في غضون ٧٦٠ ميلي من الثانية بعد النطق بكلمة
١٣ «زجاجة» . وعلى الرغم من الحالة الأساسية التي تقدم وسائل أكبر فاعلية في
١٤ حث الأطفال على نظرات حصرية على الزجاجة الطويلة ، بيّنت المعطيات أن
١٥ الأطفال يأخذون في حسبانهم بالفعل وجهة نظر المتكلم .
١٦ وبغض النظر عن رؤية الفرد للخلفية المشتركة يمكن للمرء أن يرى كيف قدّم
١٧ تمييز جريس [2] – بين معنى الجملة ومعنى المتكلم – نتائج طيبة في ساحة هذا
١٨ البحث أيضًا ؛ فالجملة التي تعيّن مرجعًا ما لا يمكنها في حد ذاتها أن تمد
١٩ المستمع بتلميحات متصلة . فثمة كم من الاستنتاج ضروري لجسر الهوة بين
٢٠ معنى الجملة ومعنى المتكلم ، ولتحديد مرجع ما يحتاج المستمع إلى أن يأخذ
٢١ في حسبانه مقصد المتكلم ، ولقد بيّنت الأدبيات أن مثل هذا التجسير ليس
٢٢ أمرًا سهلًا على الدوام .
٢٣
٢٤
٢٥

١ **ماذا على المحك؟**

٢ بصورة مجملة ، توضح هاتان الظاهرتان العوامل الفاعلة في مناقشة تأويل
٣ المنطوق ، وأي منها يمثل الشفرة (الكلمات المستعملة) ، والاستدلالات (غير
٤ المؤكدة) التي تحدثها داخل السياق ودور المقاصد Intentions (نظرية العقل) .
٥ ففي حالة الاقتضاء العددي ركز الجهد التنظيري على الأهمية النسبية للشفرة
٦ والاستدلال ، وفيها قصد بعض الباحثين إلى دمج التضييق Narrowing بالشفرة
٧ (عبر وضع تفريق قائم على الاستلزام التنازلي Downward Entailing) والبعض
٨ وضع دورًا للعوامل غير النحوية مثل نظرية العقل والجهد (نظرية الملاءمة) . وفي
٩ حالة تعيين المرجع ركزت الجهود على المدى الذي تبلغ به نظرية العقل أو المنظور
١٠ أهميتها في تأويل الجملة . البعض زعم أن نظرية العقل تؤدي بالفعل إلى
١١ معالجة متميزة (بوصفها جزءاً من الخلفية المميزة Privileged Ground) والبعض
١٢ بيّن أنَّ نظرية العقل تحكم المرجع أو الإحالة ، ولكن دون أن تكون جوهرية في
١٣ هذا الأمر . وما هو مشترك بين النظرين كليهما أن هناك (من ناحية) مَن يدفع
١٤ بمقاربة استدلالية مجهدة لتحديد معنى المتكلم ، وهناك (من ناحية أخرى) مَن
١٥ يعزو إلى اللغة طريقة لحسم المعنى وتحديده (دونما حاجة إلى جهد إضافي) . إن
١٦ كلاهما يبين أن استدلالًا ما (عدديًا كان أو إحاليًا) يمكن تحصيله ومناله على أنه
١٧ تصور أو مخطط مبسط وواضح .

١٨ إن ما تعد به التداولية التجريبية ذو ثلاثة أبعاد ؛ الأول ، أنها يمكن أن تغني
١٩ مجال التداولية اللسانية التي تقوم تاريخيًا على حدس لساني وتنظير غير
٢٠ عملي . والثاني ، أنه من خلال دمج النماذج التجريبية يمكننا تمييز العوامل
٢١ الإدراكية الفاعلة في التبادلات التواصلية التي تتضمن مجموعة من السمات
٢٢ (مثل نظرية العقل ، والأعداد) التي لم تكن متعالقة من قبل باللسانيات
٢٣ النفسية . والأخير ، أن تداولية جريس يمكن أن تتسع لتنوع كبير من الموضوعات
٢٤ التي تتناسب (أو يجب أن تتناسب) بصورة طبيعية مع المقاربة التداولية
٢٥ التجريبية ، وهناك عديد من الموضوعات المعاصرة التي يمكن أن نختار منها

١ (مثل : الاستعارة [34,35] وإزالة الغموض [36-38] والنكات [39] والتعبيرات
٢ الاصطلاحية [40]) ومن المحتمل أن يكون هناك عديد من هذه الموضوعات التي
٣ يمكن اكتشافها .
٤ الخلاصة أننا بينّا كيف أن نموذج التداولية التجريبية مثال يحتذى للكيفية
٥ التي تعمل بها العلوم الإدراكية بشكل متناغم . إن تلك الأفكار التي بين أيدينا
٦ تم تعريفها من قبل الفلاسفة وعمل على التوسع فيها لسانيون وعلماء نفس قبل
٧ أن يتم بحثها بحثًا تجريبيًا على يد اللسانيين وعلماء النفس وعلماء الأعصاب
٨ أيضًا . وهذا نوع من الجهد المشترك الذي تقاسمه العلماء مع حلول عصر علم
٩ الإدراك المعاصر [انظر على سبيل المثال 41] .
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

References

1. Noveck, I. A. and Sperber, D. (2004)
   Experimental Pragmatics, Palgrave Macmillan
2. Grice, P. (1989)
   Studies in the Way of Words, Harvard University Press
3. Glucksberg, S. et al. (1982)
   On understanding nonliteral speech: can people ignore metaphors? J. Verbal Learn. Verbal Behav. 21, 85-98
4. Ackerman, B. P. (1982)
   Contextual integration and utterance interpretation: the ability of children and adults to interpret sarcastic utterances. Child Dev. 53, 1075-1083
5. Schwarz, N. (1996)
   Cognition and Communication: Judgmental Biases, Research Methods and the Logic of Conversation, Erlbaum
6. Tversky, A. and Kahneman, D. (1983)
   Extension versus intuitive reasoning: the conjunction fallacy in probability judgment. Psychol. Rev. 90, 293-315
7. Politzer, G. and Noveck, I. A. (1991)
   Are conjunction rule violations the result of conversational rule violations? J. Psycholinguist. Res. 20, 83-103
8. Horn, L. (2004)
   Implicature. In Handbook of Pragmatics (Horn, L. and Ward, G., eds), pp. 3-28, Blackwell

9. Levinson, S. (2000) ١
Presumptive Meanings, MIT Press ٢
10. Chierchia, G. (2004) ٣
Scalar implicatures, polarity phenomena, and the syntax/pragmatics ٤
interface. In Structures and Beyond (Belletti, A., ed.), pp. 39-103, Oxford ٥
University Press ٦
11. Noveck, I. A. et al. (2002) ٧
Linguistic-pragmatic factors in interpreting disjunctions. Think. Reason. ٨
8, 297-326 ٩
12. Sperber, D. and Wilson, D. (1995) ١٠
Relevance: Communication and Cognition, Basil Blackwell ١١
13. Noveck, I. A. (2001) ١٢
When children are more logical than adults: investigations of scalar ١٣
implicature. Cognition 78, 165-188 ١٤
14. Papafragou, A. and Musolino, J. (2003) ١٥
Scalar implicatures: experiments at the semantics-pragmatics interface. ١٦
Cognition 86, 253-282 ١٧
15. Guasti, M. T. et al. (2005) ١٨
Why children and adults sometimes (but not always) compute ١٩
implicatures. Lang. Cogn. Process. 20, 667-696 ٢٠
16. Pouscoulous, N. et al. (2007) ٢١
Processing costs and implicature development. Lang. Acquis. 14, ٢٢
347-375 ٢٣
17. Bott, L. and Noveck, I. A. (2004) ٢٤
Some utterances are underinformative: the onset and time course of scalar ٢٥

١ inferences. J.Mem. Lang. 51, 437-457

٢ 18. Noveck, I. A. and Posada, A. (2003)

٣ Characterizing the time course of an implicature: an evoked potentials

٤ study. Brain Lang. 85, 203-210

٥ 19. Chevallier, C. et al. (2008)

٦ Making Or exclusive. Q. J. Exp. Psychol. 61, 1741-1760

٧ 20. De Neys, W. and Schaeken, W. (2007)

٨ When people are more logical under cognitive load: dual task impact on

٩ scalar implicature. Exp. Psychol. 54, 128-133

١٠ 21. Breheny, R. et al. (2006)

١١ Are generalized scalar implicatures generated by default? An on-line

١٢ investigation into the role of context in generating pragmatic inferences.

١٣ Cognition 100, 434-463

١٤ 22. Braine, M. D. and Rumain, B. (1981)

١٥ Development of comprehension of or : evidence for a sequence of

١٦ competencies. J. Exp. Child Psychol. 31, 46-70

١٧ 23. Rips, L. J. (1975)

١٨ Quantification and semantic memory. Cognit. Psychol. 7, 307-340

١٩ 24. Clark, H. (1996)

٢٠ Using Language, Cambridge University Press

٢١ 25. Clark, H. H. et al. (1983)

٢٢ Common ground and the understanding of demonstrative reference. J.

٢٣ Verbal Learn. Verbal Behav. 22, 245-258

٢٤ 26. Brennan,S. E. and Clark,H. H. (1996)

٢٥ Conceptual pacts andlexical choice in conversation. J. Exp. Psychol.

Learn. Mem. Cogn. 22, 1482-1493

27. Garrod, S. and Anderson, A. (1987)
Saying what you mean in dialog: a study in conceptual and semantic co-ordination. Cognition 27, 181-218

28. Keysar, B. et al. (2000)
Taking perspective in conversation: the role of mutual knowledge in comprehension. Psychol. Sci. 11, 32-38

29. Keysar, B. et al. (2003)
Limits on theory of mind use in adults. Cognition 89, 25-41

30. Keysar, B. et al. (1998)
Definite reference and mutual knowledge: process models of common ground in comprehension. J. Mem. Lang. 39, 1-20

31. Hanna, J. E. et al. (2003)
The effects of common ground and perspective on domains of referential interpretation. J. Mem. Lang. 49, 43-61

32. Sedivy, J. C. (2003)
Pragmatic versus form-based accounts of referential contrast: evidence for effects of informativity expectations. J. Psycholinguist. Res. 32, 3-23

33. Nadig, A. and Sedivy, J. (2002)
Evidence of perspective-taking constraints in children s on-line reference resolution. Psychol. Sci. 13, 329-336

34. Rubio Ferna ndez, P. (2007)
Suppression in metaphor interpretation: differences between meaning selection and meaning construction. J. Semant. 24, 345-371

35. Wilson, D. and Carston, R. (2006)
Metaphor, Relevance and the emergent property issue. Mind Lang. 21, 404-433
36. Musolino, J. and Lidz, J. (2006)
Why children are not universally successful with quantification. Linguistics 44, 4817-4852
37. Gualmini, A. (2005/2006)
Some facts about quantification and negation one simply cannot deny: a reply to Gennari and MacDonald. Lang. Acquis. 13, 363-370
38. Noveck, I. A. et al. (2007)
What autism can tell us about Every. . .not sentences. J. Semant. 24, 73-90
39. Coulson, S. et al. (2006)
Looking back: joke comprehension and the space structuring model. Humor 19, 229-250
40. Laurent, J. P. et al. (2006)
On understanding idiomatic language: the salience hypothesis assessed by ERP s. Brain Res. 1068, 151-160
41. Austin, J. L. (1956)
Ifs and cans. Proc. Br. Acad 42, 109-132

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

التّداوليّة التّاريخيّة

أ . هـ . جوكر

Historical Pragmatics

A. H. Jucker

In J. Mey (Ed.,) 2009: Concise Encyclopedia of Pragmatics. (2nd edn.) Elsevier: Amsterdam. pp.325-28.

التّداوليّة التّاريخيّة حقل دراسي يقوم على التداخل بين اللسانيات التّاريخيّة والتّداوليّة ، ولقد أسس نفسه كمجال نشط في البحث منذ منتصف التسعينات نتيجة لاتساع مجال كل من اللسانيات الاجتماعية التي بدأت في استبدال رؤية اللغة على أنها نظام متجانس ومتماسك بمقاربة جديدة تقوم على بحث المدونات وتركّز على الأعراف المحددة للأنواع النصية وعلى قابلية التنوع الداخلية للمراحل الأقدم في حياة اللغة ، والاتساع المتزامن معه للتداوليّة التي بدأت في قبول المدى المتسع والمتنامي للمعطيات بما فيها المعطيات المكتوبة ، وكنتيجة لهذا فإن التّداوليّة التاريخية تعرّف نفسها على أنها دراسة المظاهر التداولية في تاريخ لغات محددة ، وهذا الحقل يسمى أيضًا تحليل الخطاب التاريخي أو تحليل الحوار التاريخي (انظر : Brinton, 2001; Jucker et al., 1999) ولعل اختيار المصطلحات ربما يقتضي ضمنًا منظورات محددة ، ولكنها عادة ما تستعمل متعاقبة .

١ **المعطيات:**
٢ إن التفاعل المنطوق من الزمن الماضي لم يكن متاحًا بصورة مباشرة
٣ للتحقيق ، ولكن هذا لم يعد ينظر إليه على أنه يمثل إشكالية بالنسبة للتداوليّة
٤ التاريخية لعدة أسباب ؛ إن أمثلة اللغة المنطوقة المسجلة كثيرة داخل المعطيات
٥ التاريخية ، فتسجيلات المحكمة ، على سبيل المثال ، تحتوي على روايات حرفية
٦ للكلمات المنطوقة خلال جلسات الدعاوى القضائية في محكمة القانون ،
٧ كذلك المسرحيات تحتوي تقريبًا - وبصورة كاملة - على روايات خيالية للغة
٨ المنطوقة ، والكتب العلمية في المراحل الأولى كانت تكتب غالبًا في صيغة
٩ تفاعلات متخيلة بين أستاذ وتلميذ ، وربما تحتوي الروايات الخيالية على امتداد
١٠ متسع من الخطاب المنقول Reported Discourse ، كذلك تقدم كتب تعليم اللغة
١١ نماذج محادثاتية مثل التاجر المسافر إلى بلد أجنبي .
١٢ في جميع الأمثلة تعد موثوقية هذه المعطيات نقطة نقاش ، فالدعاوى
١٣ القضائية يمكن افتراض أنها رسمية ؛ ومن ثمّ لا تطابق اللغة اليومية ، والنماذج
١٤ المعيارية في كتب اللغة وتمثيلات المحادثات داخل الدراما أو الروايات الخيالية لا
١٥ يمكن اتخاذها تمثيلات دقيقة للغة المنطوقة في أي مرحلة تاريخية معينة ، وبناء
١٦ عليه ، فمن ناحية ربما تعطينا هذه التسجيلات التاريخية للغة المنطوقة تقريبًا
١٧ Approximation للغة المنطوقة الحقيقية في سياقات تاريخية واجتماعية-ثقافية
١٨ مختلفة ، ومن ناحية أخرى ، هذه الأمثلة تبرهن في حد ذاتها على تحليل
١٩ تداولي ، ومن ثمّ ربما نحلل استعمال علامات الخطاب Discourse Markers في
٢٠ مسرحية كتبها شكسبير ليس بسبب أننا نعتقد أن هذا تقريب جيد - بصورة
٢١ خاصة - للكيفية التي كانت تستعمل بها علامات الخطاب في المحادثة المنطوقة
٢٢ زمن شكسبير ، بل بسبب أننا معنيّون بشكل مباشر بكيفية استعمال شكسبير
٢٣ لهذه العلامات داخل مسرحياته .
٢٤ هذا بالإضافة إلى أن «كوتش» و«أوسترشير» Kock & Oesterreicher, 1985
٢٥ تبنوا نموذجًا موسعًا وبيّنوا الحاجة إلى التمييز بين تحقيق اللغة في وسيط معين ،

١ والطريقة التي يتم بها تمثيل اللغة على مدرج يبدأ من لغة الحميمة Language of
٢ Immediacy إلى لغة المسافة Language of Distance ، وبالنسبة للأول ربما تتحقق
٣ اللغة في الشفرة الصوتية Phonic Code أو في شفرة كتابية Graphic Code ،
٤ ولكن هذه الثنائية يمكن تمييزها على المدرج الموضوع بين أمثلة من لغة الحميمية
٥ التي تتحقق بصورة نموذجية ولكنها ليست حصرية في الشفرة الصوتية ، وأمثلة
٦ من لغة المسافة التي تتحقق بصورة نموذجية ليست حصرية في الشفرة المكتوبة
٧ Written Code . ولكن تلك اللغة التي تتحقق في شفرة صوتية لم تعد موجودة ،
٨ إن هناك معطيات كافية من لغة الحميمية كما في المذكرات أو المراسلات
٩ الشخصية .

١٠ علاوة على هذا ، فإن النصوص التي لا تربطها باللغة المنطوقة أي صلة ،
١١ والتي هي تحيين للغة المسافة ، يتم إنتاجها دائمًا في سياق تواصلي من قبل
١٢ أولئك الكتّاب الذين يرغبون في التواصل مع القراء واعتبار هذه النصوص
١٣ أحداثًا تواصلية تستجيب للتحليلات التداولية .
١٤

١٥ **موضوعات التّداوليّة التاريخية:**

١٦ هناك العديد من الحقول الفرعية البارزة في التّداوليّة التاريخية التي يمكن
١٧ تمييزها ، **المقاربة الأولى** ، التي أطلق عليها «جوكر» و«ياكوبس» Jucker &
١٨ Jacobs, 1995 «الفيلولوجيا التداولية Pragmaphilology» ، وهي تدرس المظاهر
١٩ التداولية للنصوص التاريخية في سياقها الثقافي-الاجتماعي للتواصل ، وهذه
٢٠ الدراسات ليست جديدة ، اللهم إلا في اعتمادها على الأدوات الوصفية التي
٢١ تطورت حديثًا عن مجالي التداولية وتحليل الخطاب . وهذه تتراوح ما بين
٢٢ الأوصاف الإثنوغرافية للأفعال التواصلية إلى صيغ التأدب المختلفة التي تم
٢٣ تأكيدها في المعطيات التاريخية حتى استقصاءات تحليل الخطاب ، وهذه
٢٤ تتضمن أيضًا المقاربة التي يمكن الاصطلاح عليها بـ«التّداوليّة التاريخية الأدبية
٢٥ Literary Historical Pragmatics» فلقد قدّم «فيتزموريس» Fitzmaurice, 2002 ،

١ على سبيل المثال ، قراءة لرسائل مشهورة في القرنيين السابع عشر والثامن عشر
٢ في انجلترا وأخذ في حسبانه المعاني المقصودة وغير المقصودة التي تتضمنها هذه
٣ الرسائل والتي يتم استنتاجها من قبل القراء والجمهور ، وتعامل «سل» ,Sell
٤ 2000 مع النصوص الأدبية القديمة ، وبيّن أن النشاط الأدبي يجب أن يتم النظر
٥ إليه على أنه تواصل بالمفهوم التفاعلي القوي ، بما أنه يتأثر بالموقفيات
٦ Situationalities المختلفة للمرسل والمستقبل ، ففي حالة الأدب يكون المرسل
٧ والمستقبل مفصولين ليس فقط في المكان بل وفي الزمان أيضًا ، في هذه الحالة
٨ يأخذ الناقد الأدبي والتداولي التاريخي على عاتقه مهمة التوسط بين هذه
٩ الموقفيات .

١٠ **المقاربة الثانية** ، التّداوليّة الديكرونية Diachronic Pragmatics ، وهي تدرس
١١ التطورات التاريخية للعناصر التداولية ، مثل علامات الخطاب وأفعال الكلام ، أو
١٢ أنها تدرس الأسباب التداولية للتطور اللغوي ، وإلى المدى التي يمكن فيه مقارنة
١٣ المراحل المختلفة في تاريخ لغة ما فإن التّداوليّة التاريخية هي نوع من التحليل
١٤ التقابلي ، وكما هو الحال في أي دراسة تقابلية من المهم تحديد ما يسمى «وجه
١٥ الشبه tertium comparationis [العنصر الثالث في عملية المقارنة] أي العنصر
١٦ الذي يظل ثابتًا عندما تتم مقارنة مراحل ديكرونية مختلفة ، وأصبح
١٧ التمييز واقعًا بين التخطيط الديكروني من الشكل إلى الوظيفة Diachronic
١٨ Form-to-function Mapping والتخطيط الديكروني من الوظيفة إلى الشكل
١٩ Diachronic Function-to-form Mapping (انظر Jacobs & Jucker, 1995: 13) ،
٢٠ ومثال الأولى علامات الخطاب أو العلامات التداولية Pragmatics Markers وهي
٢١ في أساسها صيغ هامشية لها بعض المعاني القضوية أو خالية من هذه المعاني ،
٢٢ وتقع خارج البنية التركيبية ، وتؤدي وظيفتها على المستوي التفاعلي أو
٢٣ التداولي ، ولقد فحص «برينتون» Brinton 1996 عددًا من هذه العلامات في
٢٤ الإنجليزية القديمة ثم في الإنجليزية الوسيطة ، وفي هذه الحالة فإن الصيغ اللغوية
٢٥ التي تبقى ثابتة نسبيًا تؤخذ على أنها نقطة البدء ، ويتم تعقب آثارها ووظائفها

١ المختلفة في المراحل المختلفة من تطورها الديكروني .
٢ ومن ناحية أخرى إذا تم أخذ الوظائف اللغوية ، مثل التعبير عن التأدب ،
٣ كنقطة للبدء فإن مصطلح «التخطيط الديكروني من الوظيفة إلى الشكل» سوف
٤ يستعمل هنا ، وفي هذه الحالة ستتم دراسة جميع التحقيقات المختلفة لهذه
٥ الوظيفة عبر الزمن ، فعلى سبيل المثال تعقبت «أرنوفيك» Arnovick, 1999 تاريخ
٦ عدد من الأفعال الكلامية مثل : الوعد واللعن والمباركة والتحية وأحداث
٧ كلامية كاملة مثل المشورة Sounding والهجاء Flyting والتي أسمتها مجتمعة
٨ «السير الإنجازية Illocutionary Biographies» ، وبرهن «جوكر» و«تافتشينن»
٩ Jucker & Taavitsainen, 2000 على أن تاريخ أفعال كلامية معينة يجب أن يقع
١٠ داخل فضاء تداولي متعدد الأبعاد يمكن فيه مقارنة الفعل الكلامي بما يجاوره
١١ من الأفعال الكلامية الأخرى .
١٢ وعلى أي حال ، عادة لا يكون التمييز بين هذين المنظورين سهلًا ؛ لأن
١٣ عنصرًا لغويًا محددًا في مساره الزمني ربما يتطور على مستوى شكله ووظيفته
١٤ معًا ، وفي بعض الحالات قد لا يكون موضوع البحث شكلًا بعينه أو وظيفة
١٥ بعينها ، بل نظامًا شاملًا من الكيانات المتداخلة ، كما في النظم الخاصة بعناصر
١٦ المخاطبة (انظر Taavitsainen & Jucker 2003) . فلغات كثيرة تفرّق بين ضمائر
١٧ الخطاب الشخصية الأكثر تأدبًا وضمائر الخطاب الأكثر حميمية ، كما في
١٨ الفرنسية من تفريق بين vous وtu وفي الإنجليزية الحديثة في بداياتها بين you
١٩ وthou ، وبعض اللغات لديها أكثر من مجرد ضميري الخطاب هذين (كالألمانية
٢٠ في بعض مراحل تطورها ، انظر Listen, 1999) ، هذه الأنظمة تخضع لتطورات
٢١ عديدة التنوع على مستويات مختلفة . «بوز» Busse, 2002 بحث التنوعات
٢٢ المورفو-تركيبية لضمائر المخاطب في مسرحيات شكسبير ، وحاول تحديد العوامل
٢٣ التي تؤثر على اختيار you بدلًا من thou أو ye بدلًا من you .
٢٤ إن المصطلح الواضح «التّداوليّة الديكرونية» يستعمل أيضًا للمقاربات التي
٢٥ تدرس الأسباب التداولية لتغير اللغة ، «تروجت» و«داشر» ,Traugott & Dasher

2002 على سبيل المثال بيّنا – على أساس معطيات مدونة كبيرة تشمل الإنجليزية واليابانية – أن ثمة مسارات للتغيرات الدلالية يمكن التنبؤ بها ؛ لأن مثل هذه التغيرات ذات حفز تداولي ، بمعنى أنها مرتبطة ببعض الميكانزمات التي تسمى الاستنتاج المستدعَى Invited inferencing وبناء التأويل الموضوعي Subjectification .

تطورات حديثة:

إلى اليوم هناك كم متفاوت من دراسات التّداوليّة التاريخية مكرّس لبحث تاريخ اللغة الإنجليزية ، ولكن البحث المهم هو ما تم إنجازه بشأن العديد من اللغات الأخرى التي لم تنل حظها من البحث ، فـ«كينج» Xing, 2004 على سبيل المثال استقصى العوامل التداولية التي تؤثر في تطور أداة محددة من أدوات لغة الماندرين الصينية ، وبحث «لوند» Lunde, 2004 استراتيجيات النقل Reporting في سير القديسين Hagiography والوعظ Homiletics الشرق سلافية في القرون الوسطى ، وقدّم «كولنز» Collins, 2001 دراسة اهتمت بتوزيع استراتيجيات النقل في مدونة خاصة بالنصوص الروسية في القرون الوسطى .

وأظهرت الدراسات التي نشرها «باكس» Bax, 2003 أهمية الطقوس Rituals في تغير اللغة في العديد من سياقات اللغة بداية من الشعر الديني الهند–أوربي (Vedic hymns) ، وطقوس التأدب في كتابة الرسائل في بدايات الهولندية الحديثة ، والمظاهر الطقسية للتغطيات الإعلامية للأحداث الرياضية . ولقد أصابت لغة الإعلام الجماهيري انتباهًا كبيرًا لدى التداوليين التاريخيين على سبيل المثال في الدراسة التي نشرها «انجرر» Ungerer, 2000 ، ودراسة «هرنج» Herring, 2003 التي قدمت رؤية تاريخية للتواصل الجماهيري ومن ثمّ بيّنت أن التحليلات التداولية التاريخية يمكن تطبيقها أيضًا على التغييرات الحالية .

References

Arnovick L. K. (1999).

Diachronic pragmatics. Seven case studies in English illocutionary development. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Bax M. (ed.) (2003).

Ritual language behaviour. Special issue of Journal of Historical Pragmatics 4:2.

Brinton L. J. (1996).

Pragmatic markers in English. Grammaticalization and discourse functions. Berlin: Mouton de Gruyter.

Brinton L. J. (2001).

'Historical discourse analysis.' In Schiffrin D., Tannen D. & Hamilton H. E. (eds.) The handbook of discourse analysis. Oxford: Blackwell. 138-160.

Busse U. (2002).

Linguistic variation in the Shakespeare corpus. Morpho-syntactic variability of second person pronouns. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Collins D. E. (2001).

Reanimated voices. Speech reporting in a historical-pragmatic perspective. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Culpeper J. & Kyto M. (2000).

'Data in historical pragmatics. Spoken discourse (re)cast as writing.' Journal of Historical Pragmatics 1.2, 175-199

Fitzmaurice S. M.(2002).

The familiar letter in Early Modern English. A pragmatic approach. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Fritz G. (1995).

'Topics in the history of dialogue forms.' In Jucker (ed.). 469-498.

Herring S. C. (ed.) (2003).

Media and language change: Special issue of Journal of Historical Pragmatics 4:1. Historical Pragmatics Bibliography. http://www.es.unizh.ch.

Jacobs A. & Jucker A. H. (1995).

'The historical perspective in pragmatics.' In Jucker (ed.). 3-33.

Jucker A. H. (ed.) (1995).

Historical pragmatics. Pragmatic developments in the history of English. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Jucker A. H. & Taavitsainen I. (2000).

'Diachronic speech act analysis. Insults from flyting to flaming.' Journal of Historical Pragmatics 1.1, 67-95.

Jucker A. H., Fritz G. & Lebsanft F. (eds.) (1999).

Historical dialogue analysis. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Koch P. & Oesterreicher W. (1985).

'Sprache der Nahe Sprache der Distanz: Mundlichkeit und Schriftlichkeit im Spannungsfeld von Sprachtheorie und Sprachgeschichte.' Romanistisches Jahrbuch 36, 15-43.

Kohnen T. (2000).

'Explicit performatives in Old English. A corpus-based study of

directives.' Journal of Historical Pragmatics 1.2, 301-321.

Listen P. (1999).

The emergence of German polite Sie. Cognitive and sociolinguistic parameters. New York: Peter Lang.

Lunde I. (2004).

'Rhetorical enargeia and linguistic pragmatics. On speech-reporting strategies in East Slavic medieval hagiography and homiletics.' Journal of Historical Pragmatics 5.1.

Magnusson L. (1999).

Shakespeare and social dialogue. Dramatic language and Elizabethan letters. Cambridge: Cambridge University Press.

Rudanko J. (1993).

Pragmatic approaches to Shakespeare. Essays on Othello, Coriolanus and Timon of Athens. Lanham: University Press of America.

Sell R. D. (2000).

Literature as communication. Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins.

Taavitsainen I. & Jucker A. H. (eds.) (2003).

Diachronic perspectives on address term systems. Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins.

Taavitsainen I. (2002).

'Historical discourse analysis. Scientific language and changing thought styles.' In Fanego T., Mendez-Naya B. & Seoane E. (eds.) Sounds, words, texts and change. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Traugott E. C. & Dasher R. B. (2002).

Regularity in semantic change. Cambridge: Cambridge University Press.

Traugott E. C. (1999).

'The role of pragmatics in semantic change.' In Verschueren J. (ed.) Pragmatics in 1998. Selected Papers from the 6th International Pragmatics Conference, vol. 2. Antwerp: International Pragmatics Association. 93-102.

Ungerer F. (ed.) (2000).

English media texts past and present. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

Xing J. Z. (2004).

'Grammaticalization of the scalar focus particle "lian" in Mandarin Chinese.' Journal of Historical Pragmatics 5.1

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥

التداوليّة الإجرائيّة

ل . ف . هوي

Applying Pragmatics

L. F. Hoye

In J. Mey (Ed.,) 2009: Concise Encyclopedia of Pragmatics. (2nd edn.) Elsevier: Amsterdam. pp. 24-27.

تم صك مصطلح التداولية الإجرائية Applying Pragmatics في هذه الورقة وتفضيله على التداولية التطبيقية Applied Pragmatics للإشارة إلى أن التداولية الإجرائية نشاط دينامي موجه نحو المستعمل ، وتبعًا لمدى متسع ومتطور من التطبيقات داخل السياق الاجتماعي تتعارض التداولية الإجرائية مع المصطلح المتحجر نوعًا ما اللسانيات التطبيقية Applied Linguistics التي ترتبط بصورة مباشرة بتعلم لغة أجنبية وتعليمها على الرغم من أنها تغطي مجالات أخرى كأمراض الكلام ، والترجمة ، والمعجمية .

إن التداولية الإجرائية تقبع في الممارسات التي تضرب بجذورها في المنظور التداولي الخاص بمستعملي اللغة واستعمالها وسياق هذا الاستعمال حيث يتم النظر إلى المستعملين والتعقيدات الخاصة بسياقاتهم الشخصية والاجتماعية والثقافية والفكرية على أنها أمور حيوية ومهمة ، فإذا كانت التداولية نفسها هي

«علم للغة موجه نحو المستعمل User-oriented Science of Language» فإن التداولية الإجرائية هي نشاط حل المشكلة Problem-solving Activity مع التركيز على استعمال المعرفة التداولية - بطريقة نقدية وخلاقة وبناءة - في سياق العالم الحقيقي للنزاع الاجتماعي Social Struggle ، بعيدًا عن تجربة النظرية التداولية المعيارية (Mey, 2001: 308-319) .

إن صلة التداولية بالأجندة الاجتماعية الكبيرة على المستوى الواسع Macro والضيق Micro للبحث يمكن أن تعزى من جانب إلى أهداف تطورية وشكلية ؛ أي كرد فعل واقعي على الشكلانية التركيبية للسانيات التوليدية وعلى الانشغال باللغة بوصفها نظامًا حيث يكون مستعمل اللغة وسياقات استعمالها منتقصة ؛ أي بعيدة عن الدوافع الاجتماعية النقدية التي ترغب كثيرًا في بناء ممارسة لغوية مقيدة اجتماعيًا ، ويرمز إليها على سبيل المثال بعمل «بازل برنشتين» Basil Bernstein والتمييز الواضح الذي وضعه بين الشفرة الموسعة Elaborated Code والشفرة المقيدة Restricted Code ، وبعيدة عن المنظور الفريد الذي بدأ مع عمل أوستن J. L. Austin وأعمال فلاسفة اللغة الطبيعية ، وبعيدة عن المنظور الذي يرى اللغة باعتبارها تواصلًا وليست نحوًا وهو مأخوذ عن التراث الاثنوميثودولجي (Mey, 1998: 716) .

مستويات التطبيق: العمليات المصغرة والعمليات الموسعة

تعمل التداولية الإجرائية على مستويي التواصل ؛ المستوى المصغر والمستوى الموسع على الرغم من أن هذا التمييز تقريبي ليس أكثر من مناسبة تصنيفية ؛ لأن هذين المستويين متداخلان ومتعالقان ، وتنظر التداولية المصغرة في سياق التواصل اليومي بين الأفراد والجماعات الذي يحدث في سياقاتهم المحلية ، وفي الوقت نفسه فإن الممارسة المحلية تحتاج إلى أن يتم النظر إليها في مقابل الخلفيات المجتمعية والسياقات المؤسساتية التي تقع فيها (أقصد التداولية الموسعة) . فالتداولية المصغرة والموسعة هي نقاط على متصل Continuum كل

١ منها ترتبط بالأخرى وكلاهما يعمل كمحور اهتمام تبعًا لأهداف البحث ، فقد
٢ اقتبس فيرشورن (Verschueren, 1999: 220-224) تحليل جودوين Goodwin,
٣ 1994 لمحاكمات ملك الرودني Rodney King موضوعًا للبحث ، عندما اعتقل
٤ ملك الرودني بسبب خرق مروري في لوس انجلوس وتعرض – وهو أمريكي
٥ أفريقي – لاعتداء من قبل ضباط الشرطة ، وهو الحدث الذي تم تصويره على يد
٦ مصور فيديو وعُرِض بعدها على التليفزيون المحلي على أنه إهانة وطنية ، وبالتالي
٧ تمت محاكمة هؤلاء الضباط وبعدها تمت تبرئتهم ، وهذا أدى إلى فتنة في شوارع
٨ لوس انجلوس وعليه أعيدت المحاكمة ، وكحدث تواصلي فإن إجراءات المحاكمة
٩ يتم فهمها بطريقة ملائمة من خلال علاقتها بالسياقات الموسعة التي يتم
١٠ إنتاجها عبر السياقات الاجتماعية والمؤسساتية التي جرت فيها والتي من
١١ خلالها يتم توسيط هذه المحاكمة ؛ كالبنية الخاصة بها وأدوار المشاركين
١٢ والعمليات اللفظية المرتبطة بها الخاصة بمحاكم الولايات المتحدة والسياقات
١٣ القانونية للمحاكمة ، والمكانة الاجتماعية الملموسة والفعلية للأمريكان الأفارقة
١٤ داخل المجتمع الأمريكي ممثلة في هذا الوقت في ملك الرودني ؛ ومن ثمّ دور
١٥ المجتمع وقادة الحقوق المدنية وتبنيهم لقضية ملك الرودني كتجربة للفت الانتباه
١٦ إلى العنصرية ووحشية الشرطة ؛ لذا فنصوص المحاكمة يمكن مقاربتها بشكل
١٧ مبدئي كأمثلة للتفاعل وجهًا لوجه داخل سياقات المحكمة ، لكن كخبر منشور
١٨ يمكن أن يفهم الحدث الكلي بتضميناته واسعة المدى بصورة جيدة عن طريق
١٩ الكيفية التي تعكس بها المؤسسات القضائية وتقر وتبقي على الممارسات والقيم
٢٠ المجتمعية .
٢١
٢٢ **مجالات التطبيق: التداولية المصغرة والموسعة**
٢٣ إن التداولية كمنظور وليست كمكون من مكونات نظرية لسانية يمكن
٢٤ تطبيقها بشكل هادف في بحث جميع أمثلة استعمال اللغة سواء في هذا أكان
٢٥ التطبيق على مستوى الجملة/المنطوق أم على مستوى العلاقة بخطاب ممتد

١ (Verschueren, 1999: 203; Mey, 1998: 728) ، وبتركيزها على مستوى
٢ الجملة/المنطوق داخل الخطاب فإن التداولية المصغرة تهتم بصورة أساسية
٣ بالتقييدات المحلية للسياق الحالي مثل : الإشارة والمؤشرات الشخصية والزمانية
٤ والسمات المكانية ، والمرجع ، والوظيفة التوجيهية النصية للإحالة القبلية
٥ والبعدية ، وترتيب الكلمات ، وتسلسل أو تجمع الأدوات ووظائفها الخطابية في
٦ تخصيص القوة الإنجازية لتسهيل تنظيم المحادثة ، أو توضيح أجزاء بارزة داخل
٧ امتداد الخطاب ، وبعد ، وكما تضرب هذه السمات اللغوية بجذورها في المحيط
٨ الآني للمنطوق فإن الصلة بالعالم ستظهر أيضًا ؛ لأن التركيز سيتحول من سياق
٩ الفرد إلى سياقات موجهة أو موسعة مؤسساتية ومجتمعية يجب أن يتفاعل
١٠ معها – بالضرورة – الجنس البشري ، ولنقتبس من «ماي» (Mey, 2001: 177)
١١ قوله : «إن العالم الذي يعيش فيه الناس عالم متماسك ، يرتبط فيه كل شيء
١٢ بعضه ببعض ، وليس من بين ظواهره ما يمكن تفسيره منعزلًا» ، وهذا هو الآن
١٣ مجال التداولية الموسعة ، فممارسة اللغة المؤسساتية أو التي تظهر بصورة
١٤ مؤسسية تظهر بوضوح على جدول الأعمال حيثما تنشأ لاتناظرات سلطوية
١٥ كنتيجة لاختلاف النوع أو الأهمية الاجتماعية أو الامتياز الاجتماعي الذي
١٦ تتلقاه الشخصيات أو لامتلاك السلطة أو عدم امتلاكها ، وتتضمن حقول بحثها
١٧ النموجية ومجالات تطبيقها الخطاب الطبي ، دراسة استعمال اللغة في حوار
١٨ الطبيب مع مرضاه ، والخطاب النفسي التحليلي ، وخطاب مصابي الانفصام ،
١٩ وممارسات اللغة التربوية والتعليمية مثل تفاعل المعلم مع الطالب ، واكتساب
٢٠ اللغة ، وتطور الكفاية التداولية ، وضبط سياسة اللغة في علاقتها بقيود لغة
٢١ الأقليات ، وصياغة مناهج التعليم والتدريس ، ومجموع التوجهات والمعتقدات
٢٢ المنتشرة عن طريق مناهج مخبأة أو خفية ، ولغة العمل وأثرها في تنظيم علاقات
٢٣ العمال ، ولغة الإعلام خاصة الخطاب الإشهاري ، ولغة السياسة والحكومة
٢٤ والأيديولوجية التي يتم النظر إليها على أنها قوة الضبط اللساني ، وهندسة
٢٥ العقول البشرية ، والتواصل العالمي والدولي ، وفهم التنوع الثقافي والتواصلي

١ حيث يصبح ما هو مناسب تداوليًا موضع بحث ، وباختصار فإن التداولية
٢ الموسعة تنظر في استعمال اللغة من خلال عمومية السياقات التي يجري فيها
٣ نشاط بشري وحيوي من التواصل اللفظي ، وتلتقط تلميحاتها من اختصاصات
٤ أخرى ذات صلة مثل الأنتربولوجيا والأنتربولوجيا اللسانية وعلم الاجتماع
٥ والإثنولوجيا واللسانيات نفسها .
٦

٧ **التداولية الإجرائية ومستعمل اللغة:**

٨ تهدف التداولية الإجرائية إلى تطوير الوعي بالدور الحيوي الذي تلعبه اللغة
٩ في بناء الهوية الفردية والجماعية والمجتمعية ونتائج هذا البناء على الحريات
١٠ الفردية وحقوق الأفراد في مشاركة كاملة في المجتمعات التي هم جزء منها ، إن
١١ استقصاء السياق الموسع في علاقته بما تجري فيه جميع أنشطة اللغة هو
١٢ اختصاص التداولية المجتمعية Societal Pragmatics مع تركيزها الكامل على
١٣ مستعملي اللغة والشروط التي يستعملون اللغة تبعًا لها ، فالتداولية الإجرائية
١٤ تلقي مزيدًا من الضوء على مشكلات استعمال اللغة التي تنشأ في السياقات
١٥ الاجتماعية حيث يؤدي الفشل في التواصل ربما إلى إقصاء وضرر اجتماعي .

١٦ إن مجال التعليم عادة ما يتم تمييزه على أنه المناخ الأساسي للنشاط
١٧ الإنساني حيث يتوزع الامتياز الاجتماعي وامتلاك السلطة بشكل غير مستو ،
١٨ إن التعليم وسيط مستدام ومكرس عن طريق اللغة ، وأي انفصال عن القوانين
١٩ المحددة بشكل مؤسسي للسلوك اللغوي يظل معيبًا ويعاني عدم الإقرار أو التأييد ؛
٢٠ ومن ثمّ فالحديث عن قمع لغوي ربما يحدث هنا كما تم التدليل عليه – على
٢١ سبيل المثال – من خلال التضاد بين اللهجات ذات الاعتبار المنخفض والأخرى
٢٢ ذات الاعتبار الأعلى حيث يرتبط الأخير بالقوانين اللغوية التي يُفرَض اتباعها
٢٣ على استعمال واسع من قبل الأقلية ، وكذلك على الفئة المسيطرة من
٢٤ مستعملي اللغة ، القمع اللغوي هذا ليس أقل من تحكم اجتماعي يتم عن طريق
٢٥ اللغة ، ولعل الدلائل التي تقدمها التداولية الإجرائية تمكننا من تطوير الوعي

١ بالآثار السيئة للقمع اللغوي بينما ننشد شفافية كبيرة حول كيفية تعامل المجتمع
٢ مع السلوك اللغوي الفردي داخل البيئة التعليمية .
٣ كذلك تهتم التداولية المجتمعية بسياقات أخرى يجري فيها القمع اللغوي
٤ حيث يتصرف الأفراد بشكل غير متعمد بطريقة معينة على مستوى سلطة
٥ مؤسساتية غير متوازنة ، أيضًا الخطاب الطبي مثل حديث المصابين بالشيزوفرنيا
٦ هي قضية إضافية هنا ، فخطاب مريض الانفصام يرتبط بلغة غير طبيعية ، ففقر
٧ الحديث هذا إنما هو فقدان للإنسانية لأن «اللالغة» في حالة الشيزوفرنيا كما هي
٨ معروفة الآن أصبحت إشارة أكثر منها وسيلة للتواصل ؛ ومن ثمّ أصبحت هدفًا
٩ للتدخل وتنظيم الرعاية النفسية . وبإثارة الأسئلة حول طبيعة قوانين التفاعل في
١٠ الممارسة الطبية يمكن للتداولية الإجرائية أن تؤكد الحاجة إلى تدخل مستنير
١١ حيث تخضع العلاقات بين الإنسانية واستعمال اللغة وسلامة العقل والسلطة
١٢ المؤسساتية لمراقبة عامة .
١٣ إن مشكلات التنوع اللغوي واللغات المهددة بالانقراض هي أيضًا أرض
١٤ خصبة للتدخل التداولي ، فبلى اللغة وفقدانها وموتها جميعها قضايا على
١٥ جدول أعمال التداولية حيث يتم النظر إلى الوصف على أنه مجرد خطوة أولية
١٦ لفعل تصحيحي وليس كنهاية في حد ذاته ، وعلى الرغم من الخلافات حول
١٧ التأثيرات العالمية والثقافية والسياسية والتاريخية للغة الإنجليزية على اللغات
١٨ المحلية فإن التداولية الإجرائية يمكن أن تثير وعيًا جماهيريًا يساعد في تنسيق
١٩ المعطيات ومراقبة السياسات والممارسات اللغوية وتهدف إلى التأثير على صنّاع
٢٠ السياسات وتعرض دعمًا متخصصًا وتطبيقيًا للجماعات اللغوية التي ترغب
٢١ بشكل فاعل في الحفاظ على لغاتها ، فالمجتمع اللغوي الأمريكي على سبيل
٢٢ المثال أقر بأن تدخلًا فاعلًا على هذه الطريقة -في مقابل مجرد الوصف
٢٣ والتوثيق- يظهر نتائج واعدة بشكل كبير ، وأقر موقعه الالكتروني بأن «فقدان
٢٤ اللغة دائمًا يكون نتيجة مباشرة تمامًا للتعصب للتنوع [أكثر منه نتيجة ضرورية
٢٥ للتقدم] خاصة عندما يمارسه الأقوى ضد الضعيف» .

١ **التداولية الإجرائية والنزاع الاجتماعي:**

٢ تهتم التداولية الإجرائية بصورة واضحة بوضع اهتمامات التداولية المجتمعية
٣ داخل جدول أعمال اجتماعي سياسي موسع ، فهي ذات قيمة تداخلية – أكثر
٤ منها وصفية – من حيث أهدافها الأساسية ، فالتداولية الإجرائية هي كل شيء
٥ يتصل بتطبيق التداولية ، وبالنسبة لقضيتنا هنا فقد استشهد ماي (Mey, 2001:
٦ 313-15) بنجاح الحرب اللغوية ضد التمييز النوعي والاستخدام الذي لم يعد
٧ موجودًا الآن للضمير النوعي «He» كانتصار دال وطبعي للممارسة غير الجنسية ،
٨ إن اجتثاث الضمير «He» ليس مجرد إصلاح لغوي إنه أمر يتعلق بإعادة بناء
٩ علاقات اجتماعية محددة يتم من خلالها تسهيل المساواة بين الجنسين .

١٠ كذلك تشارك التداولية الإجرائية بعض اهتمامات اللسانيات النقدية
١١ Critical Linguistics التي تهدف إلى بيان العلاقات غير الظاهرة بين السلطة
١٢ واستعمال اللغة في مقابل الخلفية الخاصة بالعوامل الثقافية والاجتماعية
١٣ السياسية ، ومن بين حالات الدراسة : الخطاب السياسي لاسيما البلاغة
١٤ الكلاشيهية Clichéd للجماعات السياسية البريطانية ، ولغة النزاع المهني
١٥ وتوثيقها داخل الإعلام ، واستعمال بيداغوجيات أكبر وعيًا بتعليم اللغة
١٦ الإنجليزية لغة ثانية ، وتمييز السلطة الاجتماعية كظاهرة طبيعية أو مكتسبة تتخذ
١٧ شرعيتها من القبول التام من الشعب .

١٨ إن للتداولية الإجرائية دورًا محوريًا وتأهيليًا وتحريريًا تلعبه ، فهي تساعدنا
١٩ في فهم سلطة اللغة في تمييز تقاطعات عشوائية لمدى متسع من السياقات
٢٠ الاجتماعية ، وتقترح جدولًا لتدخل تداولي مثمر لصالح محرومي الحقوق
٢١ ومستعملي اللغة البائسين ، وأخيرًا تحاول أن تضع اللغة بين يدي مستعمل اللغة
٢٢ وتنتزع التحكم اللساني من أولئك الذين يفوضون وينكرون على الأشخاص
٢٣ حقوقهم وحرياتهم .
٢٤
٢٥

Bibliography

Canagarajah A. S. (1999).

Resisting linguistic imperialism in English teaching. Oxford: Oxford University Press.

Duranti A. (ed.) (2004).

A companion to linguistic anthropology. Oxford: Blackwell.

Fairclough N. (1989).

Language and power. London: Longman.

Fairclough N. (1995).

Critical discourse analysis. London: Longman.

Fairclough N. (2000).

New labour, new language. London: Routledge.

Garrett P. B. (2004).

'Language contact and contact languages.' In Duranti A. (ed.) *A companion to linguistic anthropology*. Oxford: Blackwell. 46-72.

Goodwin C. (1994).

'Professional vision.' *American Anthropologist* 96, 606-633.

McKay S. L. (2002).

Teaching English as an international language: rethinking goals and approaches. Oxford: Oxford University Press.

Mey Jacob L. (1998).

'*Pragmatics*.' In Mey J L (ed.) Concise encyclopedia of pragmatics. Oxford: Elsevier. 716-737.

Mey J. L. (2001).

Pragmatics: an introduction (2nd edn.). Oxford: Blackwell.

Mithun M. (2004).

'The value of linguistic diversity: viewing other worlds through North American Indian languages.' In Duranti A. (ed.) *A companion to linguistic anthropology*. Oxford: Blackwell. 121-140.

Philips S. U. (2004).

'Language and social inequality.' In Duranti A. (ed.) *A companion to linguistic anthropology*. Oxford: Blackwell. 474-495.

Rose K. R. & Kasper G. (eds.) (2001).

Pragmatics in language teaching. Cambridge: Cambridge University Press.

Verschueren J. (1999).

Understanding pragmatics. London and New York: Arnold.

Wilce J. M. (2004).

'Language and madness.' In Duranti A. (ed.) *A companion to linguistic anthropology*. Oxford: Blackwell. 414-430.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

التداوليّة القانونيّة

ب . كرك-كاستوفسكي

Legal Pragmatics

B. Kryk-Kastovsky

In J. Mey (Ed.,) 2009: Concise Encyclopedia of Pragmatics. (2nd edn) Elsevier: Amsterdam. pp.513-19.

إن مناقشة تداخل مجالين حيويين من النشاط الإنساني : اللغة والقانون تتطلب مقاربة متداخلة الاختصاص ، وهذه هي الفرضية الأساسية في هذا البحث وإحدى القباب الرئيسة في التداولية ، أو دراسة اللغة داخل الاستعمال ، ولغة القانون ليست مشهورة فقط بتعقيدها المعجمي والتركيبي الذي أصبح محل نقد (انظر على سبيل المثال Mellinkoff, 1963; Danet, 1980, 1985; Lakoff, 1990) ، ولكنها تتمتع أيضًا بخصوصيات تداولية معينة .

تقدّم الدراسة الحالية في التداولية القانونية تقريرًا تداوليًا لقضايا قانونية بعيدًا عن رؤية المحامي للمشكلات اللسانية التي تواجهه ، ولأن اتجاه الملائمة يجري من اللغة إلى القانون وليس من القانون إلى اللغة ، فإن الافتراض هنا أن هدف التداولية القانونية هو إقامة وجاه بين المجالين عبر البحث عن الخصوصيات التداولية للغة القانون ، ومن ثم سيناقش هذا البحث تمثيلات لمفاهيم تداولية

١ للغة القانون يتم اختيارها ، ونقطة البداية في تحليلي تتكون من عدد من
٢ الملحوظات القليلة على هذا الموضوع قدمها آخرون هي :
٣ ١ . أن نظام تبادل الدور Turn-taking يستخدم داخل المحكمة بطريقة تشبه
٤ المواقف المؤسساتية الأخرى (مثل الصفوف الدراسية ، والاجتماعات
٥ الرئاسية) في أنها أكثر ثباتًا وأقل مرونة من ذلك النظام المتبع في المحادثة
٦ اليومية وجهًا لوجه (Levinson, 1983: 301) .
٧ ٢ . أن السمة المؤسساتية للمحكمة تنعكس من خلال لغة ثابتة حتى ولو
٨ كانت مهجورة أو متكلفة قليلًا (Lakoff, 1990: 94) .
٩ ٣ . وفقًا لـ «دانت» (Danet 1985: 276) يتعامل الخطاب القانوني مع «طبيعة
١٠ استعمال اللغة ووظائفه وتبعاته في مفاوضة النظام الاجتماعي» ، وعلى
١١ الرغم من سمتها الثابت توظف اللغة القانونية مدى متسعًا من السجلات ؛
١٢ فتستطيع تمثيل أساليب عديدة تمتد من المتحجر مرورًا بالرسمي
١٣ والاستشاري وانتهاء بالأسلوب العفوي .
١٤ ٤ . التفاعل اللفظي داخل المحكمة يؤمثل لاستراتيجيات استجواب متنوعة
١٥ تذعن للتحليل اللغوي الرموزي «لأن خطاب المحكمة انفرادي إذ يتمتع
١٦ المحامون بالتحكم في موضوع الخطاب من جانب واحد» (Luchjenbroers,
١٧ 1997: 477) هذا التحكم علامة على السلطة ، وهو مفهوم تداولي اجتماعي
١٨ تمت مناقشته في القسم المعنون بـ« السلطة والتكافل» فيما يأتي .
١٩ ٥ . «كرزون» (Kurzon 1995) أكد دور التكتم في محضر المحاكمة ، وفي تحليل
٢٠ حديث له (Kurzon, 2001) عنوانه «تأدب القضاة» زعم أن التأدب داخل
٢١ اللغة الرسمية أمر مسلم به ؛ ومن ثمّ فهو يُقدَّم بطريقة آلية ، وربما يمكن
٢٢ افتراضه في الحقيقة .
٢٣

٢٤ **مفاهيم تداولية في لغة القانون:**

٢٥ إن القضية الأساسية التي نتحدث عنها هنا هي المدى الذي تذعن به لغة

١ القانون للتحليل التداولي ، مثلًا ، أي المفاهيم التداولية يمكن أن توجد في هذا
٢ الخطاب؟ ، وفرضيتي هنا أن لغة القانون تشارك أغلب الخصائص التداولية للغة
٣ العامة ؛ فهناك الافتراض المسبق ، والإشارة ، والاقتضاء ، وأفعال الكلام ،
٤ والسلطة في مقابل التكافل .
٥
٦ **الافتراض المسبق:**
٧ يأتي المفهوم في صيغ مختلفة مثل : الافتراض المسبق الدلالي ،
٨ والافتراض المسبق التداولي ، والافتراض المسبق المعجمي ، ولكن التمييز المفهوم
٩ والأكثر اتساعًا يجرى على المستوى الدلالي- التداولي ، ومن ثمّ فالافتراض
١٠ المسبق الدلالي هو علاقة بين قضيتين ، قضية افتراضية يمكن إنكارها بينما
١١ تستعصي اليقينية منهما على النفي ؛ لأنها حقيقية دائمًا ، ومن بين ما يسمى
١٢ دعائم الافتراض المسبق هناك تنوع من العناصر المعجمية والبنى التركيبية ،
١٣ فـ«ليفنسون» (Levinson, 1983: 181f) على سبيل المثال قدم قائمة تتكون من
١٤ أكثر من ثلاثين (٣٠) عنصرًا من هذه العناصر ، فإذا أخذنا أفعالًا يقينية مثل
١٥ «ندم» التي تفترض صدق مكملاتها كما في :
١٦ (1) I (don't) regret that it's raining.
١٧ (١) أنا (غير) نادم على أنها تمطر .
١٨ هنا ، صدق الجملة المكملة (إنها تمطر) لا يمكن إنكاره دون النظر إلى كون
١٩ الفعل في العبارة الرئيسة منفيًا أو لا ، وفي مقابل هذا ، الافتراض المسبق
٢٠ التداولي هو علاقة بين منطوقين يتم التسليم بصدقهما وحقيقتهما داخل سياق
٢١ معين بسبب المعرفة المشتركة بين المتكلم ومستمعيه ، فمثلًا ، إذا سألتُ
٢٢ السكرتير في قسمي «هل الأستاذ في مكتبه؟ ?Is the professor in» ، فالسؤال
٢٣ يفترض بصورة طبيعية أن هناك أستاذًا واحدًا فقط في سياقنا الحالي ،
٢٤ فالافتراض المسبق الوجودي يتصل بأوصاف مُعرّفَة ، وعلى أي حال ففي هذه
٢٥ الحالة أعلم أنا والسكرتير أن واحدًا فقط من أساتذة كثر داخل القسم ، أي

١ رئيسه ، تمت الإشارة إليه بمركب اسمي معرفة «الأستاذ» وليس «الأستاذ
٢ براون» .
٣ وكما هو متوقع فالأسئلة حول افتراضات مسبقة دائمًا ما تتخلل
٤ الاستجوابات :
٥ (2) When are you going to stop beating your wife?
٦ (٢) متى ستتوقف عن ضرب زوجتك؟
٧ وقد بيّن «شوي» (Shuy, 1998: 15) تعليقًا على هذه الأسئلة أنها مفيدة في
٨ حالة المتهمين ذوي الجرائم غير المؤكدة ، وهذا يوضح أن الأسئلة حول افتراضات
٩ مسبقة ترهب المتهمين الذين يظنون أن من يستجوبهم يعرف بالفعل حقائق لا
١٠ يعرفونها .
١١ وفي تحليلها لدور السؤال في جلسات المحكمة العليا حددت «لوشينبرورز»
١٢ (Luchjenbroers, 1997: 482) – متابعة في هذا «دانت» (Danet, 1980: 521ff)
١٣ – الأسئلة تبعًا لدرجات الحقيقة الخاصة بالإجابات الممكنة المتصلة بهذه
١٤ الأسئلة ، ورتبت إياها بداية من تساؤلات مفتوحة ذات قيمة حقيقة عالية مرورًا
١٥ بالأسئلة الميمية Wh-Question وصولًا إلى أسئلة «نعم أو لا» المحددة وذات
١٦ القيمة المنخفضة ، وكما هو متوقع فإن المحامين لهم درجة تحكم منخفضة على
١٧ إجابات الشهود باستخدامهم الأسئلة المفتوحة ، ودرجة تحكم عالية من خلال
١٨ استخدامهم لأسئلة «نعم أو لا» التي تسمى الأسئلة الموجِهة Leading
١٩ Questions حيث يقدم المستجوِب حقائق خاصة بالشهادة وعلى الشهود تأكيدها
٢٠ أو إنكارها ، فالمحامون هنا يتحكمون بالشهود لأنهم لا يعلمون فقط الإجابات
٢١ المتوقع سماعها بل ويُعدُّون أسئلتهم تبعًا لهذه الإجابات ، ومن ثمّ فإن الإجابة
٢٢ عن سؤال موجّه يتم افتراضها مسبقًا كما في الأمثلة التالية للصيغ الأكثر دورانًا
٢٣ التي تتخذها الأسئلة الموجهة : التصريحيات ، وأسئلة «نعم أو لا» الاتهامية ،
٢٤ والأسئلة التخييرية ، انظر (3a, 3b, 3c) على التوالي (ولاحظ استعمالsome
٢٥ التي تفترض صحة المنطوق بصورة مسبقة وواضحة على العكس من any) :

١ (3a) You had some alcohol?

٢ (٣أ) كان معك بعض الخمر؟

٣ (3b) Did you have some alcohol?

٤ (٣ب) هل كان معك بعض الخمر؟

٥ (3c) Did you or didn't you have some alcohol?

٦ (٣ج) هل كان معك بعض الخمر أم لا؟

٧ (Luchjenbroers, 1997: 482)

٨ **الإشارة**

٩ المفهوم الآخر للملاءمة هنا هو الإشارة Deixis وهي ما يمكن تعريفها على
١٠ أنها التعبير عن العلاقات الزمكانية للغة عن طريق الوسائل الإشارية (الضمائر
١١ والظروف التي تحدد هنا ثلاثة مفاهيم عابرة هي : أدوار المشارك ، ومكان ، وزمان
١٢ المنطوق ، وأصنافها : الشخص والمكان والإشاريات الزمنية على التوالي) كما في
١٣ المثال القديم :

١٤ (4) I am here now.

١٥ (٤) أنا هنا الآن .

١٦ هذا المجال الزمكاني التداولي يتصل بتحليل اللغة القانونية لاسيما خطاب
١٧ المحكمة ؛ لأن هناك أمثلة متتابعة من الثوابت الإشارية التي تعكس العلاقات
١٨ الزمكانية بين الحدث وشهادته المنطوقة التي تتم من خلال الشهود أو المدعى
١٩ عليه ، وبينه وبين محاضره المكتوبة ، وبينه وبين تلقيه فيما بعد من خلال القراء
٢٠ المحتملين ، ولأن واحدًا من أغراض المحاكمة والاستنطاق هو تحديد هوية
٢١ الأشخاص المختلفين المشاركين في القضية ، والموقع المحدد للحدث وزمانه ، فقد تم
٢٢ فهم المقولات الإشارية الثلاثة الرئيسة من خلال ما أصبح يسمى «حقيقية
٢٣ الأشخاص والمكان والزمان "Factuality of persons, place and time
٢٤ (Kryk-Kastovsky, 2002: 254ff) . فمقولة الشخص تم إضفاء سمة النحوية
٢٥ عليها داخل اللغة الطبيعية بالضمائر الشخصية «أنا – أنت – هو/هي» مشيرة

١ إلى المتكلم، والمستمع، والغائب على التوالي، وبالتالي، فالضمائر الشخصية
٢ التي تستعمل في خطاب المحاكمة يجب أن تعكس العلاقات الشخصية بين
٣ مشاركين مختلفين داخل المحاكمة. ولقد قدّم «ستيجول» (Stygall, 1994: 180)
٤ مقترحًا مهمًا يقتضي وجوب إعادة توزيع الضمائر الشخصية على مقولتين
٥ تضعان المرجع إما داخل عالم المحاكمة وإما في العالم المجرد للفضاء القانوني؛
٦ ومن ثمّ فـ «أنت you» تظل غامضة بين استعمالين، فهي إشارية Deictic
٧ حينما تشير إلى المخاطب (ين) وغير إشارية nondeictic في استعمالها الطبيعي،
٨ والضمائر المفردة مثل «أنا I» و«هو he» و«هي she» إشارية بصورة واضحة بينما
٩ (هو [لغير العاقل it]) يمكن أن تكون إشارية (حينما تشير إلى كيان ما) أو غير
١٠ إشارية عندما تستعمل مثلًا كفاعل فارغ Dummy Subject. من ناحية هذه
١١ الملاحظة تتعارض مع الرؤية التقليدية التي ترى أنه بينما تكون الضمائر (أنا)
١٢ و(أنت) غير غامضة في الخطاب اليومي فإن ضمائر الغائب (He, She, It) تمثّل
١٣ كيانات خارج مقام الخطاب؛ ومن ثمّ فهي تسمى عادة بالضمائر غير
١٤ الشخصية، ومن ناحية أخرى فإن موقف «ستيجول» Stygall يعكس بصورة
١٥ صحيحة واحدة من المقاربات الممكنة لخطاب المحاكمة وهو ما تتكون بنيته من
١٦ عدة طبقات نصية Textual Layers. وفي دراسته لمحاضر محاكمات قديمة اقترح
١٧ «كوتش» Koch ثلاث طبقات نصية يجري خلالها الحوار داخل المحاكمة
١٨ تتضمن: إطار قانوني للاستجواب، ومحضر الإفادة، وحوار يتم تمثيله كاقتباس
١٩ (Koch, 1999: 406ff).

٢٠ وعلاوة على المقولات الإشارية الرئيسة ماز العلماء أيضًا بين إشارة خطابية
٢١ واجتماعية وعاطفية، ويمكن تسمية هذه الأنواع الاستعمالات الإشارية
٢٢ الهامشية Marginal Deictic Uses؛ لأنها في مقابل إشارة الشخص والزمان
٢٣ والمكان لا ترد محددة بالضرورة بطبيعة اللغة، ولكنها تعتمد كليًا على اختيارات
٢٤ المتكلم، ومن ثمّ فإشارة الخطاب تشير إلى قطاع (سابق أو لاحق) من النص أو
٢٥ الخطاب، والإشارة العاطفية توظف الإشارية لتعيين موقف شخص ما من كيان

١ محدد ، والإشارة الاجتماعية تهتم باستعمال صيغ المخاطبة كعلامات على
٢ المسافة الاجتماعية ، انظر (5a, 5b, 5c) على التوالي (مدونة محضر محاكمة
٣ مقتطفة عن «شوي» (Shuy, 1998) والتشديد لي :

(5a) Q: What stuff did you tell him that's true? ٤

A: That I ain't did **that**, that **I** knew her for a long time. ٥

٦ س : أي الأشياء أخبرته أنها صحيحة؟
٧ ج : **أنني** لم أفعل **هذا** ، **وأنني** كنت أعرفها منذ زمن طويل .

(5b) A: Then when **I** got to school, **this** boy told me ٨

About what happened. ٩

١٠ بعدها ، عندما **ذهبتُ** إلى المدرسة ، **هذا** الولد أخبرني بما حدث .

(5c) I have known **Ms. Lockhart** for about 2 years. ١١

Sometime **I** call her **Ms. Lillie**. ١٢

(Shuy, 1998: 164ff) ١٣

١٤ عرفتُ **السيدة لوكهارت** منذ سنتين تقريبًا ،
١٥ وفي بعض الأحيان كنتُ أدعوها **السيدة ليلي** .
١٦ وكما رأينا ، فالإشارة ليست فقط واحدة من الخصائص الرئيسة للغة
١٧ المنطوقة (أكثر من ٩٠٪ من منطوقات البشر تحتوي على عناصر إشارية) ولكنها
١٨ - ولأسباب واضحة - أوسع انتشارًا في لغة القانون .
١٩

٢٠ الاقتضاء

٢١ إن فكرة «جريس» Grice حول «ما الذي عناه المتكلم ولم يقله» تتصل دون
٢٢ شك بلغة القانون حيث يتم استنتاج المعاني الحقيقية من الاستنطاق وشهادة
٢٣ الشهود والأشكال الأخرى للخطابات القضائية ، وكما وضّح «ماي» (Mey,
٢٤ 1993: 99) فإن الاقتضاء نظام لا يمكن تصويره بقواعد تركيبية أو دلالية بسيطة ،
٢٥ بل ببعض مبادئ المحادثة ، ولعل أحد الأمثلة المشهورة للاقتضاء ورد لدى

١ «ليفنسون» (Levinson, 1983: 97) :

٢ (6) A: Can you tell me the time?

٣ B: well, the milkman has come.

٤ أ) أتستطيع إخباري بالوقت؟

٥ ب) حسنا ، لقد أتى بائع الحليب .

٦ حيث يكون (A) مطالبًا باستنتاج الإجابة (فمثلًا إذا كان بائع الحليب يأتي
٧ دائمًا حوالي السادسة صباحًا ، فمن ثمّ يكون الوقت حوالي السادسة صباحًا) .

٨ وفي سياق المحاكمة تشكل عملية الاستنتاج والاقتضاء الناجم عنها أدوات
٩ مفيدة لكل من المستجوِبين في صياغة الأسئلة وللمستجوَبين في تقديم
١٠ الإجابات أو التهرب منها . لقد حلل «اتكنسون» و«دريو» (Atkinson & Drew,
١١ 1979) خطاب المحاكمة من خلال مصطلحات تحليل المحادثة ، وبيّنا أنه على
١٢ العكس من المحادثة اليومية الأكثر انسيابية في تنظيمها (حيث لا تكون الأدوار
١٣ Turns محددة سلفًا Prelocated) تتضمن تحقيقات المحاكمة تتابعات من السؤال
١٤ والجواب ، ولأن الأدوار داخل خطاب المحاكمة تكون محددة سلفًا وأحادية الاتجاه
١٥ (من السائل إلى المجيب) فإن أي توقفات Pauses في استنطاق الشهود أو المدعى
١٦ عليهم لها سمة اقتضائية يمكن استنتاجها ، فبعد أن يقدم الشهود أو المدعى
١٧ عليهم إجاباتهم يعود الدور التالي إلى المحامين الذين يختارون أنفسهم لهذا
١٨ الدور ، كما تعمل الاستنتاجات أيضًا على جانب نفسي أكثر مراوغة في
١٩ خطاب المحاكمة ؛ لأن أي منطوق يمكن أن يكون أساسًا لاستنتاجات أخلاقية
٢٠ بشأن المتكلمـ(ين) أو المستمعـ(ين) (Atkinson & Drew, 1979: 68) . قارن دور
٢١ الأفعال التأثيرية Prelocutions داخل الخطاب اليومي ومثيلتها داخل تحقيق
٢٢ المحاكمة التي تتضمن التزامات أخلاقية واجتماعية (Kryk-Kastovsky, 2002:
٢٣ 236ff) .

٢٤ إن الاستنتاج يمكن أن يوظف أيضًا لاكتشاف ما أسماه «هاريس» (Harris,
٢٥ 1994) القضايا الأيدولوجية داخل التفاعل في قاعة المحكمة ، مثل :

١ (7) This court is a **reasonable** court - trying to do

٢ **justice** to both sides in some disputes?

٣ (٧) هذه المحكمة محكمة **منطقية** - تحاول تحقيق **العدالة** لطرفي النزاع .

٤ وكما بيّن «هاريس» (Harris, 1994: 161ff) بصورة صحيحة فإن مفاهيم
٥ محاكمة ما تتأسس على المنطق ومزاولة العدل هي افتراضات أيديولوجية تكمن
٦ خلف نظام العدالة تحديدًا وأنها - من ثمّ - عادة ما تقتبسها الشخصيات العامة
٧ على أنها مبادئ أساسية تضمن مصداقية النظام القضائي والديمقراطية
٨ السياسية بشكل عام ؛ ومن ثمّ ، عبر تحدي إنصاف المحكمة بدأت العبارة خلافًا
٩ أيديولوجيًا ، ولذا اقتضت رؤية مخالفة للواقع ، في النهاية وكما بيّن «شوي»
١٠ (Shuy, 2004: 11ff) يمكن للمحامي أن يستخدم تحليلًا استنتاجيًا (يتضمن
١١ العمل بدون اقتضاءات) بهدف حل الغموض الواقع في الإفادات أو البيانات
١٢ المسجلة .

١٣

١٤ **أفعال الكلام**

١٥ أفعال الكلام هي المنطوقات التي من خلالها وبقوله شيئًا ما يشكّل المتكلم
١٦ أفعالًا محددة ، تسمى الأدائيات ، في مقابل التقريريات ، أي مجرد
١٧ التصريحات ، وتمت التفرقة بينهما على يد «أوستن» (Austin, 1962) وتوسعت
١٨ على يد «سورل» (Searle, 1969) الذي فرّق بين خمس فئات من الأفعال
١٩ الأدائية : التمثيلية ، والتوجيهية ، والوعدية ، والتعبيرية ، والتصريحية ، وفي
٢٠ عمله الأخير (Searle, 1975) أكد «سورل» على الدور المحوري الذي تلعبه
٢١ الأدائيات (لاسيما التصريحية منها) في اللغة القانونية ، بينما أعطى «دانت»
٢٢ (Danet, 1980) أولوية للأفعال التوجيهية بما أنها « ضمن الوظائف التخييرية
٢٣ التنظيمية للقانون أكثر بروزًا في التشريع الذي يفرض الالتزامات» (Danet,
٢٤ 1980: 458) .

٢٥ إن أفعال الكلام من بين المفاهيم التداولية التي تقع بصورة متكررة داخل

١ لغة القانون ، لأنه بالنسبة إلى «هنشر» Hencher تصدر نظرية أفعال الكلام
٢ وكذلك القانون عن أشياء متشابهة جدًا ، وأن مفاهيم تداولية مثل السلطة
٣ والقابلية للتحقق والالتزام هي مفاهيم أساسية بالنسبة لهما» (Hencher, 1980:
٤ 254) والدور المهم لأفعال الكلام داخل لغة القانون تم بيانه في دراسة «جوري»
٥ (Jori, 1994) ، و«مالي» (Maley, 1994) ، و«ستيجول» (Stygall, 1994) .
٦ والخطاب القانوني تحديدًا تتخلله الأدائيات التي يستعملها المتكلمون في صياغة
٧ أفعال قانونية ، وهذا الدليل تم توضيحه على يد «دانت» Danet الذي يزعم أن
٨ الأفعال التمثيلية تلزم المتكلم بصحة قضية ما ، ويمكن أن تعبر عن التزام قوي أو
٩ ضعيف مثل أفعال الشهادة والقسم في مقابل التأكيد والزعم على التوالي ، ولأن
١٠ القانون تبعًا لـ«أوستن» Austin هو مجموعة من الأوامر فإن الأفعال الأكبر أهمية
١١ بالنسبة للغة القانون هي الأفعال التوجيهية أي أفعال الكلام ذات التوجه
١٢ المستقبلي التي تقصد إلى تغيير الحالة الحالية للأشياء بجعل شخص ما يشكّل
١٣ بعض الأفعال مثل : مذكرات الإحضار ، وتوجيهات المحلفين ، أو الاستئناف .
١٤ أما الأفعال الوعدية – كما هو واضح من اسمها – فهي تلزم المتكلم بفعل ما في
١٥ المستقبل ، وهي تشمل أي نوع من العقود إما عقود العمل أو الزواج أو الوصية .
١٦ وقد تم اقتراح الأفعال التعبيرية لتغطي حالات الأشخاص المدانين وسؤالهم قبل
١٧ صدور الحكم إذا ما كان لديهم شيء يقولونه في هذه اللحظة عندما تكون لديهم
١٨ فرصة أخيرة للاعتذار أو التبرير أو إبداء الأسف على جريمتهم ، وأخيرًا الأفعال
١٩ التصريحية التي تقدّم تناسبًا بين الكلمات والعالم والتغيير الذي على وشك
٢٠ الحدوث نتيجة منطوق المتكلم كما في المثال الكلاسيكي :
٢١ (8) I declare the meeting closed.
٢٢ (Danet, 1980: 458ff).
٢٣ (٨) أعلن انتهاء الجلسة .
٢٤ على أي حال يجب أن يلاحظ أن موقع التعبيرات ثابتة الصيغة Formulaic
٢٥ Expressions داخل لغة القانون يتجاوز مجرد فعل كلامي واحد مثل : القسم

١ على الشهادة ، وطلب المعلومات ، وتنبيه المتهم إلى حقوقه الدستورية كما في
٢ «حقوق ميراندا Miranda Rights» :
٣ ١ . للمتهم الحق في التزام الصمت ، وعدم الإجابة عن أي أسئلة .
٤ ٢ . إن أجاب عن الأسئلة فإن إجابته قد تتخذ دليلًا ضده .
٥ ٣ . له الحق في تكليف محامي للدفاع عنه ، فإذا لم يستطع تحمل تكاليف
٦ المحامي ، فسيتكفل أحدهم بالدفاع عنه مجانًا .
٧ (Shuy, 1998: 52)
٨ هذه الأفعال الكلامية هي أيضًا جزء من حدث كلامي أكبر ، هذا الحدث
٩ الكبير يمكن تحليله ليس فقط لسانيًا ، ولكن من خلال السياق غير اللفظي أيضًا
١٠ (مثل التموقع المكاني داخل غرفة المحكمة) الذي يمكن أن يقدم معلومات خاصة
١١ بالتنظيم الاجتماعي للخطاب ، علاوة على هذا فإن الخواص الفيزيقية لقاعة
١٢ المحكمة تعبر عن أجواء السلطة التي يمارسها المحققون (Lakoff, 1990: 91ff;
١٣ Maley, 1994: 32ff) ، وسوف يناقش هذا المقال فيما يلي مفهوم السلطة .
١٤
١٥ **السلطة في مقابل التكافل:**
١٦ **- السلطة في قاعة المحكمة:**
١٧ إن التمييز بين السلطة والتكافل الذي قدمه براون Brown وجلمان Gilman
١٨ 1960 تم استثماره مؤخرًا في العديد من نظريات التأدب خاصة براون Brown
١٩ وليفنسون Levinson 1987 ، والتفاعل بين السلطة والتكافل أمر ظاهر في سياق
٢٠ قاعة المحكمة حيث يمارس المحققون سلطتهم على من يستجوبونهم ، وعلاقة
٢١ اللاتناظر هذه لم تكن جيدة في الماضي بصورة خاصة ، فمثلًا في بداية انجلترا
٢٢ الحديثة كان القضاة يستطيعون استعمال سلطتهم ومضايقة الشهود والمدعى
٢٣ عليهم ، فالقاضي جيفري وهو قاض غير مشهور كان يخاطب المستجوَبين بالذم
٢٤ مثل : (غبي) أو (خسيس وضيع) (Kryk-Kastovsky, 2002: 253) . ولعل التغير
٢٥ في نظام التأدب نحو التأثير الذي أصبح يتلقى بفضله كل من التابعين والزعماء

١ الاجتماعيين صيغًا مهذبة من الخطاب كان له انعكاساته على الرطانة
٢ القضائية ؛ ومن ثمّ فالمسافة بين المحققين والمستجوَبين دقيقة جدًا هذه الأيام ،
٣ وعلى الرغم من أن السلوك البغيض للقضاة لم يعد محتملًا هذه الأيام تجد
٤ العديد من الطرق الجيدة لتعيين المسافة ، فعلى الجانب فوق اللغوي هناك
٥ التنظيم المكاني للمحكمة الذي يخلق مسافة بين المحققين ومن يستجوبونهم
٦ وبين كلاهما وموقع القاضي (Lakoff, 1990: 87ff) ودور المحامين الذي «يقلص
٧ عمل الشهود إلى وظيفة الدمى» (Luchjenbroers, 1997: 480) ، وعلى الجانب
٨ اللغوي فإن التمييز بين السلطة والتكافل يمكن أن يتمثل في استعمال صيغ
٩ مناسبة من المخاطبة وفي حضور الرطانة القضائية أو غيابها في حديث المختصين
١٠ وغير المختصين بالمحكمة على التوالي ، علاوة على هذا يمكن أيضًا تحديد تناقض
١١ السلطة في السلوك اللفظي للرجال والنساء ، فحديث النساء كما لاحظ «أوبار»
١٢ O'Barr (1982) – متتبعًا خطى «ياكوف» Lakoff 1975 – حديث غير نهائي
١٣ وأقل إقناعا تبعًا لاستعمال الحدود ، والصيغ عالية التهذيب ، والأسئلة المزيلة ،
١٤ والتحدث بمرونة ، واستعمال الصفات الفارغة ، والتصحيحات الزائدة في
١٥ القواعد والنطق ، والافتقاد إلى حس الدعابة ، وغيرها ، وعلى أساس هذه
١٦ الخواص ماز «أوبار» O'Barr بين حديث ذي سلطة قوية وآخر ذي سلطة ضعيفة
١٧ مبينًا أنه على الرغم من أن النساء يستعملن حديثًا أقل سلطوية من حديث
١٨ الرجال لا يمكن تعيين هذين الصنفين بالضرورة إلى الجنسين ، ولكنهما – علاوة
١٩ على هذا – يعكسان الوضع الاجتماعي للمتكلم (فكلما ضعفت سلطة المتكلم
٢٠ الاجتماعية ضعفت سلطة اللغة التي يستعملها) . وتوضح المحاضر التي اقتبسها
٢١ المؤلف بصورة مقنعة أن اللغة الأقوى سلطة هي الأكبر تأثيرًا في خطاب المحاكمة
٢٢ بعكس اللغة الضعيفة السلطة ، ولنأخذ المثال التالي عن «أوبار» O'Barr (1982:
٢٣ 65ff) حيث تعد الكلمات والتعبيرات المحددة بالخط السميك أمثلة على اللغة
٢٤ الضعيفة السلطة :
٢٥ (9) Q: State whether or not, Mrs. A, you were

acquainted with or knew the late Mrs. X. ١

A: **Quite well.** ٢

Q: What was the nature of your acquaintance ٣

with her? ٤

A: Well, we were, **uh, very** close friends. **Uh**, she ٥

was even **sort of** like a mother to me. ٦

٧ (٩) س) وضحي لنا سيدة (أ) إذا كنت تعرفين الفقيدة السيدة (س)

٨ معرفة جيدة أم سطحية .

٩ ج) **جيدة جدا .**

١٠ س) كيف كانت طبيعة معرفتك بها؟

١١ ج) حسنا ، كنا ، أوه ، صديقتين مقربتين **جدا . أوه** ، لقد كانت **نوعًا ما**

١٢ كأم بالنسبة لي .

١٣ وكما بيّنا سابقًا تعد صيغ المخاطبة واحدة من تحيينات السلطة والتكافل ،

١٤ وهذا ما ستتجه إليه مناقشتنا الآن .

١٥

١٦ **- صيغ المخاطبة:**

١٧ اللغة القانونية سجل محافظ لا يزال محتفظًا بالعديد من صيغ المخاطبة

١٨ القديمة ، وحتى في مدن مثل الولايات المتحدة حيث تكون مخاطبة الآخرين

١٩ بالاسم الأول شائعة جدًا فإن اللغة المستعملة في المحكمة تمتاز بمستوى عال من

٢٠ الرسمية ؛ لذا يمكن مخاطبة القاضي بـ«المبجل» ، أو «المحكمة» أو بصورة أقل

٢١ رسمية مثل «القاضي سميث» (على الرغم من وجود بعض القيود التي تطبق

٢٢ هنا) ، ففي مخاطبة القاضي مباشرة كانت تستعمل الصيغة التراثية (ليبارك

٢٣ الرب المحكمة) ، ويُخاطَب المحامون ويشار إليهم بـ«المستشار القانوني» ، ويخاطب

٢٤ أعضاء هيئة المحلفين بأسماء أدوارهم الاجتماعية ، مثل ، «المحلف الأول» (بناء

٢٥ على مقاعد مرقمة) ، وبصورة مثيرة يبقى هذا السجل الرسمي نفسه ثابتًا

١ بالنسبة للمستجوَبين الذين يشار إليهم بـ«الشهود» و«المدعى عليهم» (Lakoff,
٢ 1990: 93) . ورغم وجود مواقف مشابهة في لغات أخرى فيما يخص الإشارة
٣ إلى المشاركين في خطاب المحاكمة ، فإن تنوعات عبر لغوية تطبق على طرق
٤ الإشارة إلى (المتهم/ المدعى عليه/ المدان) في الإعلام ، ففي الإنجليزية يشار إليه
٥ بصورة ثابتة مثل (السيد براون) وفي الألمانية يتم استعمال الاسم الأول والثاني
٦ (Harald Braun) دون استعمال صيغة تبجيلية سابقة (Herr) ، وفي البولندية
٧ فقط يستعمل الاسم الثاني أيضًا دون صيغة تبجيلية سابقة (Kowalski) ، وربما
٨ يكون من الجيد النظر في الأسباب (الاجتماعية-الثقافية والتاريخية) وراء
٩ غياب الصيغ التبجيلية في هاتين اللغتين رغم امتلاكهما لأنظمة مخاطبة أكثر
١٠ اتساعًا من الإنجليزية ، علاوة على هذا فإن الألمانية والبولندية توظف التمييز
١١ (T/V كالضمائر النحوية du/Sie و ty/Pan-i على التوالي) ؛ لذا فإن استعمال
١٢ الصيغ التبجيلية أمر مقيد بمبادئ تداولية- اجتماعية صارمة .
١٣

١٤ **بنية خطاب المحاكمة:**

١٥ في القسم التالي سوف يفحص هذا المقال إلى أي مدى يمكن اعتبار
١٦ خطاب المحاكمة مقاربًا للحديث اليومي ، وكما هو مبين سابقًا تتضمن اللغة
١٧ القانونية جميع المقولات التداولية والاجتماعية الماثلة في التواصل اليومي ،
١٨ وعليه ربما يبدو من المنطقي افتراض أن التوازي موجود أيضًا على المستوى
١٩ التحليلي للخطاب ، بمعنى أن تنظيم خطاب المحاكمة لا يختلف بصورة كبيرة عن
٢٠ الخطاب اليومي .
٢١

٢٢ **إرشادات المشاركين في خطاب المحاكمة:**

٢٣ بصورة حدسية واحد من أهم السمات الرئيسة لخطاب المحاكمة يجب أن
٢٤ يتمثل في فاعليته في تحقيق أهداف خطابية ، ومثل تكتيكات المحاكمة الفاعلة
٢٥ يمكن أن توجد في كتيبات للتدريب القانوني موجه إلى من أسماهم «أوبار»

١ O'Barr, 1982 التكتيكيين القانونيين Legal Tacticians ولنقتبس بعض سمات
٢ الحديث المنتقاة والتي أوصى بها مؤلفو هذه الكتيبات :
٣ ١ . الشهود الأكثر ثرثرة غير مقنعين .
٤ ٢ . الإجابة السردية أكثر إقناعًا من الإجابات المجزئة .
٥ ٣ . التفسير يضعف مصداقية الشهادة ، وهكذا .
٦ وكما هو متوقع فإن المحامين كانوا أيضًا موضع نصح من أجل امتلاك سلوك
٧ لفظي فاعل (O'Barr, 1982: 32ff) :
٨ ١ . اجعل استعمالك لتنوعات مختلفة من صيغ الأسئلة فاعلًا كي تحصل على
٩ إجابات ذات قيمة بالنسبة لموكلك ، وقد لاحظ «أوبار» أن المحامين عادة ما
١٠ يتم تحذيرهم من توجيه الأسئلة إلى أولئك الذين لا يعرفون الإجابات
١١ (مثلًا : يجب عليهم اللجوء إلى الأسئلة الموجهة ، انظر القسم السابق
١٢ الخاص بالقضايا) .
١٣ ٢ . التوصية الأخرى وثيقة الصلة بهذا التحليل هي وجوب تنوع أساليب
١٤ الاستجواب اعتمادًا على أنواع الشهود المختلفة (رجال × نساء ، كبار السن
١٥ × الأطفال ، وهكذا) فالأسلوب المختلف ربما يسمى اجتماعي-تداولي ،
١٦ لاحظ التنبيهات الخاصة بالحديث ذي السلطة القوية ، والحديث ذي
١٧ السلطة الأضعف في القسم الخاص بالسلطة والتكافل السابق .
١٨ ٣ . أخيرًا النصيحة التي تذكّر (اللسانيين) النصيين بآلية الربط ، وأن التكرار
١٩ مهم في عملية التأكيد ، ولكن يجب استعماله بحذر .
٢٠ فلنجعل هذه الإرشادات نصب أعيننا ، ولكن دعنا ننتقل الآن لإلقاء نظرة
٢١ على الاختلافات الأساسية بين نوعين من الخطابات التي نهتم بها هنا ؛ تحقيق
٢٢ المحاكمة والمحادثة اليومية .
٢٣

٢٤ **تحقيق المحاكمة في مقابل المحادثة:**

٢٥ من النظرة الأولى يبدو خطاب المحاكمة مشابهًا لغيره من الخطابات ، وعلى

١ أي حال حذر «اتكنسون» و«دريو» (Itkinson & Drew, 1979) من التعميمات
٢ غير المبدئية في مقابل التعميمات المتعجلة بأن بيّنا إلى أي مدى يمكن مقارنة
٣ تحقيق المحاكمة بالتفاعل اليومي ، أولًا إذا نظرنا إلى السمات البنائية للمحادثة
٤ التي وضحها «ساكس وآخرون» (Sacks et al (1974 مثل تبادل الأدوار ،
٥ والانفراد بالدور ، ومواضع الانتقال المتصلة ، والتصحيحات ، وغيرها ، فالمتوقع أن
٦ تكون المحادثة اليومية ذات تنظيم أكثر انسيابية من خطاب المحاكمة ؛ ومن ثمّ
٧ فالأدوار داخل المحادثة عفوية وإن كانت متصلة ، وعدد المشاركين متفاوت ،
٨ ثانيًا : بينما تكون علاقات السلطة داخل خطاب المحاكمة واضحة فإن أي علاقة
٩ من علاقات السلطة داخل المحادثة لا تكون واضحة بصورة تامة تبعًا للمقامات
١٠ الاجتماعية المختلفة لهذا النوع من الخطابات مما يقتضي ضمنًا أن يكون مبدأ
١١ التأدب معمولًا به ، ثالثًا : على الرغم من أن الأسئلة والإجابات موجودة في
١٢ المحادثة ، لكنها ليست نمطًا ثابتًا إذ إن التبادل اللفظي داخل خطاب المحاكمة
١٣ يتكون بصورة جوهرية من أزواج من الأسئلة والإجابات (,Itkinson & Drew
١٤ 1979: 61ff) ، علاوة على هذا فإن ترتيب الدور في خطاب المحاكمة ترتيب
١٥ ثابت ، ومن ثمّ فهو نمط من الأدوار التي يتقاسمها كل متكلم ، وكما بيّن
١٦ «ستيجول» فإن الأدوار ومواضع الانتقال المتصلة تتم السيطرة عليها من قبل
١٧ المستجوِبين بينما التصحيحات والتصحيحات الذاتية تثار بفضل عملية
١٨ الاستجواب وتأتي بسبب المستجوَبين (١٩٩٤ : ff١١٧) ، والحقيقة أن تمثيلات
١٩ دورين اجتماعيين هي تمثيلات غير متماثلة ؛ لأن المحقق فقط هو من له الحق في
٢٠ طرح الأسئلة ، ولأن أدوار المستجوَبين يجب أن تكوّن إجابات (من المفترض أنها
٢١ ملائمة) لهذه الأسئلة ، وبصياغة أخرى إن الأدوار في التحقيق داخل المحاكمة ،
٢٢ وعلى العكس من المحادثة ، محددة سلفًا ، أو باستخدام مصطلحات «ساكس»
٢٣ ومشاركيه (Sacks et al, 1974) فإن مشاركًا واحدًا فقط (المحقق) هو من يختار
٢٤ نفسه Self-selects للدور .
٢٥ إن المزية الوحيدة التي تفرّق بين خطاب المحاكمة والمحادثة اليومية هي ما

١ يسمى «التعليقات القانونية الواصفة Legal Metacomments" (Kryk-Kastovsky,
٢ 2002: 248ff) التي تتضمن تعليقات المحقق على ما يجري داخل المحكمة ، وهي
٣ أمثَلة للوظيفة التواصلية الواصفة Metacommunicative للغة ، ومن السهل أن
٤ تخضع التعليقات القانونية الواصفة للتحليل التداولي بسبب سماتها المميزة
٥ بطريقة تمكننا من مقارنتها بالوحدات الإشارية داخل الخطاب الخاص بالمحادثة
٦ اليومية ؛ ومن ثمّ فإن التعليقات القانونية الواصفة تشير (بطريقة الإحالة القبلية)
٧ إلى جزء من الخطاب السابق ، وتشير أيضًا (بطريقة الإحالة البعدية) إلى موقف
٨ خارج مقام الخطاب الفعلي ، انظر (١٠) و (١١) على التوالي ، فالاستعمال
٩ الميتالغوي للفعل (Say) في المثال (١٠) يضع المنطوق خارج المقام الفعلي
١٠ للمنطوق ويمنحه وظيفة خطابية خاصة (مثل وظيفة الفعل الموجِه) بينما علّق
١١ القاضي على السؤال في المثال (١١) وكأنه يوجه الشاهد ، بمعنى أن وظيفته
١٢ الخطابية تغيرت أيضًا من مجرد سؤال (نعم أو لا) بسيط إلى سؤال موجِه :
١٣ (10) So you say you actually ran away on Friday night?
١٤ (Johnson, 2004: 105)
١٥ (١٠) حسنًا ، أنت قلت إنك بالفعل هربت ليلة الجمعة .
١٦
١٧ (11) Q: All right. Now the car the man was driving,
١٨ was it a brown, a brown 1972 Chevrolet Nova?
١٩ **OPPOSITION LAWYER**: Objection.
٢٠ **JUDGE**: Sustained, leading the witness.
٢١ (١١) س : صحيح ، والآن ، السيارة التي كان يقودها الرجل ، هل كانت
٢٢ بنية اللون ، سيارة بنية اللون شيفرليه نوفا موديل ١٩٧٢؟ .
٢٣ **محامي النقض** : اعترض .
٢٤ **القاضي** : مقبول ، موجِه للشاهد .
٢٥ (O'Barr, 1982: 142)

لغة القانون بين التداولية الاجتماعية
وتحليل الخطاب والتواصل البين-ثقافي

يتبع ما تمت مناقشته سابقًا أن التداولية القانونية لا تكفي لشرح الوجاه المعقد بين اللغة والقانون ، وأحد الأسباب وراء هذا أن العلاقة بين العلمين لا يمكن أن تختصر في مجموع بسيط من المفاهيم التداولية القليلة التي تقع في خطاب المحاكمة ، ولأن هذا يستدعي مقاربة متعددة الاختصاصات ، وبعيدًا عن التداولية بمعناها الشائع من الضروري أن تكون هناك مقاربة أوسع ، لأسباب منها ، أولًا ، العلاقة بين المشاركين في خطاب المحاكمة يجب أن تحتكم إلى تفسير تداولي-اجتماعي يستعمل مفاهيم السلطة والتكافل ويبيّن الدور الذي تلعبه هذه المفاهيم في إيجاد سلوك مهذب (يخضع لنظرية التأدب) ، وكذلك دورها في استعمال صيغ المخاطبة وغيرها ، ثانيًا : إن تحليل بنية خطاب المحاكمة والنظام الذي هو عليه يجب أن يتم من خلال الأطر الخاصة بتحليل المحادثة أو تحليل الخطاب لتقديم مقارنة بين التبادلات اللفظية الواقعة في المحكمة والأخرى الموجودة في المحادثة اليومية ، أخيرًا ، على مستوى أكثر عمومية يجب أن تتم البحوث عبر اللسانية والبين-ثقافية كي نستطيع جمع التعقيدات الخاصة باستعمال اللغة القانونية في مجتمعات لسانية ثقافية مختلفة ؛ لأن مثل هذه البحوث لن تُظهِر الاختلافات بين الأنظمة القضائية الأنجلو-ساكسونية والأوربية فقط ، بل الخواص التنظيمية الناجمة عن هذه الاختلافات ، وبما أن إجراء المحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى هو إجراء خصومي بينما يكون تحقيقيًا في بقية الدول الأخرى فإن النتائج التالية هي نتائج غير متوقعة ، ففي الأنظمة الخصومية تلعب هيئة المحلفين (المكونة من أناس عاديين) دورًا محوريًا في الدعوى القضائية ، وبينما يكون القاضي هو الرئيس ، تتسلم هيئة المحلفين الدليل من الإدعاء والمترافعين وتقرر أي جانب منهما أكثر إقناعًا . أما إجراء المحاكمة التحقيقي فهو أكثر صرامة حيث يستمع القضاة المختصون إلى الدليل المقدم من المحامين المعيّنين من قبل الدولة ويصدرون الحكم ، هذا

الأسلوب يسبب ضررًا للمدعى عليهم خاصة إذا لم يتم تمثيلهم بصورة كاملة .
هذه الأدوار المختلفة والواضحة التي يلعبها المختصون وغير المختصين في كلا
النظامين القضائيين لها انعكاساتها الجادة على التنظيم الكلي لإجراءات
المحاكمة وفرص المدعى عليهم (Lakoff, 1990: 86) ، وأخيرًا سيكون من المفيد
أن ننظر إلى تنظيم خطاب المحاكمة في بلدان أخرى خارج أوربا وأمريكا الجنوبية
وأن ندرس تراثًا قضائيًا مختلفًا مثل إجراءات المحاكمة في الصين التي تضرب
بجذورها داخل الثقافة الصينية المعتمدة على الكونفوشية ، انظر مثلًا دراسة
«جاو» Gao, 2003 .

Bibilography

Atkinson J. M. & Drew P. (1979).

Order in court. London: Macmillan.

Austin J. L. (1962).

How to do things with words. Oxford: Clarendon Press.

Brown R. & Gilman A. (1960).

'The pronouns of power and solidarity.' In Sebeok T. (ed.) *Style in language*. Cambridge, MA: MIT Press. 253-276.

Brown P. & Levinson S. (1987).

Politeness: some universals in language usage. Cambridge: Cambridge University Press.

Cotterill J. (ed.) (2004).

Language in the legal process. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Danet B. (1980).

'*Language in the legal process*.' Law and Society Review 14, 445-464.

Danet B. (1985).

'Legal discourse.' In van Dijk T. A. (ed.) *Handbook of discourse analysis 1: Disciplines of discourse*. New York: Academic Press. 273-291.

Gao H. (2003).

'Declarative questions in Chinese criminal court examinations.' Paper delivered at 8th *International Pragmatics Conference in Toronto,* 2003.

Gibbons J. (ed.) (1994).

Language and the law. London: Longman.

Harris S. (1994).

'Ideological exchanges in British magistrate courts.' In Gibbons (ed.). 156-170.

Hencher M. (1980).

'Speech acts and the law.' In Shuy R. & Shnukal A. (eds.) *Language use and the uses of language*. Georgetown: Georgetown University Press. 245-256.

Johnson A. (2004).

'So...? Pragmatic implications of So-prefaced questions in formal police interviews.' In Cotterill J. (ed.). 91-110.

Jori M. (1994).

'Legal performatives.' In Asher R. E. (ed.) *The encyclopedia of language and linguistics*. Oxford: Pergamon Press. 2092-2097.

Koch P. (1999).

'Court records and cartoons: reflections of spontaneous dialogue in early romance texts.' In Jucker A., Fritz G. & Lebsanft F. (eds.) *Historical dialogue analysis*. Amsterdam: Benjamins. 399-429.

Kryk-Kastovsky B. (2002).

Synchronic and diachronic investigations in pragmatics. Poznan: Motivex.

Kurzon D. (1995).

'The right of silence.' *Journal of Pragmatics 24*, 55-69.

Kurzon D. (2001).

'The politeness of judges: American and British judicial behavior.' *Journal of Pragmatics 33*, 61-85.

Lakoff R. (1975).

Language and woman's place. New York: Harper and Row.

Lakoff R. (1990).

Talking power: the politics of language. New York: Basic Books.

Levinson S. (1983).

Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press.

Luchjenbroers J. (1997).

'"In your own words...." Questions and answers in a Supreme Court trial.' *Journal of Pragmatics 27*, 477-503.

Maley Y. (1994).

'The language of the law.' In Gibbons (ed.). 11-50.

Mellinkoff D. (1963).

The language of the law. Boston: Little, Brown and Company.

Mey J. L. (1993).

Pragmatics: an introduction. Oxford: Blackwell.

O'Barr W. E. (1982).

Linguistic evidence: language, power, and strategy in the courtroom. New York: Academic Press.

Philips S. U. (1986).

'Some functions of spatial positioning and alignment in the organization of courtroom discourse.' In Fisher S. & Dundas Todd A. (eds.) *Discourse and institutional authority: medicine, education and law*. Norwood, NJ: Ablex. 223-233.

Sacks H., Schegloff E. & Jefferson G. (1974).

'A simplest systematics for the organization of turn-taking for

conversation.’ *Language* 50, 696-735.

Searle J. (1969).

Speech acts: an essay in the philosophy of language. Cambridge: Cambridge University Press.

Searle J. (1975).

‘Indirect speech acts.’ In Cole P. & Morgan J. (eds.) *Syntax and semantics 3*. New York: Academic Press. 59-82.

Shuy R. W. (1998).

Language of confession, interrogation, and deception. Thousand Oaks: Sage.

Shuy R. W. (2004).

‘To testify or not to testify?’ In Cotterill J. (ed.). 3-18.

Stygall G. (1994).

Trial language: differential discourse processing and discursive formation. Amsterdam: Benjamins.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

التّداوليّة الأدبيّة

جاكوب ماي

Literary Pragmatics

J. L. Mey

In In Mey, J. L. 2009 (ed.): Concise Encyclopedia of Pragmatics (2nd edn.). Elsevier: Amsterdam. Pp.549-55.

اتخذت محاولات ربط دراسة النّصوص الأدبيّة باللسانيات اتجاهين أساسيين ؛ في الأقدم منهما ، أي : المقاربة الكميّة Quantitative Approach ، كان التركيز منصبًا على كيفية تمييز النّص بالاعتماد على ورود عناصر معينة (كالأسماء ، أو الصّفات ، أو غيرها) ، وكانت المناهج الموظفة استاتيكية بصورة أساسية ، أما المقاربات اللّاحقة ، فركّزت على المظهر النّوعي Qualitative Aspect ، أي كيفية تعيين تمايزات محددة (بنى نحويّة ، أو صور بلاغيّة ، أو غيرها) كي تكون مميزة لأنماط النّص ، أو بصورة أكثر عمومية ، كيف تميز امتدادًا نصيًا في علاقته بما يسمى أغراض خارج لسانية Extralinguistic : الإقناع ، أو المجادلة ، أو الاستفهام ، أو غيرها من المسائل التي أصبحت تلقى اهتمامًا من العلم المسمى «خطابة» .

١ عندما نتحدث عن تداوليّة أدبيّة ، فمن المهم إدراك أن التّداوليّة لم تتطور
٢ من داخل اللّسانيّات ، ولكنها تتأصل – إضافة إلى هذا – في مجالات متصلة
٣ مثل : الفلسفة ، وعلم الاجتماع ، ونظرية التفاعل ، وفي البداية توجّه اللّسانيون
٤ إلى التّداوليّة عبر التّناقضات التي نمت في مجال رؤيتهم المحدود ، وبالمثل لم
٥ تكتشف الدّراسات الأدبيّة التّداوليّة بنفسها إذ كانت مقاربات دراسة
٦ النّصوص ، بوصفها شيئًا يتعلق بمستعملين بشر ، قد تطورت في الوقت نفسه
٧ على أيدي الفلاسفة ومنظريّ الأدب والتّداوليّين ، وكان الغرض من هذه
٨ المحاولات هو البرهنة على حقيقة أن اللّغة لا تنقاد دومًا لتقييدات النّحاة .
٩ والحقيقة أن البنية اللّغوية للنص ، في حالات عديدة ، لديها القليل جدًا
١٠ للتعامل مع آثار نص ما ، أو مع ما يفعله ، أو مع كيفية إنتاجه واستهلاكه على
١١ أيدي المستعمل .
١٢ وبتطبيق تعريف التّداولية بوصفها «دراسة استعمال اللّغة في التّواصل
١٣ البشري كما هو محدد بشروط المجتمع» (Mey, 2001: 6) على حالة التّواصل
١٤ الأدبي ربما يمكننا القول إن التّداوليّة الأدبيّة تهتم بدور المستعمل في الإنتاج
١٥ المجتمعي للنصوص واستهلاكها .
١٦

١٧ **لسانيات النّصوص:**

١٨ إن المقاربات المبكرة للتّداوليّة الأدبيّة (التي اعتدنا تسميتها اللّسانيّات
١٩ النصيّة) اتخذت من مفاهيم محددة – كانت قد تطورت بصورة أساسية داخل
٢٠ اللّسانيات – نقطة انطلاق كي تتماشى وحاجات الوصف النّحوي ، وكان ينظر
٢١ إلى النّص على أنه مركب فقط من جمل ذات بناء هرمي ، كالجملة نفسها التي
٢٢ تعد بناء هرميًا للوحدات أو «المركبات» (كالمركبات الاسميّة والمركبات الفعليّة
٢٣ وغيرها) ، وتم اقتراح نحو النّص Text Grammar بالتّوازي مع النّحو الخاص
٢٤ بالجملة Sentential Grammar الذي تطور على يد تشومسكي Chomsky
٢٥ ومدرسته (انظر على سبيل المثال van Dijk, 1972) .

١ وكانت المحاولات اللاحقة مدفوعة بإنجازات الفلاسفة والتداوليّين أمثال
٢ أوستن Austin وسورل Searle الذي طور نظرية لأفعال الكلام ؛ فالمنطوقات
٣ بالإضافة إلى مجرد كونها منطوقة تفعل شيئًا ما ، أي التجلي الإنجازي
٤ Illocutionary في مقابل التجلي النّطقي Locutionary .
٥ وتطورت الفكرة التي مؤداها أن للمنطوقات قيمة أدائيّة Performative لا
٦ مجرد قيمة وصفيّة Constative (التي تعود إلى Austin, 1962) إلى تصنيف
٧ أفعال الكلام إلى مقولات مثل : التّأكيدات ، والأسئلة ، والأوامر ، والاعتذار ،
٨ وبناء على هذا كانت هناك بعض الاقتراحات بأن ننظر إلى النّص على أنه فعل
٩ كلامي موسع Macro-Speech Act تنضوي تحته جميع أنواع الأفعال المفردة ،
١٠ ويتم التّعبير عن جميع هذه الأفعال بترتيب هرمي وصيغ لغوية محددة ، وهذه
١١ المقاربة فشلت تقريبًا وواجهتها عدة اتهامات ؛ أولًا أنه لم يكن من السّهل تفسير
١٢ العلاقات التي تربط بين أفعال كلاميّة مختلفة تصنع النّص أو تحديد هذه
١٣ الأفعال ، وكانت هناك أيضًا مشكلة القيود الهرميّة التي تبدو غير طبيعيّة وينجم
١٤ عنها أن تكون طبيعة الفعل الكلامي النّصي طبيعة خطيّة بصفة جوهريّة لا
١٥ يمكن التّنبؤ بها . على أي حال ، فإن فكرة أن تجتمع الجمل وفق طرق أعمق من
١٦ مجرد انتظامها مع بعضها البعض على المستوى السطحي (متسلسلة
١٧ Concatenated باصطلاح تشومسكي) أخذت بعين الاعتبار ، وبالمثل أسفر
١٨ مفهوم أن اللغة «مؤدية Performed» –تفعل شيئًا– عن اكتشاف مهم يقضي بأن
١٩ هناك جملًا محددة فاعلة Doable أو متكلمة Speakable ، وهناك ما هو دون ذلك
٢٠ (Banfield, 1982) .
٢١ ولعل النظر الأكثر أهمية بخصوص طبيعة استعمال اللغة الطبيعيّة بوصفه
٢٢ «فعل الأشياء باستخدام الكلمات» (Austin, 1962) لم ينشأ مرة أخرى عن
٢٣ لساني بل عن الفيلسوف بول جريس H. Paul Grice ، الذي ذهب بالأفكار التي
٢٤ تطورت على يد أوستن وسورل (١٩٦٩) خطوات أبعد ، فمن أجل تفسير انتظام
٢٥ المحادثات البشرية ومخرجاتها الأكبر نجاحًا وضع جريس (١٩٨٩ : ٢٦– ٣١)

١ مبدأ التّعاون مشترطًا أن كل مساهمات الفرد داخل المحادثة يجب أن تكون
٢ متوافقة مع هدفها (بما فيها من أهداف ومشاعر المشاركين) واقترح جريس أيضًا
٣ قواعد أربعة للمحادثة تنظم تعاوننا وتعالج المعلومات الخاصة بالمحادثة : اجعل
٤ مساهمتك كافية (قاعدة الكم Quantity) ، وصحيحة (قاعدة الكيف Quality) ،
٥ ومتصلة (قاعدة الصّلة Relation) ، ومرتبة (قاعدة الطّريقة Manner) ، إن أي
٦ إخلال بهذه القواعد يجب أن يؤول (باعتبار الفكرة العامة للمحادثة بوصفها
٧ تعاونًا) بأنه يتضمن معنى إضافيًا ؛ فخرق Flouting قاعدة ما يحمل رسالة إن لم
٨ تكن مذكورة بصورة صريحة ، فهي مفهومة أيضًا ، ومثال جريس الشّهير هنا هو
٩ الأستاذ الذي يكتب توصية لتلميذ تحتوي على تصريح بحضوره في الفصل
١٠ وإجادته تهجئة الإنجليزية ، وهي مسائل من الواضح أنها لا تتصل بهذا السّياق ؛
١١ ومن ثمّ تتضمن أن يكون هناك سبب ما لإحجام الأستاذ عن التّعاون ، أي إن
١٢ هذا التّلميذ لا يستحق توصية حقيقية (Grice, 1989: 30) .

١٣ إن مفهوم الاقتضاء Implicature عند جريس ، كما يسمى ، على درجة
١٤ كبيرة من الأهمية بالنظر إلى تفسير كيفية اقتراب كل من الكتّاب والقراء من
١٥ إبداعهم المشترك للعمل الأدبي ، كما سنناقشه لاحقًا . عادة يكون ملحوظًا أن
١٦ جوهر الفن المرئي والأدبي يكمن في الطّريقة التي نحذف بها الأشياء بدلًا من
١٧ تمثيلها بشكل خيالي أو قولها كاملة ، فعندما تعبر ملكة ما عن عدم رضاها نفهم
١٨ تمامًا وبطريقة نموذجيّة حالها هذا ونتغاضى عنه لنفوّت انفعالها ذاك ، وعندما
١٩ يسأل الله قابيل : أين هابيل أخوك؟ ، يدرك قابيل (بما أنه يعرف أن الله يعلم
٢٠ بالفعل أين هابيل ، ويعلم أيضًا من قتله ، فإن المتضمن هو سؤال : لمَ فعلتَ هذا
٢١ بأخيك؟ ، وعلى أي حال فإن قابيل يرفض التّعاون في هذه المحادثة ، ويحاول
٢٢ إنكار الاقتضاء ، فمن المفترض أنه حارس أخيه ، ولكن في الجملة التّالية أجاب
٢٣ قابيل عن السّؤال بمنطوق زائف التّعاون Psedo-cooperative : «لا أعلم» . فقد
٢٤ بيّن أنه حقيقة فهم الرّسالة المضمنة : «هل أنا حارس أخي؟» (Gen. 4:9) .

٢٥ في الأقسام التّالية سوق أقدم باختصار أمثلة خاصة تتقابل فيها التّداوليّة

١ مع مقاربات لسانيّة وأدبيّة متنوعة ، كما سيتم التّعامل معها فيم بقي من
٢ المقال .
٣ إن مشكلات إنتاج النص واستهلاكه تمت مناقشتها أولًا ، وبعدها تم تقديم
٤ مناقشة موجزة لمفهوم حظي بانتباه متزايد في المناقشات التي جرت خلال
٥ العقود القليلة الماضيّة هو مفهوم التّفاعليّة Interactivity الذي يعني التّعاون
٦ الفاعل (لدى جريس) بين القارئ والكاتب ، هذا التعاون يتضمن أكثر من
٧ مجرد التّفاعل البسيط ، وعلى أي حال فالعلاقة بين شركاء نشطاء هي علاقة
٨ ديالكتيكية بمعنى أنه لا يمكن للقارئ أو الكاتب الزعم بامتلاك حصري للنّص
٩ أو أن يفرض سلطته عليه ، ويتبع هذا أن أحدّد هذه العلاقة على أنها علاقة
١٠ إبداعية مشتركة Cocreative ، فالنّص ليس عملًا مقصورًا على الكاتب وحده ،
١١ بل يفترض دائمًا تعاونًا فاعلًا من الجمهور أو القراء . أما كيف يمكن أن يُنظّم هذا
١٢ الإبداع المشترك تقنيًا فهذا هو موضوع الأقسام التّاليّة ، وفي أولها تتم مناقشة
١٣ بعض الآليات اللّغوية الكلاسيكية لوضع الهاديات Signposting ؛ ومن ثمّ يتم
١٤ بيان المفهوم التّداولي «الصّوت Voice» على أنه ما يبعث بالنّص إلى الحياة ،
١٥ فوجهة النّظر Point of View المتضمنة في صوت الشّخصيات تساعدنا بصورة
١٦ خاصة على إيجاد طريقنا داخل متاهة النّص ، وهذا التّصويت Vocalization لا
١٧ يعتمد فقط على الهاديات القائمة على الآليات اللّغويّة ، ولكنه يعتمد أيضًا
١٨ على آليات التّعاون Cooperation والاقتضاء Implicature (بما في ذلك الخرق
١٩ Flouting) التي تم ذكرها سابقًا ، وعندما لا تتلاقى الشّروط العامة لاستعمال
٢٠ هذه الآليات فإننا نختبر الظّاهرة التي أسميتها تضارب الصّوت Voice Clashing
٢١ أي الأصوات التي تنطق خارج النظام سواء بإرادة المؤلف (وهو المعتاد) أو عن
٢٢ طريق إهمال تأليفي ، والقسم الأخير الذي يغطي المناقشة يؤكد على التّرابط
٢٣ البشري الذي هو شرط ضروري لنجاح عمل النّص .
٢٤
٢٥

١ **الإنتاج والاستهلاك:**

٢ فيما يلي نموذج شائع للإنتاج والاستهلاك في مجتمعنا ، فالمنتج يقدم
٣ إنتاجه إلى السّوق ، ويدفع المستهلك ثمن السّوق ويطلب المنتج ويبدأ في
٤ استهلاكه ، وبعد إتمام الصّفقة يذهب كل من المنتج والمستهلك في طريقه لا
٥ يتقابلان مرة أخرى إلا في حالات خاصة (متوقعة باعتبار القوانين التي تنظم
٦ التجارة في مجتمعنا) مثل : نوعية منتج ردئ النوعية أو معاملة غير مرضية
٧ بالنسبة للمظاهر المالية للمبيع . هذه العلاقة هي علاقة خطية بالأساس وأحادية
٨ الاتجاه ، فحينما تتم الصفقة لا يمكن عكسها (باستثناء بعض الحالات الخاصة
٩ مثل إعادة المنتج أو استعادته) .

١٠ في الواقع لا تحدث الأشياء بهذه الطريقة ؛ فشراء كتاب لا يشبه امتلاك
١١ قطعة من قطع المطبخ أو قطعة من الأثاث ، فالمرء لا يعيد الكتاب إلى المكتبة ،
١٢ بل يأخذ المؤلف إلى بيته ويدعوه إلى مسكنه الخاص ، والمؤلف من ناحية أخرى
١٣ لا يجعل مجموعة الأوراق المطبوعة شيئًا حيًا (وهناك بالفعل من يفعل هذا)
١٤ ولكنه يحمل رسالة إلى القارئ كإنسان ، وهذا هو السبب في شراء الكتب
١٥ وبيعها ؛ أي ليس بسبب أنها ضرورية لوجودنا المادي ، ولكن لأنها تقدم تواصلًا
١٦ شخصيًا بين المؤلف والقراء ، مثل هذا التواصل - كي يكون ناجحًا - لابد أن
١٧ يتبع قواعد معينة .
١٨

١٩ **المؤلفون والقراء:**

٢٠ إن عملية الكتابة مرتبطة بآلية الإغراء ؛ الكاتب يأخذ القراء من أيديهم
٢١ ويفصلهم عن كدح الحياة اليومية ، ويقدّمهم إلى عالم جديد يكون المؤلف فيه هو
٢٢ المبدع وصاحب السلطة الرئيس (Mey, 1994: 162; 2000:109) ، ويجب على القراء
٢٣ أن يقبلوا هذه الخطوة المغرية ويتبعوا المؤلف داخل تلك المتاهة التي اختارها حتى
٢٤ يشاركوا بشكل تام في التجربة الأدبية ، ويأخذ القراء الرواية خالية من أيدي المؤلف
٢٥ «فالمؤلف توفي والحياة المديدة للقارئ» باختلاف مع بارت (Barthes, 1977) .

١ ولقد تخيّل ماري–لور ريان Marie-Laure Ryan, 2001 أن مشاركة القارئ
٢ هذه تسير وفق بعدين : الإبداع المشترك (حيث يعالج القارئ النص) ،
٣ والاستغراق (حيث يتحد القارئ بيسر تام بهذا النص) . فالقارئ في وضع
٤ الاستغراق ليس فقط متفرجًا على المشاهد الخيالية ، فدور القارئ يتمثل في
٥ كونه « مشاركًا فاعلًا في عملية إبداع الفضاء الخيالي» (Mey, 1994: 155) ،
٦ وكما ستتم مناقشته لاحقًا ، القارئ المستغرق هو صوت Voice داخل النص ،
٧ فهو ليس ممثلًا في إبداع النص فقط ، ولكنه ممثل أيضًا – إلى حد ما – في
٨ مبدعه (Barthes 1977) .
٩ في النصوص الأدبية بصورة خاصة يعتمد نجاح القصة ليس فقط على
١٠ المؤلف ، ولكن على القارئ بدرجة كبيرة ، ففي عملية إبداع النص يجدَّد القارئ
١١ وتعاد ولادته في صورة النص ، فالتفاعلية Interactivity لا تحدث فقط على
١٢ مستوى النص ، إنها تتضمن طبقة أعمق هي النفس The Self . إن ما يتم
١٣ إبداعه ليس فقط الفضاء الخيالي ، بل القارئ الموجود في هذا الفضاء «القارئ
١٤ في النص Lector in Fabula» ، ومن ثمّ فعبارة «هذا الكتاب غيّر حياتي» ليست
١٥ تعبيرًا مبتذلًا نوظفه لتسجيل تجربة قراءة استثنائية ، فمثل هذه التغييرات تحدث
١٦ حينما نستهلك النصوص (بما فيها الأجناس غير الأدبية كالنثر العلمي أو
١٧ الإشهاري أو النصوص القانونية وغيرها ، و«النصوص» بالمفهوم الواسع لهذا
١٨ المصطلح ، مثل المنتجات الفيلمية والمسرحية والفنون المرئية وغيرها (Mey, 1994:
١٩ 155)) . ولتجديد رؤيتنا للنص ربما نضع هنا الواقع الافتراضي الخاص بالعالم
٢٠ الحوسبي ونصوصه الالكترونية التي تمت مناقشتها عند مؤلفين مثل جورسكا
٢١ وماي (Gorayska & Mey, 1996) ، وريان (Ryan, 2001) ، وغيرهم .
٢٢
٢٣ **ديالكتيك النص:**
٢٤ إن الموقف الديالكتيكي للتفاعل يحدث عندما تؤثر أطرافه في بعضها
٢٥ البعض على الطريقة التي يكون معها ما ينتجه طرف مشروطًا بقدرة الأطراف

١ الأخرى على التعامل معه . في استعمال اللغة ، تحدد تداولية التفاعل قواعد
٢ اللعبة التي تسمى على وجه التحديد «الديالكتيكية» ، فعندما نتحدث أو
٣ نكتب فإننا دائمًا نشترك في تواصل ما (إعلام مشاركينا عن حدث ما ،
٤ الاعتذار عن إيذاء متعمد ، أو إهانات ، أو الوعد بخدمات محددة ، أو سرد
٥ قصة ، وغيرها) . في هذا النشاط التفاعلي نعتمد بصورة أساسية على وجود
٦ الآخرين وعلى التعاون ليس فقط بسبب شرعية أفعالنا الكلامية ، بل أيضًا
٧ لحيويتها وقابليتها للتطبيق ، وبطريقة معكوسة فإن مخاطبينا يعتمدون بصورة
٨ أساسية على ما نعلمه عنهم وعلى إذا ما كانوا ينظرون إلينا كمشاركين جيدين
٩ داخل التفاعل (بعد كل هذا يستطيع الفرد أن يسرد قصة محتملة إلى مستمعين
١٠ مهتمين بالمشاركة أو تخيل ما يفعله الآخر) . إن الطريقة التي نرى بها أنفسنا
١١ ونرى بها مشاركينا وكيف يرون أنفسهم ويرونا هي أمر جوهري لهذه العملية
١٢ الديالكتيكية ، والقسم التالي يتعامل مع الكيفية التي تتم بها هذه التمثيلات
١٣ وكيف يجري تنظيمها .
١٤

١٥ **الإبداع المشترك:**

١٦ إذا تحدثنا بطريقة تداولية فإن نصًا ما هو نتاج ما أسماه باختين (Bakhtin,
١٧ 1994: 107) «اجتماع شخصين» وأن حياة هذا النص «دائمًا تتطور على حدود
١٨ وعيين أو شخصين» (Bakhtin, 1994: 106) ، هذان الوعيان هما : وعي المؤلف ،
١٩ ووعي القارئ ، فالمؤلف على وجه التحديد يكون واعيًا بدوره في بناء عالم الفن
٢٠ أو الفضاء الخيالي الذي سبق أن ذكرناه ، وعلى أي حال فإن وعي القارئ مهم
٢١ جدًا في الإبداع المشترك للعالم الخيالي ، فالقارئ يعد بالنسبة إلى باختين مبدع
٢٢ النص المشارك ، فالنص الناشئ كإبداع ديالكتيكي هو حوار بين المؤلف والقارئ .
٢٣ كيف يقود المؤلف والقارئ وهذان الوعيان الفضاء الخيالي؟ ، بالنسبة
٢٤ للقارئ ، ليس كافيًا أن يتم تعيينه بطريقة سلبية مع المؤلف ، فالقارئ يجب أن
٢٥ يتبع بطريقة واعية دور المشارك في الإبداع ، كما هو محدد بالديالكتيك النصي ،

والعكس ، على المؤلف أن يحيل القارئ بطريقة واعية إلى هاديات الطريق وغيرها من الإشارات Indexes الموجودة في الفضاء الخيالي لتسهيل عملية القيادة .

في بعض الروايات القديمة وتحديدًا تلك الروايات المكتوبة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر كان المؤلف يظهر عادة في المشهد كشخص يناجي القارئ ويخبره بما عليه أن يفعل ، وأن يشعر ، وما لا يعترض عليه ، وأي شكوك يجب أن يوقفها عمدًا ، وغير هذا ، وكان الكاتب البريطاني من القرن التاسع عشر ، أنتوني ترولوب Anthony Trollope ، مبدع عملية الإقناع بالتواطؤ persuasion-cum-connivance ، فكان مثلًا يخبر قراءه أنه غير قادر على الإسهاب أكثر في بعض شخصيات روايته ، وكان الناشر ، مستر لونجمان ، لم يسمح له بمجلد رابع ، ومن ثمّ اضطر إلى إنهاء المجلد الثالث وإنهاء روايات أبراج بارتشستر Barchester Towers عند الصفحة رقم ٤٧٧ ، وبما أننا في الصفحة ٣٩٦ (أوه ، هل سيسمح لي مستر لونجمان بمجلد رابع!) (Trollope, 1857/1994: 306) ، وبفضول ولهفة أسرع القارئ المشارك في الإبداع إلى الانتقال إلى الصفحة الأخيرة ليجد أن رقمها بالفعل هو ٤٤٧ تمامًا كما أشار المؤلف ، ولا يمكننا استبعاد إمكان أن يشعر القارئ بالعطف عليه ؛ إذ تحول الإبداع المشترك إلى البساطة /السذاجة .

إن حالات مثل هذه هي استثناء ، والقراء لن يفعلوا بطبيعة الحال أكثر من الابتسام حينما يكتشفون تورطهم فيما يفهم على أنه خدعة تأليفية ، وفي حالات أخرى تجد أن الإبداعية المشتركة ، وهي أمر ضروري لجعل الإبداع المشترك مشروعًا ناجعًا على الرغم من عدم وضوحه ، تعتبر (ربما من أجل هذا السبب) أكبر فاعلية ، والأمثلة الشهيرة لوعي القارئ الناجح نجدها مثلًا لدى الكاتب الارجنتيني جوليو كورتزار Julio Cortàzar كما في رواية قصة العناكب Historia con migalas حيث قاد المؤلف القارئ بوعي داخل المسار الكشفي Garden Path للسرد ، وفي هذه الرواية تجد أن اثنين من أنصار المرأة من المفترض

أنهما رجل وامرأة ، ولكن الجملة الأخيرة فقط من القصة تجعلهما بالمعنى الحرفي يزيلان الحماية المورفولوجية وقناعها المغري (انظر Mey, 1992 وقد نجحت الحيلة هذه في النسخة الأسبانية الأصلية) .

في قصة كورتزار تم تحقيق إغراء القارئ (الذي يتضمن الإبداع المشترك للوعي المنظم) دون وعي القارئ ، وهذا متطلب نمطي في بعض الأجناس الأدبية ، مثل النادرة ، أو قصة كما في هذه الحالة . وفي الحالات الأخرى (الأكثر طبعية!) يتم اقتياد القراء عبر متاهة خيالية مع بعض الهاديات التي يقودهم من خلالها المسار السردي حيث ثمة مخاطر يجب عليهم تجنبها ، وحيث يستكملون طريقهم بحذر أو بجرأة بديلًا عن الحذر ، وهكذا .

وضع الهاديات Signposting:

في قصة كورتزار تم تضليل القارئ بـ(إساءة) استعمال الأدوات اللغوية ، فكانت كما لو أن الكاتب غيّر أو أزال هاديات الطريق المعتادة ، وهي آلية يمكن أن نسميها الهاديات المضللة deceptive signposting ، والسؤال هو : ما آليات وضع هذه الهاديات؟ وكيف تستخدم بطريقة طبعية لتصنع انسجام النص عندما لا تتضمن مسارات كشفية garden paths أو نوادر؟

أولًا ، لدينا مفاهيم قديمة هي «الإشارات Indexes» عندما يتم توظيف الأدوات والضمائر الشخصية للإشارة إلى شخصية محددة ، في الإحالة القبلية بصورة خاصة يستخدم ضمير الصلة ليشير خلفه إلى (أو في الإحالة البعدية ليشير أمامه إلى) شخص أو شيء ما تم ذكره بالفعل أو سيتم ذكره داخل القصة ، والمفهوم العام الذي يغطي هذه الظواهر يسمى المرجع الإحالي ((Phoric Reference

بالإضافة إلى هذا لدينا الوسائل التي تحدد علاقات الوقت والمكان المهمة في بناء تدفق القصة وتعزيزه ، فظروف الزمان مثل «اليوم» وظروف المكان مثل «بالخارج» تخبرنا متى وأين تجري القصة ، أيضًا لدينا ظروف الجملة Sentence

١ Adverbs التي تضيف نكهة خاصة على امتداد متسع من الخطاب أو على فقرة
٢ كاملة في بعض الأحيان مثل (للأسف ، بوضوح ، بانتظام ، لاسيما إذا وقعت
٣ في بداية الجملة) .
٤ وكما هي الحال في قصة كورتزار فإن أغلب الفهم الصحيح لقصة ما يتم
٥ منحه من خلال استعمال العناصر المميزة للنوع Gender-Marked Items كما في
٦ «هو» مقابل «هي» أو من خلال استغلال الفرق بين صيغة مذكرة ومؤنثة مثلاً
٧ لصفة ما ، والآلية الأخيرة لا تنطبق على الإنجليزية ؛ ففي حالة كورتزار تأتي
٨ الخاتمة «dénouement» عندما يواجه - في النهاية - القارئ غير المرتاب بصيغة
٩ وصف مؤنثة لا لبس فيها " = "naked" = l"desnudas"l عاريات» (وهي كلمة
١٠ إسبانية جمع ومؤنثة ، ولأنها تشير إلى النساء ، فهذا المقصد في الترجمة
١١ الإنجليزية يضيع ولا يؤدي إلى هدف ما) .
١٢ إضافة إلى هذه الآليات اللغوية تعرض التداولية للقارئ مساعدة كبيرة ،
١٣ فهناك مفهوم جريس Grice عن الاقتضاء (ذكرناه سابقًا) ، بالإضافة إلى هذا
١٤ يضع المؤلف تحت تصرفه طرقًا عديدة لتمثيل الكلام أو الفكر ، إما من خلال
١٥ الاقتباس المباشر لمنطوق شخصية ما (حرفيًا : وضع الكلام في فيه) أو من خلال
١٦ إعادة تقديم غير مباشرة لما يفكر فيه الشخص مع نفسه داخل خطاب حر غير
١٧ مباشر Free Indirect Discourse كما في المقتطف التالي من جان أوستن (Jane
١٨ Austen, 1810/1947: 191) «والآن ، ماذا فعلتْ [هي] ، وماذا تركتْ لتفعله ، كي
١٩ تستحق هذا التغير؟» اف«هي» هنا (كاثرينا بطلة الرواية) تتأمل التغير المفاجئ
٢٠ في مصيرها (بسبب حقيقة تجهلها وهي أن والد حبيبها اكتشف أنها ليست
٢١ غنية كما كان متوقعًا لها) على أي حال ، لم يتم إخبارنا بشكل واضح مَنْ
٢٢ تكون «هي» فإذا كنا مؤهلين وقراء مشاركين في الإبداع فسنعرف .
٢٣ فالشخصيات تعطى أصواتًا Voices نفهمها بشكل واضح وصريح على أنها
٢٤ أصوات الشخصيات وملك لهم فقط ، هذا المفهوم (متضمنًا ظواهر التصويت
٢٥ Vocalization) ستتم مناقشته في القسم التالي .

١ **أصوات النص:**

٢ **التصويت:**

٣ التصويت طريقة فاعلة في إبداع الفضاء الخيالي والمحافظة عليه بمساعدة
٤ تطوعية وتعاون ضروري من القراء ، وفي تنظيم الديالكتيك الخاص بالإبداعية
٥ المشتركة بين المؤلف والقارئ ، وإذا أخذنا هذا المصطلح بصورته هذه ربما نترجمه
٦ بـ«منح الصوت» أو «جعله مصوتًا» (أو«مسموعًا» بناء على المنظور) وفي سياق
٧ التداولية الأدبية يعني التصويت «منح الشخصية صوتًا داخل القصة» أو بتعبير
٨ آخر جعلها تتحدث .
٩ هذه الظاهرة مألوفة لدينا بصورة كبيرة أو قليلة انطلاقًا من الحقيقة الخاصة
١٠ بالحوار الروائي ، فكلما تضمنت القصة محادثة نسمع أصوات الشخصيات
١١ تناقش الحدث الجاري أو غيره من المسائل المهمة بالنسبة لهم ، مثل : كم نوعًا
١٢ من الحب موجود؟ (قارن حوار كيتي Kitty وآنا Anaa في رواية تولستوي
١٣ ١٨٨٩/١٩٦٢ : ١٥٥) ، أو محاسن الحياة الزوجية في مقابل حياة ضابط عزب
١٤ تم وصفها بحماسة على لسان الجنرال سيربوشفسكوي Serpuchovskoy مخاطبًا
١٥ فرونسكي Vronsky ، وكيف أنه أصبح حرًا عندما رفع الزواج عن كاهله عبء
١٦ قلاقل الحياة اليومية (Tolstoy, 1889/1962: 350) .
١٧ في مواقف كهذه يتم عزو الأصوات بطريقة مباشرة كما يحدث بصورة
١٨ كثيرة أو قليلة في المسرحية إذ يتم وضع السطور في فم الشخصيات ويعطى
١٩ الصوت من خلال تعبير مميز لاسم الدور المشابه له ، وعادة يسبق الصوت بفعل
٢٠ محصور بين هلالين مثل : «قال» ، «ضحكت» ، «بكى» .
٢١

٢٢ **الصوت والتمركز Focus:**

٢٣ إن التصويت عملية معقدة نظرًا لأنها ليست فقط مجرد إعطاء صوت إلى
٢٤ الشخصية بالمفهوم الدقيق ، ولكنها أيضًا تتيح معلومات حول منظور الشخصية أو
٢٥ وجهة نظرها ، فما يشير إليه الصوت ليس فقط الشخصية (بتسمية الشخص) ،

١ ولكن وجهة النظر التي ترى الشخصية من خلالها الشخصيات الأخرى والعالم
٢ أيضًا في الحقيقة ، وبهذا المفهوم الواسع تغطي الأصوات كامل الفضاء الخيالي
٣ الذي تصنعه ؛ فـ «الأصوات تنتمي إلى المتحدثين بها (أو الكتاب) فقط بالمفهوم
٤ النفسي الخالص الأقل إقناعًا ، ولكنها كتواصل فاعل تنتمي إلى شخصين
٥ (على الأقل) المتكلم ومستمعه» (Morson & Emerson, 1990: 129) .
٦ إن التصويت يتضمن دائمًا إبراز وتأكيد مكان الشخصيات داخل العالم
٧ الأدبي (Mey, 2000: 148) ، وبتعبير بال (Bal, 1985: 100) فإن التصويت هو
٨ «العلاقة بين العناصر المقدمة والرؤية التي من خلالها يتم تمثيل هذه العناصر» ،
٩ هذه الرؤية وهذه العلاقات غير واضحة ولا يمكن أن تحظى بانتباه القارئ
١٠ العادي ؛ لأنها وسيط ضروري لصوت المؤلف ؛ ومن ثمّ فإنها تواجه مصاعب
١١ كونها تبئيرًا .
١٢
١٣ **تداولية الصوت:**
١٤ في ظل غياب هاديات واضحة مثل الأسماء أو الجمل الاعتراضية
١٥ المصاحبة للمنطوق النفسي (خاصة عندما نتعامل مع تفكير غير منطوق أو
١٦ جملة غير متكلمة) فإننا ربما نكون غير آكدين من أصحاب هذه الأصوات التي
١٧ نسمعها وهنا تأتي التداولية لتنقذنا . فلكي تكون الجملة متكلمًا بها كما لاحظ
١٨ بانفيلد (Banfield, 1982) يجب أن يكون لها فاعل متكلم - ليس فقط فاعل
١٩ الجملة ولكن شخص يؤلف المنطوق الواقع في سياق تكون فيه شخوص معينة
٢٠ ناطقة بهذه المنطوقات . فالتصويت الناجح من طرف المؤلف تضارعه إعادة
٢١ التصويت الناجحة من قبل القارئ : فالقارئ يشترك في خلق جزء من العالم
٢٢ الخيالي حيث تنطق المنطوقات وتعزى الأصوات بطريقة موحدة إلى شخصيات
٢٣ ناطقة تتضمن الفاعل المتحدث .
٢٤
٢٥

عندما تتضارب الأصوات:

ربما تلفظ الأصوات بتناغم أو ربما تتضارب ، فالصوت الذي لا ينسجم طبقًا لما نعرفه ، كقراء ، عن الشخصية المتكلمة سيكون غير مستساغ وغير منطوق بطريقة صحيحة ، ولن نشعر بأن هذا صوت الشخصية (ولكن ربما يكون صوت الراوي الذي يتدخل محاولًا تمييز نفسه كشخصية أو مؤلف حتى كما في ترولوب) . التضاربات الأخرى عادة ما يشار إليها على أنها «رخصة شعرية Poetic License» كما في حالة الحيوانات التي تعزى إليها تصويتات لا تتفق مع حالاتها الحيوانية .

ففي رواية آنا كارينينا نواجه أفكارًا مقتبسة تعزى إلى كلب الصيد «لاسكا» الغاضبة من «ليفين» Levin وأخيه لأنهما استمرا في الحديث بينما كانت الطيور تطير الواحدة تلو الأخرى دون أن يصوّب الصيادون أسلحتهم تجاهها أو يزعجونها «انظر ، كيف يملكون الوقت للحديث – فكرتْ– والطيور قادمة . . . . في الحقيقة ، لقد أتت واحدة وسوف يخطئونها» .

وفي حالات أخرى ، يكون القارئ مشوشًا كأن تكون الأصوات خارج النظام السردي ويلج القارئ إلى مواد ليست خاصة بالشخصيات على وجه الدقة بناء على خلفيتهم وقد تكون خاطئة (Mey, 2000: Chapter 6) ، هذه التضاربات يمكن أن تحدث بشكل مقصود ، مثلًا ، كي تحرز تأثيرًا هزليًا بأن تدع الشخصيات يتبنوا صيغًا من الحديث لا تتناسب مع التعبير الصحيح عن الأحداث أو الشخصيات (كأن يقدّم المخرج عن قصد لغات عامية حديثة داخل مسرحية من مسرحيات شكسبير) .

خاتمة: دور التداولية

لقد كان المستعمل هو القاعدة العامة في تفكيرنا في الطرق التي يشارك من خلالها القراء والكتاب في مسعى مشترك لإبداع نص أدبي ، ولعل الحوار الذي نشترك فيه ككتاب أو قراء هو حوار مستعملين ، فديالكتيك الحوار أصبح متوسلًا

١ لشرح أدوار المستعملين في الإبداع المشترك والقراء في بناء الموضوع النصي
٢ (كالقصة مثلًا) .
٣ على أي حال ، فالحوار لا يحدث في فراغ ، فهو «حوار القوى الاجتماعية
٤ المميزة ليس فقط في وجودها الاستاتيكي المشترك ، ولكن كحوار لأزمان وعهود
٥ وأيام مختلفة أيضًا ، حوار يموت ويحيا ويولد ، فالوجود المشترك والمناسبة يندمجا
٦ في وحدة صلبة متعددة الخطاب Multi-speeched لا تنحل» (Bakhtin, 1992:
٧ 365) .
٨ إن أصوات النص ترتكز على تعددية الخطاب ، في نموذج متعدد الخطابات ،
٩ هذه التعددية الصوتية تمثل العلاقات الديالكتيكية بين قوى مجتمعية مختلفة .
١٠ فإذا كان صحيحًا أن النصوص تأتي إلى الوجود كنصوص بشرية فقط من خلال
١١ مشاركة واقعية من المستعمل البشري (كما حددها رومان انجاردن Roman
١٢ Ingarden سنة ١٩٣١) فإن الرؤية التداولية للنص لاسيما النص الأدبي ترتكز
١٣ على مشاركة هذا المستعمل ، والعكس ، فالمستعمل يشارك فقط قدر جهده في
١٤ متابعة أو إعادة إبداع النص المجهز من قبل المؤلف ، ومن بين أصوات النص
١٥ القارئ ، أيضًا ، له صوت ، هذا التصويت عرضة للشروط المجتمعية عينها التي
١٦ تحيط بالمؤلف ، والحوار النصي من ثمّ يقترح سياقًا أوسع مما يقدمه النص الفعلي ،
١٧ وكما رأينا فإن التداولية تعرض رؤية لهذا السياق الاجتماعي الواسع وتفسر
١٨ كيفية تفاعله مع المؤلف والنصوص والقراء .
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥

Bibliography

Austen J. (1947).

Northanger Abbey. London: Wingate. (Original work published 1810).

Austin J. L. (1962).

How to do things with words. Oxford: Oxford University Press.

Bakhtin M. M. (1992).

'*Discourse in the novel*.' In Holquist M. (ed.) *The dialogic imagination: four essays by M. M. Bakhti*n. Austin: University of Texas Press. 259-422.

Bakhtin M. M. (1994).

Speech genres and other late essays. McGee V. (trans.); Emerson C. & Holquist M. (eds.). Austin: University of Texas Press.

Bal M. (1985).

Narratology: introduction to the theory of narrative. *Toronto*: University of Toronto Press.

Banfield A. (1982).

Unspeakable sentences. Boston: Routledge.

Barthes R. (1977).

Music Image Text. London: Fontana.

Cortázar J. (1985).

'Historia con migalas.' In *Queremos tanto a Glenda y otros relatos*. Madrid: Ediciones Alfaguara. 29-44.

Gorayska B. & Mey J. L. (1996a).

'Of minds and men.' In Gorayska & Mey (eds.). 1-24.

Gorayska B. & Mey J. L. (eds.) (1996b).

Cognitive technology: in search of a humane interface. Advances in Psychology, vol. 113. Amsterdam: North Holland-Elsevier.

Grice H. P. (1989).

Studies in the way of words. Cambridge, M A: Harvard University Press.

Ingarden R. (1973).

The literary work of art. Grabowicz G. G. (trans.). Evanston, IL: Northwestern University Press. (Original work published 1931).

Mey J. L. (1992).

'Pragmatic gardens and their magic.' *Poetics 20(2)*, 233-245.

Mey J. L. (1994).

'Edifying Archie or: how to fool the reader.' In Parret H. (ed.) *Pretending to communicate*. Berlin: de Gruyter. 154-172.

Mey J. L. (2000).

When voices clash: a study in literary pragmatics. Berlin: Mouton de Gruyter.

Mey J. L. (2001).

Pragmatics: an introduction (2nd edn.). Boston: Blackwell.

Morson G. S. & Emerson C. (1990).

Mikhail Bakhtin: The creation of a prosaics. Stanford, CA: Stanford University Press.

Ryan M-L. (2001).

Narrative as virtual reality: immersion and interactivity in literature and electronic media. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Searle J. R. (1969).

Speech acts: an essay in the philosophy of language. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Tolstoy L. N. (1962).

Anna Karenina (2 vols). Moscow: Izdatel stvo Pravda. (Original work published 1889).

Trollope A. (1994).

Barchester Towers. Harmondsworth: Penguin. (Original work published 1857).

Van Dijk T. (1972).

Some aspects of text grammars. The Hague, The Netherlands: Mouton.